شرح

بلوغ المرام من أدلة الأحكام

للحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني

(٧٧٣-٨٥٢هـ)

شرح فضيلة الشيخ

أ.د: سليمان بن سليم الله الرحيلي

حفظه الله

الشيخ لم يراجع التفريغ

شَرْحُ كِتَابِ

بُلُوغِ المَرَامِ مِنْ أَدِلَّةِ الأَحْكَامِ

تَأْلِيفُ الإِمَام

الحَافِظِ أَحْمَدَ بنِ عَلَيِّ ابْنِ حَجَرٍ العَسْقَلَانِيّ

رَحِمَهُ اللَّهُ

شَرْحُ مَعَالِي الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ

سليمان بن سليم اللّه الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

المجلس (١)

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضىٰ، الحَمْدُ للهِ حَتَّىٰ يرضىٰ، وَالحَمْدُ للهِ عند الرضا، وَالحَمْدُ للهِ بعد الرضا، وَالحَمْدُ للهِ عَلَىٰ كل حال، ونعوذ بالله من حال أهل النَّار، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الواحد القهَّار، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ النَّبِيُّ المصطفىٰ المختار، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أظلم ليلٌ أو أضاء نهار، ورضي الله عن آله الطيبين الأطهار وصحابته الكرام الخيار؛ أَمَّا بَعْدُ:

فأيها الفضلاء، نحمد الله عَزَّوَجَلَّ أنَّ جعل لقاءنا لقاءً علميًّا في هذَا المجلس الَّذِي أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقنا فيه الإخلاص، وأن يجعله مِمَّا يسرنا عند لقائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

نشرع في شرح كتاب الجامع من "**بلوغ المرام**"، وهو آخر كتب البلوغ.

فيتفضل القارئ وَفَّقَهُ اللهُ يقرأ لنا.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ وحده، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ مَن لا نبي بعده؛ وبعد:

فيسر دورة الخليفة الراشد علي بن أبي طالب الخامسة عشر أن تستضيف الشيخ الدكتور المدرس في الجامعة الإسلامية وفي المسجد النبوي، الشيخ الدكتور/ سليمان الرحيلي حَفِظَهُ اللهُ، وَالَّذِي سيكون من المقرر أن يشرح كتاب الجامع من "بلوغ المرام" في هذِه الفترة من العصر إِلَىٰ صلاة العشاء، أسأل الله أن يسدده ويبارك فيه ويجزيه عنا خير الجزاء.

قَالَ الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كِتَابُ اَلْجَامِعِ

(الشَّرْحُ)

(**كِتَابُ اَلْجَامِعِ**) تقدَّم أَيُّهَا الإخوة أنَّ الكتاب مأخوذٌ من الكَتْب وهو الجمْع والضَّم، فمعنى "**الكتاب**" في لسان العلماء: أي هذَا موضعٌ تُجمَع فيه أحاديث كذا ويُضم بعضها إِلَى بعض، و(**كِتَابُ اَلْجَامِعِ**) يعني: هذَا الكتاب الجامع لأحاديث تهذيب النفوس وتزكيتها.

فالحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ختم البلوغ بأحاديث تتعلق بتربية النفوس وتهذيبها وتزكيتها، وأسماه (**كِتَابُ اَلْجَامِعِ**) وذكر فيه ستة أبواب:

- الباب اَلْأَوَّل في الأدب.
- والباب الْثَّانِي في البر والصلة.
- والباب الْثَّالِث في الزُّهْد والورع.
- والباب الرَّابِع في الرَّهَب من مساوئ الأخلاق.
- والباب الخَامِس في التَّرْغِيْب في مكارم الأخلاق.
- والباب السَّادِس في الذِّكر وَالْدُّعَاء.

وَهذِه أبوابٌ -كما تلحظون- كلها مُتَعَلِّقَة بتزكية النفوس وتهذيبها.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بَابُ ٱلْأَدَبِ

١٤٣٧ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَقُّ ٱلْمُسْلِمِ عَلَىٰ ٱلْمُسْلِمِ سِتٌّ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا ٱسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ ٱللهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتْبَعْهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

(الشَّرْحُ)

قَالَ: (بَابُ ٱلْأَدَبِ) والأدب: هو ما يُحمَد قولًا أو فعلًا من الأخلاق.

وذكر الشيخ الحافظ أحاديث، بدأها بحديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَقُّ ٱلْمُسْلِمِ عَلَىٰ ٱلْمُسْلِمِ») والحق هو الثابت من حقَّ الشَّيْء إذا ثَبَتَ.

والمراد بـ«حَقُّ ٱلْمُسْلِمِ عَلَىٰ ٱلْمُسْلِمِ»: ما يكون للمسلم عَلَى المسلم، والمراد به هنا: الثابت المتأكد، وَإِلَّا فحقوق المسلم عَلَى المسلم أكثر من ست، لكن الثابت المتأكد منها ستٌّ.

وقد جاء في رواية عند مسلم: «خمسٌ تجب للمسلم»، ومعنى «تجب» هنا: أي تثبُت؛ لأن الواجب في اللُّغَة هو الثابت، وليس المراد أنها فرض، وَإِنَّمَا المراد أنها ثابتةٌ متأكدة.

«حَقُّ ٱلْمُسْلِمِ عَلَىٰ ٱلْمُسْلِمِ سِتٌّ»، قَالَ: (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

قلت: "ورواه البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «حَقُّ المُسْلِمِ عَلَىٰ المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ»".

وَهذَا اللَّفْظ الَّذِي عند البخاري عند مسلم أَيْضًا، فَهذَا اللَّفْظ بـ«خَمْسٌ» متفقٌ عليه بين الشيخين، وانفرد مسلم برواية: «حَقُّ ٱلْمُسْلِمِ عَلَىٰ ٱلْمُسْلِمِ سِتٌّ».

«إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ»: إفشاء السلام سببٌ للمحبة، ومن ثَمَّ سببٌ لدخول الجَنَّة؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ» رواه مسلم.

وهو سببٌ للسلامة من الكِبر، فمن أفشى السلام، سلَّمه الله عَزَّوَجَلَّ من الكِبر، ونقى قلبه من الكِبر؛ فعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفْشُوا السَّلَامَ، تَسْلَمُوا» رواه أحمد وابن حبان، وصححه الألباني.

أي: أفشوا السلام، تسلموا من الكِبر، فإفشاء السلام مهذِّبٌ للنفوس والقلوب.

- **والسلام قيل**: من السِّلْم بمعنى الأمن، فعندما تقول لأخيك: "**السلام عليكم**" أي: أنت آمنٌ وأسأل الله لك الأمن، "**السلام عليكم**": أنا أؤمنك من قِبلي، فأنت آمن من جهتي، وأسأل الله لك الأمن.

- **وقيل**: إنه من السلامة، أي: أسأل الله لك السلامة، فعندما تقول لأخيك المسلم: "**السلام عليكم**" معناها أنك تدعو له، بماذا؟ بأن يُسلِّمه الله، أسأل الله لك السلامة.

- **وقيل**: "**السلام**" بمعنى الدُّعَاء بالحفظ والرعاية، أي: أسأل الله أن يحفظك وأن يرعاك.

وَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هنا يقول: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ»، وَهذَا يدل عَلَى أنَّ السلام يكون عند أول اللقاء، فلا يسبقه شيء، ولذلك جاء عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «السَّلَامُ قَبْلَ الكَلَامِ» رواه التِّرْمِذِيّ، وحسَّنه الألباني. فأول ما يبدأ به المسلم أخاه إذا لقيه، أن يُسلِّم عليه قبل أن يكلِّمه، فأول الكلام عند اللقاء: السلام.

وقول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا لَقِيتَهُ» يدل عَلَى أنَّ السلام يُشرَع عند اللقاء، وكلما وُجِد اللقاء شُرِع السلام، ولو كان الانقطاع يسيرًا؛ فلو كنا مثلًا نجلس في المسجد ثُمَّ خرجت أنت وبقيت أنا في المسجد، ثُمَّ خرجت بعدك بخمس دقائق فوجدتك عند السيارة عند باب المسجد، فإنه يُشرَع أن أقول: "**السلام عليكم**"، وليس كما يقول العامة: "**كثرة السلام تقل المعرفة**"، بل المشروع شرعًا أنَّ كلما لقي أحدنا أخاه المسلم أن يُسلِّم عليه.

ولذا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا لَقِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ حَالَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ أَوْ جِدَارٌ، ثُمَّ لَقِيَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ أَيْضًا» رواه أبو داود، وصححه الألباني.

يعني سُبْحَانَ اللَّهِ! هذَا الانقطاع، لو أنه حالت بينك وبين أخيك شجرة فغاب عنك وغبت عنه فلقيته، فالمشروع: أن تُسلِّم عليه.

وليس لجملة «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ» مفهوم مخالفة، بل يُشرَع لنا أن يُسلِّم بعضنا عَلَى بعض عند اللقاء وعند المفارقة؛ لأن لو قلنا له مفهوم مخالفة «إِذَا لَقِيتَهُ»، معنى ذلك أنك إذا فارقته لا يُشرَع أن تسلِّم عليه، ليس للجملة مفهوم مخالفة هنا، بل كما نُسلِّم عند اللقاء، نُسلِّم عند المفارقة، كما ثبت في ذلك الحديث في قول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثُمَّ إِذَا قَامَ، فَلْيُسَلِّمْ، فَلَيْسَتِ الْأُولَىٰ بِأَحَقَّ مِنَ الْآخِرَةِ» رواه أحمد وَالتِّرْمِذِيّ، وَقَالَ الألباني: حسنٌ صحيح. فإذا دخلت فلقيت المسلمين، فسلِّم، وإذا قمت لتفارق المسلمين، فسلِّم.

وجاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَىٰ الكَبِيرِ، وَالمَارُّ عَلَىٰ القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَىٰ الكَثِيرِ» رواه البخاري في الصحيح.

وجاء في حديث أبي هريرة أَيْضًا قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَىٰ المَاشِي، وَالمَاشِي عَلَىٰ القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَىٰ الكَثِيرِ» متفقٌ عليه.

قَالَ العلماء: هذَا فيه إرشاد، والأفضل للمسلم أن يحرص عَلَى أن يبدأ هو بالسلام.

فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلَانِ يَلْتَقِيَانِ أَيُّهُمَا يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ؟ فَقَالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْلَاهُمَا بِاللهِ»، أَوْلَاهُمَا بالله هو الَّذِي يبدأ بالسلام. رواه التِّرْمِذِيّ، وصححه الألباني، ومعناه عند أبي داود. إذًا الأفضل للمسلم سواء كان راكبًا أو ماشيًا، أن يبدأ هو بالسلام.

والسلام ليس خاصًّا بالمعرفة، ولا خاصًّا بالكبار؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَىٰ مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ» متفقٌ عليه.

فَهذِه من خير الأخلاق أن تسلِّم عَلَى مَن تعرف، وعَلَى مَن لم تعرفه، وَهذَا خُلق يفقده كثير من النَّاس اليوم؛ يمر أحدهم بالرجل لا يعرفه فلا يسلم عليه، ولربما مرَّ به فلم ينتبه له فلم يسلم عليه، فإذا تحقَّق منه وعرفه، رجع إليه واعتذر، وَقَالَ: "**السلام عليكم، لم أعرفك**"، والسلام مشروعٌ عَلَى مَن عرفت وعَلَى مَن لم تعرف، وَهذَا من أعظم الآداب وأكملها.

وجاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ. ثُمَّ أخبر أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يَفْعَلُهُ. متفقٌ عليه.

فالكبير قد يسلم عَلَى الصغار، وَهذَا مشروع، وَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يفعله مع أنه كبير السن، كبير المقام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

طيب، إذا مرَّ جماعة بجماعة، فما المشروع؟

جاء عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يُجْزِئُ عَنِ الْجَمَاعَةِ، إِذَا مَرُّوا، أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمْ، وَيُجْزِئُ عَنِ الْجُلُوسِ أَنْ يَرُدَّ أَحَدُهُمْ**».

ولكن الكمال أن يرد كل واحد؛ لينالوا الأجر جميعًا، لكن إذا ردَّ واحد فإنه يجزئ عن الجماعة، وإذا سلَّم واحد فإنه يجزئ عن الجماعة.

والحديث رواه أبو داود، والبزار، وأبو يعلى، والبيهقي، وصححه الألباني.

قَالَ الحافظ فيما يأتي: "**رواه أحمد**" ولم أعثر عليه في المسند بعد طول بحث، ولكن رواه -كَمَا قُلْنَا- أبو داود والبزار وأبو يعلى والبيهقي، ونحن قدَّمنا هذَا الحديث إِلَى هذَا الموطن من أجل المناسبة.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حَقُّ اَلْمُسْلِمِ عَلَىٰ اَلْمُسْلِمِ سِتٌّ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ**» يدل في ظاهره عَلَى أنَّ غير المسلم ليس كذلك، فإذا لقيته فإنك لا تُسلِّم عليه ولا تبدأه بالسلام، وَهذَا الَّذِي عليه الجمهور، أنَّ غير المسلم لا يُبدَأ بالسلام.

لاحظوا يا إخوة أننا لم نقل: "**لا يُبدَأ بالتحية**"؛ لأن التحية أوسع من السلام، وَإِنَّمَا عند جمهور أهل العلم: غير المسلم لا يُبدَأ بالسلام؛ وذلك لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالَ: «لَا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَىٰ بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاضْطَرُّوهُ إِلَىٰ أَضْيَقِهِ» رواه مسلم.

فَهذَا يدل يا إخوة عَلَى أنَّ المسلم إذا لقي اليهودي أو النصراني، لا يجوز أن يبدأه بقوله: "**السلام عليكم**"، وأن يضطره إِلَى أضيق الطريق، وَهذَا قَالَ العلماء: "**من أجل التضييق عليه لعله أن يُسلِم**"، ليس للإضرار به، وَإِنَّمَا ليُضيَّق عليه لعله أن يُسلِم، فهو لمصلحته شرعًا. هذَا إذا كانت التحية بالسلام.

أما إذا كانت التحية بغير السلام؛ كقول: "**صباح الخير**" أو "**مساء الخير**" أو غير ذلك من التحايا، فتجوز، لكن تركها أحسن.

يجوز إذا لقي المسلم يهوديًّا أو نصرانيًّا من أهل الذِّمَّة مثلًا أن يقول: "**صباح الخير**" أو نحو ذلك مِمَّا اعتاده النَّاس غير السلام، لكن ترك هذِه التحية أحسن إذا لم توجد مصلحة فيها، أو لم يوجد خوف في تركها.

إذا وُجدت المصلحة في التحية، كأن تُظهِر له أخلاق الإسلام لعله أن يُسلِم، فإنك تحييه، تقول: "**صباح الخير**"، أو مثلًا إذا كنت تعيش مع الكفار وخفت عَلَى نفسك، فإنه يجوز أن تحييه بـ"**صباح الخير**" أو نحو ذلك، لكن إذا لم توجد مصلحة ولا خوف فالأفضل أن تُترك هذِه التحية.

وَأَمَّا الرد عليهم إذا سلَّموا:

إذا قَالَ النصراني: "**السلام عليكم**"، وَهذَا موجود، فيه نصارى عرب يعيشون في ديار المسلمين، ويتحدثون بلسان المسلمين، إذا سمعته إذا كنت لا تعرفه أو لا تعرف أوصاف النصارى بهذا البلد تظنه مسلمًا، فإذا قَالَ النصراني لمسلم: "**السلام عليكم**"، فَهذَا لا يخلو من حالين:

الحال الأولى: أن يكون لفظه بالسلام واضحًا بيِّنًا.

والحال الثانية: أن يكون لفظه بالسلام خفيًا، لا تتضح الحروف، أو لا يُفهَم الكلام.

- فإن كان لفظه بالسلام فيه خفاء، فإنَّ المشروع أن يُرَد عليه بقول المسلم: "**وعليكم**" أو "**عليكم**". فإذا قَالَ النصراني: "**السلام عليكم**" لكن خفيت عبارته، فالمشروع للمسلم أن يقول: "**عليكم**" أو يقول: "**وعليكم**"؛ وذلك لحديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا

سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الكِتَابِ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ»، وجاءت بعض الروايات بدون الواو، والحديث متفقٌ عليه عند البخاري ومسلم.

- أما إذا كان سلامه بلفظٍ بيِّن، فقد سمعت يقينًا أنه قَالَ: "**السلام عليكم**"، فقد ذهب بعض أهل العلم إِلَى أنهم يُقابَلون بالمثل، فيقال: "**وَعَلَيْكُمْ السَّلام**"، لماذا؟ قالوا: لعموم قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦]، لكن الأحسن هنا لا يتأتى؛ لأنه لا يُدعَى لغير المسلم بالرحمة والبركة، فيتعين الرد بالمثل، قَالَ: "**السلام عليكم**"، يقال له: "**وَعَلَيْكُمْ السَّلامُ**"، ولمفهوم قول النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِذَا سلَّمَ عَلَيْكُمْ الْيَهُود، فَإِنَّمَا يَقُولُ أَحَدُهُمْ: السَّامُ عَلَيْكُمْ**» والسام يعني: الموت «**فَقُلْ: وَعَلَيْكَ**» متفقٌ عليه.

قَالَ هنا النَّبِي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علَّم بعلة، وهي أنهم يقولون: "**السام عليكم**"، فإذا انتفت العلة انتفى الحكم. فإذا أمنت قوله: "**السام**"، وتيقنت أنه قال: "**السلام**"، فإنه يُشرَع أن تقول: "**وَعَلَيْكُمْ السَّلامُ**"، وَهذَا قولٌ وجيه.

وصفة "**السلام**" جاءت في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَجُلاً مَرَّ عَلَى رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَهُوَ فِي مَجْلِسٍ، فَقَالَ: السَلامُ عَلَيْكُمْ. فَقَالَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**عَشْرُ حَسَناتٍ**»، فَمَرَّ رجلٌ آخر فَقَالَ: السَلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله. فَقَالَ: «**عِشْرُونَ حَسَنَةً**»، فَمَرَّ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: السَلامُ عَلَيْكُم وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَقَالَ: «**ثَلاَثُونَ حَسَنَةً**». والحديث رواه التِّرْمِذِيّ وأبو داود، والبخاري في "**الأدب**"، وصححه الألباني.

فَهذِه صفة السلام، وكمالها: "**السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ**" هذَا أكمل السلام.

وإذا جمع المسلم مع السلام المصافحة عند اللقاء، فَهذَا أحسن؛ فيبدأ بالسلام قولًا ويصافح بيده.

فقد جاء عَنِ الْبَرَاءِ بن عازب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ، فَيَتَصَافَحَانِ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا**» رواه أبو داود وَالتِّرْمِذِيّ، وَقَالَ الألباني: صحيحٌ لغيره.

وفي حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا لَقِيَ الْمُؤْمِنَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَصَافَحَهُ**» فجمع بين الأمرين «**تَنَاثَرَتْ خَطَايَاهُمَا، كَمَا يَتَنَاثَرُ وَرَقُ الشَّجَرِ**» رواه الطبراني، وَقَالَ الألباني: صحيحٌ لغيره.

قَالَ: «**وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ**» أي: إذا دعاك إِلَى طعامٍ فأجبه.

طبعًا يا إخوة نسيت أن أذكر: أنَّ جمهور العلماء، وحكاه بعضهم إجماعًا يقولون: "**إنَّ ابتداء السلام سُنة، وإنَّ ردَّه واجب**"، وَهذَا المتقرر عند جماهير العلماء.

قَالَ: «**وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ**» أي: إذا دعاك إِلَى طعامٍ فأجبه.

وإجابة الدَّعْوَة عند جماهير العلماء، وبعضهم حكاه إجماعًا، مستحبة، إِلَّا الدَّعْوَة إِلَى وليمة العرس، فإنَّ فيها خلافًا، **والراجح** أنها واجبة، بشرطين:

⇦ **الشَّرْط الْأَوَّل**: ألا يكون في الوليمة منكر.

لو دعاك جارك إِلَى وليمة عرس ابنه وهو سيأتي بمطرب، مغني في الحفلة، هذَا منكر، فإذا كنت لا تستطيع أن تُنكِر هذَا المنكر إذا ذهبت، فلا يجوز الذهاب.

⇦ **الشَّرْط الثَّانِي**: ألا يكون هناك ضرر، فإذا كان هناك ضرر، فإنه يُقتَصر في الإجابة عَلَى ما لا ضرر فيه.

يعني الضرر مثلًا: قد يكون النَّاس يسهرون في وليمة النِّكَاح سهرًا قد يفوت عَلَى الإنسان صلاة الفجر، أو يشق عليه مشقة شديدة، هنا لا يجب عليه أن يجيب.

أو مثلًا: كثرت الدعوات؛ جاءت ثلاث دعوات أو أربع دعوات في ليلة واحدة، فهنا تُجيب الأولى من أصحاب هذِه الدعوات إذا لم يمكن الجمع بينها بلا ضرر.

وقد جاء عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيُجِبْ عُرْسًا كَانَ أَوْ نَحْوَهُ**» رواه مسلم في الصحيح.

يعني: أنَّ الوليمة عامة سواء كانت لعرس أو لغير عرس.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَجِيبُوا هَذِهِ الدَّعْوَةَ إِذَا دُعِيتُمْ لَهَا»، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَأْتِي الدَّعْوَةَ للعُرْسِ وَلغَيْرِ العُرْسِ، كما ثبت في صحيح مسلم.

لكن لا يلزم إذا دُعيت وذهبت أن تأكل، بل أنت مخير؛ إن شئت أكلت، وإن شئت تركت؛ فإنه جاء عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ، فَلْيُجِبْ، فَإِنْ شَاءَ طَعِمَ، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ» رواه مسلم في الصحيح.

طيب، إذا دُعيت إِلَى الوليمة، ولاسيما وليمة النِّكَاح، في النَّهَار وأنا صائم، لا تخلو من حالين:

الحال الأولىٰ: أن يكون صومك واجبًا.

هل يمكن أن أُدعى إِلَى وليمة عند المسلمين في النَّهَار وأنا صائم صومًا واجبًا؟ نعم؛ عليك قضاء يوم، فنويت صومه وشرعت في الصِّيَام. هذَا صوم واجب ويجب عليك أن تُتمه. فهنا إذا دُعيت، تعيَّن عليك أن تقول: "**إني صائم**"، تحضر وتقول: "**إني صائم**" وتدعو لأهل الوليمة.

الحال الثانية: أن يكون صومك نفلًا.

أما إن كان صيامك نفلًا، فإنك مخير، قَالَ العلماء: "**وتفعل الأفضل والأصلح**"؛ إن شئت دعوت لهم ولم تأكل، وإن شئت أفطرت، فأنت أمير نفسك، ما هو الأفضل؟ الأفضل الأصلح؛ فإن رأيت أنَّ الأطيب لقلوب جيرانك وإخوانك أن تأكل معهم، فإنك تفطر لأن هذَا أصلح، وَإِلَّا فإنك تدعو لهم.

فقد جاء من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ، فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا، فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا، فَلْيَطْعَمْ» رواه مسلم.

ومعنى «فَلْيُصَلِّ»: الصَّلَاة في ا للُّغَةِ، يعني: فليدعو، يدعو لأهل الوليمة. وإن شاء أفطر إن كان صومه نافلةً.

وجاء عن أبي هريرة عن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ، وَهُوَ صَائِمٌ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ» رواه مسلم في صحيحه.

قَالَ العلماء: "**هذَا إذا كان صومه واجبًا**"، يقول لصاحب الوليمة: إني صائم. يذهب إِلَى الوليمة ويجيب ويقول: إني صائم. يعني: يعتذر لصاحب الوليمة.

وتأكدت إجابة وليمة النِّكَاح؛ لحديث أبي هريرة، أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ، يُمْنَعُهَا مَنْ يَأْتِيهَا، وَيُدْعَىٰ إِلَيْهَا مَنْ يَأْبَاهَا، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ، فَقَدْ عَصَىٰ اللهَ وَرَسُولَهُ**»، والحديث في الصحيحين.

فدل ذلك عَلَى أنَّ عدم إجابة الدَّعْوَة معصية، وَهذَا يدل عَلَى أنَّ الإجابة واجبة.

قَالَ العلماء: "**وَإِنَّمَا المراد هنا وليمة العرس**".

قَالَ: «**وَإِذَا اِسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْهُ**»، انتبهوا يا إخوة: إذا طلب المسلم النَّصِيْحَة من المسلم، وجب عليه أن ينصحه إن كان عالمًا بوجه الخير، وَإِلَّا دعا له.

جاءك جارك، قَالَ: يا جاري، أنا أريد أن أشتري قطعة في المكان الفلاني، فانصحني، ما رأيك؟ إن كنت صاحب معرفة، وجب عليك أن تنصحه، تقول له مثلًا: لا، تلك المنطقة لا تصلح لمثلك، أو هي طيبة وسعرها طيب، أو نحو ذلك. وإن لم تكن صاحب معرفة، فإنك تدعو له. أما أن تنصحه وأنت لا تعرف، فَهذَا غش، بعض النَّاس لا يُسأل عن شيء إِلَّا أجاب، ولو كان لا يعرف. هذَا ليس نصيحة، هذَا غش.

أما إذا لم يطلب النَّصِيْحَة، فالنصح مستحب؛ سمعت أن جارك سيشتري سيارة من نوع معين، لم يسألك، لكن أنت لك تجربة، لك معرفة بنوع هذِه السيارة وأنَّ فيها مشاكل، وأنها متعبة، يُندب ويُستحب أن تذهب إليه وتقول: يا جاري، سمعت أنك تريد أن تشتري السيارة الفلانية، وترى أنا اشتريت ووجدت أنَّ هذِه السيارة فيها مشاكل وفيها عيوب. هذَا مندوب؛ لأنه لم يطلب النَّصِيْحَة، لكن النصح للمسلم مشروع.

وقد جاء عن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "**بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**" متفقٌ عليه.

سُبْحَانَ اللَّهِ! انظروا يا إخوة، جعل النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النصح لكل مسلم في البيعة، وجعل ذلك مع إقامة الصَّلَاة وإيتاء الزَّكَاة.

والحديث المشهور، حديث تميم الداري، أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»، قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ، ولرسوله، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلِعَامَّتِهِمْ**» رواه مسلم في الصحيح.

قَالَ: «**وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اَللهَ فَسَمِّتْهُ**» بالسين، هكذا الرواية الَّتِي معنا، يقال: "**سمَّته**"، ويقال: "**شَمَّته**"، ومعناها: أن يدعو له بالرحمة، وهما لغتان مشهورتان: التسميت بالسين، والتشميت بالشين، لكن الأشهر في لسان العامة هو الشين "**التشميت**".

وأصل التشميت: هو ذِكر الله تَعَالَى عَلَى كل شيء، والمراد به هنا: الْدُّعَاء بالرحمة. والعُطاس يا إخوة نعمة من الله، فشُرِع للمسلم أن يحمد الله عليها.

وقد جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ العُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ**».

العُطاس نعمة ورحمة من الله، والتثاؤب من تلاعب الشيطان.

قَالَ العلماء: التثاؤب نوعان:

- تثاؤب لغلبة التعب، وَهذَا من طبيعة الإنسان.

- وتثاؤب من تلاعب الشيطان، وَهذَا المراد هنا «**وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ**».

«**فَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ**» عَلَى هذِه النعمة «**فَحَقٌّ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُشَمِّتَهُ، وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ: فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِذَا قَالَ: هَا، ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ**» رواه البخاري.

يعني المشروع في حال التثاؤب يا إخوة: أنَّ الإنسان يكظمه ما استطاع؛ لأن الشيطان يضحك إذا قَالَ الإنسان في تثاؤبه: ها، أو أخرج صوتًا. أما العطاس فهو نعمة.

وقول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معنا هنا: «**وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اَللهَ**»، مفهومه: أنه إذا لم يحمد الله لا يُشمَّت، وقد فعل النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك؛ فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "**عَطَسَ رَجُلاَنِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الآخَرَ**"، وقد جاء في بعض الروايات أنَّ الَّذِي لم

يشمته شريف من أشراف القوم، "**فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ**: «**هَذَا حَمِدَ اللهَ، وَهَذَا لَمْ يَحْمَدِ اللهَ**»" والحديث في الصحيحين.

فَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما عطس عنده رجل فحمِد الله، شمَّته، وعندما عطس الرجل الآخر فلم يحمد الله، لم يشمته النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وصفة ما يقال عند العُطاس وما يُجيب به العاطس؛ جاءت في أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ**» رواه البخاري في الصحيح.

ويجوز أن يزيد فيقول: "**الحَمْدُ للهِ عَلَىٰ كل حال**".

إذا عطس له أن يقول: "**الحَمْدُ للهِ**" وَهذَا أصح، ويجوز أن يزيد فيقول: "**الحَمْدُ للهِ عَلَىٰ كل حال**"؛ فقد جاء في حديث أبي هريرة عن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ**» رواه أبو داود، وَقَالَ الألباني: صحيح.

فالعاطس إذا عطس يقول: "**الحَمْدُ للهِ**"، وإن قَالَ: "**الحَمْدُ للهِ عَلَىٰ حال**" فيجوز.

وَأَمَّا جملة "**الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ**"؛ فإنَّا نرى بعض النَّاس إذا عطس يقول: "**الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ**"، فَهذِه الجملة وردت في بعض الأحاديث عند الإمام أحمد وعند النسائي في عمل اليوم والليلة، واختلف العلماء في هذَا الحديث، فحسَّنه بعض أهل العلم، وضعَّفه بعضهم. والأقرب واللهُ أَعْلَمُ: أنَّ الحديث ضعيف.

ولذلك يظهر واللهُ أَعْلَمُ أنه لا يُشرَع للعاطس أن يقول: "**الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ**"، وَإِنَّمَا المشروع له أن يقول: "**الحَمْدُ للهِ**"، أو يقول: "**الحَمْدُ للهِ عَلَىٰ كل حال**". ومَن سمِع العاطس يحمد الله، فالمشروع أن يقول له: "**يرحمك الله**"، ولا تُشرَع الزيادة عَلَى ما ورد في هذين الموضعين.

فقد جاء عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا عَطَسَ إِلَى جَنْبِ ابْنِ عُمَرَ، فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، فقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -وانظروا حُسن التَّأْدِيب-: وَأَنَا أَقُولُ: الحَمْدُ لِلَّهِ وَالسَّلَامُ

عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَلَيْسَ هَكَذَا عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَّمَنَا أَنْ نَقُولَ: الحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ. رواه التِّرْمِذِيّ، وحسَّنه الألباني.

فأنكر ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بهذا الأسلوب اللطيف عَلَى الرجل أنه زاد، فَقَالَ: "**وَالسَّلَامُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ**" صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والعاطس إذا قيل له: "**يرحمك الله**"، فالمشروع أن يقول: "**يهديكم الله ويصلح بالكم**"، ويجوز أن يزيد عَلَى هذَا الْدُّعَاء أحيانًا. بالنسبة للعاطس إذا قيل له: "**يرحمك الله**"، يجوز أن يزيد عَلَى قوله: "**يهديكم الله ويصلح بالكم**":

- فقد روى مالك عن نافع عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -وَهذَا كما تعملون أصح الأسانيد، هذَا يسمى الإسناد الذهبي: مالك، عن نافع، عن ابن عمر-، أنه كَانَ إِذَا عَطَسَ، فَقِيلَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ؟ قَالَ: يَرْحَمُنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ، وَيَغْفِرُ لَنَا وَلَكُمْ. هذَا صحَّ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

- وجاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه كان أحيانًا إذا شُمِّت، قَالَ: "**عَافَانَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ النَّارِ، يَرْحَمُكُمُ اللهُ**". وَهذَا رواه البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني.

قَالَ العلماء: "**هذَا يُحمَل عَلَىٰ الْدُّعَاء أحيانًا**"، فالجملة الَّتِي تقال: "**يهديكم الله ويُصلح بالكم**"، وإذا زاد المسلم أحيانًا دعاءً لأخيه يُناسب المقام، فلا بأس؛ لثبوت ذلك عن الصَّحَابَة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِم.

والتشميت والْدُّعَاء بقول: "**يرحمك الله**" جاء له حد.

فعن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَطَسَ رَجُلٌ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: «**يَرْحَمُكَ اللهُ**» ثُمَّ عَطَسَ أُخْرَى، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الرَّجُلُ مَزْكُومٌ**» رواه مسلم في الصحيح.

وَهذَا يكون يا إخوة بعد الثلاث، إذا عطس عندك رجل فَقَالَ: الحَمْدُ للهِ. فقل: يرحمك الله. عطس مرةً ثانية، فَقَالَ: الحَمْدُ للهِ. قل: يرحمك الله. عطس مرةً ثالثة فَقَالَ: الحَمْدُ للهِ. قل: يرحمك الله. فإذا عطس الرابعة، فلا يُشمَّت.

وقول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الرَّجُلُ مَزْكُومٌ**»؛ لبيان علة الترك، لا لمشروعية أن تقول له: أنت مزكوم. ليس المشروع أن تقول له: أنت مزكوم، وَإِنَّمَا هذَا لبيان علة الترك، لماذا يُترَك بعد الثلاث؟ لأنه يتبين أنه مزكوم.

وقد جاء عن سلمة بن الأكوع، أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يُشَمَّتُ الْعَاطِسُ ثَلَاثًا، فَمَا زَادَ فَهُوَ مَزْكُومٌ**» رواه ابن ماجه، وصححه الألباني.

قَالَ: «**وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ**» أي: فزره، وعيادة المرضى من أعظم الأعمال عائدةً وفائدة.

فعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَائِدُ الْمَرِيضِ فِي مَخْرَفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ يَرْجِعَ**» رواه مسلم في الصحيح.

وجاء عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ عَادَ مَرِيضًا، لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ يَرْجِعَ**» -منذ أن يخرج من بيته إِلَى أن يرجع هو في خرفة الجَنَّة-، قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «**جَنَاهَا**» رواه مسلم في الصحيح.

يعني: أَنَّ الإنسان إذا خرج ليعود مريضًا، فإنه يجني من جنى الجنى إِلَى أن يرجع إِلَى بيته، ومعنى هذَا: أنه يزرع شجرًا له في الجَنَّة؛ لأن يا إخوة الجَنَّة قيعان، وهي طيبة التربة، والمسلم يغرسها. أنت يا عبد الله الآن تغرس الجَنَّة لك، بماذا؟ بذِكر الله. فإذا عاد الإنسان مريضًا، فإنه يغرس له غرسًا مثمرًا في الجَنَّة.

ومن فضائل زيارة المريض: ما جاء في حديث أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟**» رواه مسلم في الصحيح.

بل اسمعوا هذِه البشارة يا إخوة الَّتِي نفرط فيها، وكم فرطنا من الأجور، للأسف يا إخوة، الآن الجار يمرض جاره ويبقى في المستشفى أسبوعًا وأسبوعين، وقد يموت وهو لا يعلم بمرضه؛ لقلة الاهتمام بين الجيران، اسمعوا هذِه البشارة:

يقول علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلَّا صَلَّىٰ عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّىٰ يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلَّا صَلَّىٰ عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّىٰ يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الجَنَّةِ» رواه التِّرْمِذِيّ، وصححه الألباني.

يا أخي أنت إذا زرت المريض في الصباح، سبعون ألف ملك يصلون عليك، أي: يدعون لك إِلَى المساء. وإذا زرت المريض في المساء، سبعون ألف ملك يدعون لك إِلَى الصباح، مع ما يُعدُّه الله عَزَّوَجَلَّ لك في الجَنَّة.

ويُستحب لمن عاد المريض أن يدعو له؛ فعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كَانَ إِذَا أَتَى مَرِيضًا، قَالَ: «أَذْهِبِ البَاسَ رَبَّ النَّاسِ، واشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا» متفقٌ عليه.

فمن آداب عيادة المريض: الْدُّعَاء للمريض.

وتجوز عيادة المريض الكافر، لاسيما إذا رجوت أن يُسلِم أو أردت دعوته؛ فإنَّ النَّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان له خادم يهودي، غلام، فمرض، فعاده النَّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأمره بأن يُسلِم، فنظر الغلام إِلَى أبيه، فأشار إليه برأسه أن أطع أبا القاسم، فأسلَم. وَهذَا عند البخاري في الصحيح.

أَيْضًا لما مرِض أبو طالب، وكان عَلَى الشِّرْك، زاره النَّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَقَالَ: «يا عَمِّ، قُلْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ»، لكنه لم يُجب ولم يُسلِم، والحديث في الصحيحين.

فعيادة المريض الكافر جائزة، ولاسيما عند رجاء إسلامه.

قَالَ: «وَإِذَا مَاتَ فَاتْبَعْهُ» أي: اتبع جنازته، وَاتِّبَاع الجنائز عَلَى الصحيح: فرض كفاية، إذا قام به مَن يكفي، سقط الإثم عن الباقين.

وقد جاء في حديث أبي سعيد الخدري، أنَّ النَّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «عُودُوا الْمَرْضَىٰ، وَاتَّبِعُوا الْجَنَائِزَ تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ».

اليوم النَّاس قست قلوبهم، عند كثير من النَّاس قسوة بسبب ترك هذَا الأدب، يعني هذَا الأدب بقلة زيارتهم للمرضى وقلة اتباعهم للجنائز، وَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «عُودُوا الْمَرْضَىٰ، وَاتَّبِعُوا الْجَنَائِزَ تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ» رواه أحمد وابن حبان، وَقَالَ الألباني: حسنٌ صحيح.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٣٨ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «انْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اَللهِ عَلَيْكُمْ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(الشَّرْحُ)

هذَا لفظ مسلم، وليس متفقًا عليه.

وَاللَّفْظ المُتَّفَق عَلَيْهِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ وَالخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ»، هذَا اللَّفْظ المُتَّفَق عَلَيْهِ.

«إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ وَالخَلْقِ» -وضبطها بعض أهل العلم: «والخُلُق»- «فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ».

يقول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «انْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ» مَتَى؟ إذا رأيت مَن هو أفضل منك وأعلى منك في نِعم الدنيا، فانظر إِلَى مَن هو أسفل منك؛ «فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اَللهِ عَلَيْكُمْ» يعني: أحق.

انظروا إِلَى تهذيب الإسلام للنَّفْسِ! إذا رأى المسلم مَن هو أفضل منه في النِّعم؛ في نعمة العلم مثلًا، في نعمة المال، في نعمة الولد، في نعمة الخِلقة، في نعمة الصِّحَّة، فلينظر إِلَى مَن هو أسفل منه، هل يقتدي بمن هو أسفل؟ لا، ولكن لكي لا يستقل المؤمن نعمة الله عليه؛ لأنك إذا نظرت إِلَى مَن هو أعلى منك، خفَّت النِّعم الَّتِي أنعم الله بها عليك في نفسك، فقلَّ شكرك. أما إذا نظرت إِلَى مَن هو دونك، فإنك تشعر بعظيم نعمة الله عَزَّوَجَلَّ عليك. **هذَا إذا رأى مَن هو أحسن منه.**

طيب، إذا رأى مبتلى؛ فإنه شُرِع له أن يحمد الله عَلَى العافية، حَتَّى لا يُدخله الغرور، يُشعِر نفسه أنَّ العافية إِنَّمَا هي نعمة من الله.

فقد جاء في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ رَأَىٰ صَاحِبَ بَلَاءٍ، فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّا خَلَقَ تَفْضِيلًا، إِلَّا عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ البَلَاءِ كَائِنًا مَا كَانَ مَا عَاشَ**».

انظروا يا إخوة إِلَى التحصين! التحصين من البلاء، يقول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ رَأَىٰ صَاحِبَ بَلَاءٍ**» أيًّا كان هذَا البلاء، «**فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّا خَلَقَ تَفْضِيلًا**» وفي بعض الروايات: «**مِمَّن خَلَق**»، قَالَ العلماء: "**يقوله ولا يُسمِع صاحب البلاء**"، «**إِلَّا عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ البَلَاءِ كَائِنًا مَا كَانَ مَا عَاشَ**» كائنًا ما كان هذَا البلاء. والحديث رواه التِّرْمِذِيّ وابن ماجه، وحسَّنه الألباني. فَهذَا علاجٌ عظيمٌ للنفوس.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٣٩ - وَعَنْ اَلنَوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اَللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ اَلْبِرِّ وَالْإِثْمِ. فَقَالَ: «اَلْبِرُّ: حُسْنُ اَلْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ اَلنَّاسُ»

أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

(الشَّرْحُ)

نعم، (**وَعَنْ اَلنَوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ**) ويقال: "**سِمْعَان**"، يعني: بفتح السين، وبكسر السين، والفتح أشهر عند العلماء.

(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) النواس صحابي وسمعان صحابي، وعادة العلماء في مثل هذَا أن يقال: "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا".

(**قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اَللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ اَلْبِرِّ**) أي: البر الَّذِي يحبه الله، (**وَالْإِثْمِ**) أي: الَّذِي ينهى الله عنه، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اَلْبِرُّ: حُسْنُ اَلْخُلُقِ**».

"**البِر**" يا إخوة له معانٍ تجمع محاسن الأخلاق، فمن معانيه: الصِّلة كما سيأتينا، والصدقة، واللطف، والرفق، وحُسن العشرة، وَالطَّاعَة.

قَالَ العلماء: وأصل البر: التَّوَسُّع في الخيرات. والمتوسع في الخيرات يسمى: بَرًّا.

البَر: هو المتوسع في الخيرات. والبِر: هو التَّوَسُّع في الخيرات.

قَالَ: «**اَلْبِرُّ: حُسْنُ اَلْخُلُقِ**»، فالبِر يجمع مجامع حُسن الخُلق، وسيأتي الكلام عن حُسن الخُلق إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

«**وَالْإِثْمُ**» الَّذِي ينهى الله عنه: «**مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ**» أي: تردد في صدرك، يقولون بعبارتهم اليوم: لم ترتح له، «**وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ اَلنَّاسُ**»، قَالَ العلماء: "**هذَا إذا كانت الفطرة سليمة**"؛ لأن الفطرة أحيانًا يصيبها ما يصيبها، فلا يبالي الإنسان أن يُرى وهو عَلَى الحرام البيِّن، فضلًا عن ما يتردد في النَّفْس.

بعض النَّاس الآن يفعل الحرام، وإذا قلت له: لماذا تفعل هذَا الحرام؟ قَالَ: الإثم: ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه النَّاس، وأنا لا أكره أن يطلع النَّاس عَلَى هذَا. وَهذَا مفهومٌ خاطئ.

وبعضهم يأتيك بالحديث الآخر، حديث الخُشَني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ له: «**الْبِرُّ مَا سَكَنَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالْإِثْمُ مَا لَمْ تَسْكُنْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَلَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ**» وَهذَا الحديث رواه الإمام أحمد، وهو صحيح، صحَّحه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، لكن ماذا يقول؟

يقول: الإثم هو الَّذِي لا يطمئن إليه القلب، واستفت قلبك وإن أفتاك النَّاس.

وَهذَا فهْمٌ مغلوطٌ للحديث؛ لأن المقصود من الحديث أن يترك الإنسان ما تردد في صدره ولو لم يرِد بتحريمه نص، فَإِنَّ ما ورد بتحريمه نص، وجب عَلَى الإنسان أن يتركه مطلقًا، إذا دلَّ النَّصّ عَلَى التَّحْرِيْم فلا خيار للإنسان، لكن مِن كمال الإنسان أنه إذا لم يرِد بتحريم الشَّيْء نص، لكنه تردد في قلبه وكرِه أن يطلع النَّاس عليه منه، من الورع ومن الكمال أن يتركه.

لكن القاعدة هنا يا إخوة: أن يتركه ولا يُحرِّمه عَلَى أحد؛ لأن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَا كَرِهْتَ فَدَعْهُ وَلَا تُحَرِّمْهُ عَلَىٰ أَحَدٍ**» رواه أبو داود وابن ماجه، وصححه الألباني.

هذِه قاعدة يجب أن ننتبه إليها؛ لأن بعض النَّاس إذا كرِه شيئًا، عاب النَّاس بفِعْلِه. وَهذَا ليس صحيحًا، ما كرهته في نفسك ولم يرِد نص بتحريمه، نعم الورع أن تتركه، لكن لا تُحرِّمه، ولا تعِب به أحدًا من النَّاس، فالورع: أن تدع ما يريبك ويتردد في صدرك.

قَالَ البخاري: قَالَ حَسَّانُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ: "**مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَهْوَنَ مِنَ الوَرَعِ، دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَىٰ مَا لاَ يَرِيبُكَ**".

هذَا إذا لم يرِد نص وارتبت وترددت، فالورع أن تترك هذَا الشَّيْء.

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَىٰ مَا لَا يَرِيبُكَ، الْخَيْرُ طُمَأْنِينَة، والشَّرُّ رِيبَة**» رواه التِّرْمِذِيّ والنسائي وابن حبان، وصححه الألباني.

إذًا يجب أن نفهم هنا يا إخوة، أنَّ المراد من الحديث: الحث عَلَى ترك ما حاك في الصدر إن لم يرِد بتحريمه نص، أما ما ورد بتحريمه نصٌّ، فواجبٌ أن يُترَك ولا يُستفتى القلب في هذَا.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٤٠ - وَعَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَىٰ اِثْنَانِ دُونَ اَلْآخَرِ، حَتَّىٰ تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ.

(الشَّرْحُ)

ولفظ البخاري قريب من لفظ مسلم.

(**وَعَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَىٰ»**)

والتناجي: هو الكلام في السر والخُفية.

والمقصود هنا: أن يتكلم الاثنان بصوت خفيض لا يسمعه الْثَّالِث، فلا يجوز لاثنين أن يتناجيا في مجلس إذا كان معهم ثالث؛ لأن هذَا يُحزنه، وقد يظن أنَّ الكلام عنه، وقد يجعل ذلك مدخلًا للشيطان عليه؛ فَإِمَّا أن يأتيه ويقول: انظر، لا يثقان فيك، أو لا يحبانك، أو إِنَّمَا يتكلمان عنك. فيسبب نفرة القلوب، والإسلام دين القلوب؛ حريص عَلَى جمع قلوب المسلمين.

لكن إذا كان في المجلس أكثر من ثلاثة؛ كانوا أربعة أو خمسة أو ستة، فإنه يجوز لاثنين أن يتناجيا دون البقية؛ لقول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذَا الحديث الَّذِي معنا: «حَتَّىٰ تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ» يعني: يكثر العدد، ومعنى ذلك أنكم إذا اختلطتم بِالنَّاسِ جاز الاثنين أن يتناجيا.

لكن **انتبهوا هنا يا إخوة؛** لو كان في المجلس أربعة، فإنه لا يجوز لثلاثة أن يتناجوا دون الرَّابع؛ لأن العلة المذكورة في الحديث موجودة هنا؛ لأن هذَا يُحزِنه. أما إذا كان المشارك للمتناجين في المجلس أكثر من واحد، فلا مانع من التناجي، وَالسَّلَف الصالح رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِم فهموا هذَا فهمًا عظيمًا.

جاء "**عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ عِنْدَ دَارِ خَالِدِ بْنِ عُقْبَةَ الَّتِي بِالسُّوقِ**" يعني: في مجلس، "**فَجَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يُنَاجِيَهُ**" يريد أن يناجي ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، "**وَلَيْسَ مَعَ عَبْدُ اللهِ بن عمر أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُ الرَّجُلِ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يُنَاجِيَهُ**" أي: أنهم ثلاثة، فماذا فعل ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؟ قَالَ: "**فَدَعَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَجُلًا حَتَّىٰ كُنَّا أَرْبَعَةً، فَقَالَ لِي وَلِلرَّجُلِ الَّذِي دَعَا: استرخيا**" استريحا "**فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَقُولُ**: «**لا يَتَنَاجَىٰ اثْنَانِ دُونَ وَاحِدٍ**»" رواه ابن حبان، وصحَّحه الألباني.

– **ومن الأدب هنا يا إخوة:** أنَّ مَن رأى أو علِم أنَّ اثنين يتناجيان في مجلس، لا يدخل عليهما، حَتَّى ينتهيا من حديثهما أو يستأذنهما.

يعني مثلًا: لو جئت إِلَى مجلس فأردت أن تدخل، فقيل لك: فيه فلان يتحدث مع فلان في موضوع. من الأدب أن تتركهما وألا تدخل حَتَّى يفرغا من حديثهما، فإن كان وَلَا بُدَّ، فتستأذنهما قبل الدخول؛ فقد قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا تَنَاجَىٰ اثْنَانِ فَلَا تَجْلِسْ إِلَيْهِمَا حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنَهُمَا**» رواه الإمام أحمد، وصححه الألباني.

وَهذَا أدب يفتقده كثير من النَّاس.

لا يُشترط يا إخوة أن يكون في بيت، بل إذا جئت مثلًا ورأيت اثنين عند السيارة يتحدثان في أمر يظهر فيه أنهما يتخافتان فيه، فلا تُحرِّجهما، انتظر حَتَّى يفرغا، فَهذَا من الأدب العظيم.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٤١ - وَعَنْ اِبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُقِيمُ اَلرَّجُلُ اَلرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا، وَتَوَسَّعُوا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(الشَّرْحُ)

يقول ابن عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: (قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُقِيمُ اَلرَّجُلُ اَلرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ»)

هذَا نفيٌ والمقصود به: النَّهْي، أن يقيم الرجل الرجل من مجلسه الَّذِي سبق إليه وكان مباحًا له.

انتبهوا يا إخوة! المجلس الَّذِي سبق إليه، فإن وصلا معًا، فإن كان المكان مِمَّا يُستحب شرعًا أن يُجلَس فيه، فالمشروع فيه القرعة، والإيثار به مكروه، مثل: الصف الأول؛ جئنا أنا وأنت ودخلنا سويًّا، وبقي مكان في الصف اَلْأَوَّل، ووصلنا إليه معًا، المشروع هنا: القرعة فيما بيننا، والإيثار هنا مكروه. أما إذا سبق إليه واحد، فإنه أحق به.

فلو كان الجالس مسبوقًا إِلَى المكان، لكن السَّابِق قام لحاجة؛ شخص جاء مبكر يوم الجمعة وجلس في الصف اَلْأَوَّل، ثُمَّ مع طول الجلوس احتاج إِلَى قضاء الحاجة، فقام وذهب ليقضي حاجته ويتوضأ، فجاء إنسان فوجد مكانه فجلس فيه، فجاء هذَا الرجل ووجد رجلًا جالسًا مكانه، هل نقول له: «لَا يُقِيمُ اَلرَّجُلُ اَلرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ»؟

الجواب: لا. نقول: هو أحق به؛ لحديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ» رواه مسلم في الصحيح.

وبعض النَّاس ما يعرف هذَا الأدب، ربما تأتي في الصف اَلْأَوَّل وتجلس، فتقوم لتُعيد المصحف إِلَى مكانه في الصف الثَّالِث أو الرَّابع، فيأتي إنسان وهو يراك قد قمت من هذَا المكان فيجلس مكانك. هذَا تُقيمه.

كذلك إذا لم يكن المكان مباحًا له، فإنه يُقام؛ مثال ذلك: لو أَنَّ امرأةً أتت إِلَى الصف اَلْأَوَّل في المسجد وجلست فيه، وجاء النَّاس قالوا لها: قومي إِلَى الخلف، قالت: لا، النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا

يُقِيمُ اَلرَّجُلُ اَلرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ». نقول: الحديث في الرجل، ثُمَّ أنتِ هنا لا يُباح لكِ الجلوس في الصف اَلْأَوَّل.

إذًا نقول: هذَا مقيد بقيدين:

١. أن يسبق إليه.

٢. وأن يكون مباحًا له أن يجلس فيه.

قَالَ: «ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا، وَتَوَسَّعُوا»، فأرشد النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجالسين أن يُفسِحوا لمن قدِم، وأن يوسِعوا له، ما لم يتضرروا بذلك.

بعض النَّاس يكون الصف مكتملًا، فيأتي إنسان ويريد أن يزج بنفسه وسط النَّاس، وَهذَا يُذهِب الخشوع، وَهذَا غير مشروع. فإذا كان الصف يحتمل التَّوَسُّع والتفسُّح، فالمشروع للجالسين أن يتفسحوا وأن يتوسعوا. أما إذا كان لا يكفي، فلا يُشرَع للإنسان أن يُحرِج إخوانه وأن يطلب منهم التَّوَسُّع.

طيب، ظاهر الحديث يا إخوة: منع أن يُقيمه ثُمَّ يجلس مكانه، لكن لو قام له، فإنَّ ظاهر الحديث: أنَّ هذَا ليس ممنوعًا أن يجلس مكانه.

- ولد كان جالسًا في الصف اَلْأَوَّل فجاء أبوه، فقام إكرامًا لأبيه ورجَّح أعلى المصلحتين وهي إكرام أبيه، فتأخَّر. يجوز لأبيه أن يجلس مكانه.

- جاء رجل كبير في السن، فرأى من إجلاله الَّذِي هو من إجلال الله أن يقوم له وأن يُقعِده في مكانه، فَهذَا اختار أعلى المصلحتين في نظره. هذَا ليس من باب الإيثار في القُرَب، هذَا من باب ترجيح أعلى المصلحتين، فَهذَا يجوز له أن يجلس.

- **فإن قَالَ لنا قائل**: جاء عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه كان إِذَا قَامَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ مَجْلِسِهِ، لَمْ يَجْلِسْ فِيهِ. رواه مسلم في الصحيح.

✍ **قلنا:** هذَا محمولٌ عَلَى الورع من ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أو عَلَى التَّأْدِيب، لكنه ليس عَلَى التَّحْرِيْم. فمن قام لك، يجوز لك أن تجلس مكانه.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٤٢ - وَعَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا، فَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ، حَتَّىٰ يَلْعَقَهَا، أَوْ يُلْعِقَهَا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(الشَّرْحُ)

هذَا الحديث في الصحيحين، (قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا، فَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ») أي: بالمنديل، فإزالة ما في اليد تكون بالغسل بالماء، وتكون بالمسح بالمنديل، هكذا كان في زمن النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن قبل ذلك شُرِع قبل.

فَقَالَ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا، فَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ، حَتَّىٰ يَلْعَقَهَا» أي: بلسانه، «أَوْ يُلْعِقَهَا» قَالَ العلماء: "**أي يُلْعِق يده مَن لا يأنف من لَعْقِها؛ كولدها إن كان لا يأنف من هذَا، وكدابته**"، ويكون هذَا اللعق يا إخوة بعد الفراغ من الأكل تمامًا، ولا يكون في أثناء الأكل.

فإنَّ بعض النَّاس يفهم هذَا خطأً، كلما أكل لقمة أو لقمتين، لعق يده بلسانه، وربما كان يأكل مع النَّاس، وَهذَا ليس من الأدب، وَإِنَّمَا الأدب: أنه إذا فرغ من أكله، لعق يده أو ألعقها مَن لا يأنف من لعقها.

والعلة في هذِه عظيمة، وهي: طلب البركة؛ فإنَّ في الطعام بركة، لكن لا يُدرى أين هذِه البركة هل هي في أول الطعام أو في آخر الطعام.

فقد جاء عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، "**أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِلَعْقِ الْأَصَابِعِ وَالصَّحْفَةِ، وَقَالَ: «إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّهِ الْبَرَكَةُ»**".

وَهذَا يدل عَلَى أنَّ هذَا اللعق مستحب؛ لأن النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علَّق الأمر عَلَى أمر محتمِل، وإذا عُلِّق الأمر عَلَى أمر محتمِل، هذَا يدل عَلَى أنَّ الأمر للاستحباب وليس للوجوب، فيُستحب لعق اليد.

وقد كان النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يلعق أصابعه الثلاثة، النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من سُنته أنه يأكل بالأصابع الثلاثة، ما يجمع الأصابع الخمسة، يأكل بالأصابع الثلاثة، ولذلك كان الشيخ الألباني

رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: "**إنَّ الأكل بالملعقة أقرب إِلَىٰ السُّنَّة من الأكل بالخمسة**"؛ لأن الأكل بالملعقة بثلاثة أصابع، وَالنَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا أكل أكل بثلاثة أصابع.

طبعًا الأكل بالخمسة جائز، لكن الكلام عن الأقرب إِلَى فِعل النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا فرغ من طعامه، لعق أصابعه، كما ثبت ذلك في حديث أبي بن كعب في صحيح مسلم. فَهذَا أدبٌ من آداب الأكل.

ويُلحَظ هنا يا إخوة: أنَّ المسلم إذا رأى من النَّاس مَن يستقذِر هذَا، يُشرَع له ألا يفعل حَتَّى يُعلِّم.

بعض النَّاس ما يعرف أنَّ هذَا ورد عن النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا رأى الإنسان يلعق أصابعه بعد الطعام، استقذر هذَا منه ورآه سوء أدب. فهنا يُشرَع ألا يفعل هذَا حَتَّى يعلِّم النَّاس؛ لأن القاعدة "**أنَّ درء المفاسد أولىٰ من جلب المصالح**"، درء التهمة عن الإنسان أن يقال عنه مثلًا: أنه سيئ أدب، أولى من جلب المصالح، ويحرص الإنسان عَلَى أن يُعلِّم النَّاس فيذكر الحديث الوارد عن النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرًا وفِعْلًا؛ لكي يألف النَّاس هذَا الأمر.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٤٣ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لِيُسَلِّمْ اَلصَّغِيرُ عَلَىٰ اَلْكَبِيرِ، وَالْمَارُّ عَلَىٰ اَلْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَىٰ اَلْكَثِيرِ**» **مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.**

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «**وَالرَّاكِبُ عَلَىٰ اَلْمَاشِي**».

(الشَّرْحُ)

تقدَّم هذَا مع الحديث اَلْأَوَّل للمناسبة.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٤٤ - وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُجْزِئُ عَنْ اَلْجَمَاعَةِ إِذَا مَرُّوا أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمْ، وَيُجْزِئُ عَنْ اَلْجَمَاعَةِ أَنْ يَرُدَّ أَحَدُهُمْ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَيْهَقِيُّ.

(الشَّرْحُ)

وقد تقدَّم هذَا أَيْضًا.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٤٥ - وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَبْدَؤُوا اَلْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ بِالسَّلَامِ، وَإِذَا لَقَيْتُمُوهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَىٰ أَضْيَقِهِ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

(الشَّرْحُ)

وقد تقدَّم هذَا، لكن قول الحافظ هنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَعَنْهُ) ماذا تفهمون منه؟

- أنه عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ لأن الَّذِي تقدَّم هو علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وليس الحديث عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وَإِنَّمَا الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولعله حدث تقديم وتأخير في نسخ الأحاديث فحصل هذَا. ويبعُد أنه من الحافظ ابن حجر، والحافظ ابن حجر من الحُفَّاظ، لكن لعل الحديث قُدِّم أو أُخِّر فحصل هذَا، وقد تقدَّم الكلام عن الحديث.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٤٦ - وَعَنْهُ عَنِ اَلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: اَلْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ: يَرْحَمُكَ اَللهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اَللهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اَللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ» أَخْرَجَهُ اَلْبُخَارِيُّ.

(الشَّرْحُ)

وقد تقدَّم الكلام عن هذَا الحديث مع الحديث اَلْأَوَّل للمناسبة.

ولعلنا نقف هنا لنترك فرصةً لمن كان صائمًا من إخواننا، ومَن أراد أن يتوضأ، ونعود بعد المغرب إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، واللهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ

المجلس (٢)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمَّان الأكملَانِ عَلَىٰ المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ؛ أَمَّا بَعْدُ:

فمعاشر الفضلاء! نواصل شرحنا لكتاب الجامع من "بلوغ المرام".

وَلَا شَكَّ أَيُّهَا الإخوة أنَّ العناية بأحاديث النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ متأكدةٌ في هذَا الزمان تأكُّدًا شديدًا؛ وذلك أنَّا نرى أنَّ هناك حملةً من أجل تشكيك النَّاس في سنة النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَإِنَّمَا يُراد منها أن يُشكَّك النَّاس في دينهم؛ لأن السُّنَّة هي الَّتِي فصَّلت للنَّاسِ دينهم وبيَّنت مجمل ما في القرآن. فالعناية بالأحاديث متأكدةٌ في هذِه الأيام، وحقٌّ عَلَى طلاب العلم أن ينشروا فقه أحاديث النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فنسأل الله أن يجعلنا خدَّامًا لسنة نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأن يثبتنا عَلَى ذلك حَتَّى نلقاه.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ مَن لا نبي بعده، وبَعْد:

فَقَالَ الحافظ ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

١٤٤٧ - وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِمًا» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

(الشَّرْحُ)

(وَعَنْهُ) أي: عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، (قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ») أحد: نكرة في سياق النفي أو النَّهْي، فتعم، تعم كل أحد، سواء كان رجلًا أو امرأة، «لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِمًا» رواه مسلم في الصحيح.

وجاء عن أنس، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أَنَّهُ نَهَى أَنْ يَشْرَبَ الرَّجُلُ قَائِمًا. قَالَ قَتَادَةُ: فَقُلْنَا فَالْأَكْلُ، فَقَالَ: «ذَاكَ أَشَرُّ أَوْ أَخْبَثُ» رواه مسلم في الصحيح.

فأنس أخبرنا أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى أن يشرب الرجل قائمًا. وَهذَا ليس تخصيصًا للرجل، فيشمل ذلك الرجل والمرأة، ولكنه ذُكِر عَلَى سبيل المثال. فقيل لأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فالأكل؟ فَقَالَ: «ذَاكَ أَشَرُّ أَوْ أَخْبَثُ».

وَهذَا النَّهْي عند جمهور الفقهاء هو للكراهة؛ وذلك لأمور:

➢ **الأمر الْأَوَّل**: ما جاء عَنِ النَّزَّالِ، قَالَ: "**أَتَىٰ عَلِيٌّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **عَلَىٰ بَابِ الرَّحَبَةِ، فَشَرِبَ قَائِمًا**" أي: أمام النَّاس، "**فَقَالَ: إِنَّ نَاسًا يَكْرَهُ أَحَدُهُمْ أَنْ يَشْرَبَ وَهُوَ قَائِمٌ، وَإِنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَعَلَ كَمَا رَأَيْتُمُونِي فَعَلْتُ**" رواه البخاري في الصحيح.

علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لعله سمع أنَّ أناسًا يُحرِّمون الشرب قائمًا، فأراد أن يُعلِّم النَّاس، فجاء إِلَى الرَّحبة أمام النَّاس وشرب قائمًا، ثُمَّ قَالَ: "**إِنَّ نَاسًا يَكْرَهُ**" والكراهية في لسان السَّلَف تعني التَّحْرِيْم، الأصل في الكراهة إذا أُطلِقت في لسان السَّلَف أنَّ المراد بها التَّحْرِيْم.

"**إِنَّ نَاسًا يَكْرَهُ أَحَدُهُمْ**" أي: يُحرِّم أحدهم "**أَنْ يَشْرَبَ وَهُوَ قَائِمٌ، وَإِنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَعَلَ كَمَا رَأَيْتُمُونِي فَعَلْتُ**" أي: رأيت النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشرب قائمًا.

➢ **الأمر الْثَّانِي**: أَيْضًا لِما جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "**شَرِبَ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَائِمًا مِنْ زَمْزَمَ**" متفقٌ عليه.

فَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجه لما طاف طواف الإفاضة، أُعطي دلوًا من ماء زمزم فشرب وهو قائم، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

➢ **الأمر الْثَّالِث**: أَيْضًا لِما جاء عَنْ كَبْشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: "**دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَشَرِبَ مِنْ فِي قِرْبَةٍ مُعَلَّقَةٍ قَائِمًا**" كانت قربة معلقة في بيتها، فشرب النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فم القربة قائمًا، "**فَقُمْتُ إِلَىٰ فِيهَا فَقَطَعْتُهُ**".

لأن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شرب في هذَا الموضع، فقطعته، وَالصَّحَابَة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِم كانوا يتبركون بأثر النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وبركة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذاتية متعدية، النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مباركٌ في ذاته، فذاته مباركة، وبركته الذاتية متعدية، ولذلك كان الصَّحَابَة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِم يتبركون

بفضل وضوئه، ويتبركون بشعره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يبقَ من آثار النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيءٌ ثابت حَتَّى يُتبرَّك به في زماننا، فما يقال: إن سيف النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مسجد الحسين في مصر. لا أصل له، ما يدل عليه دليل. وقول: هناك شعرة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ما يدل عليها دليل.

فكبشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أخبرتنا أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شرِب قائمًا، وَهذَا وجه الدلالة. والحديث رواه التِّرْمِذِيّ وابن ماجه، وصحَّحه الألباني.

أَيْضًا لِما جاء عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "**كُنَّا نَأْكُلُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نَمْشِي، وَنَشْرَبُ وَنَحْنُ قِيَامٌ**" رواه التِّرْمِذِيّ وابن ماجه، وصحَّحه الألباني.

ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: "**كُنَّا نَأْكُلُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نَمْشِي**" إذًا ما دام أنهم يمشون، إذًا هم قيام. إذًا يخبر أنهم كانوا في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأكلون وهم قيام. والصحابي إذا أضاف الأمر إِلَى زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه يُحمَل عَلَى أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علِم به؛ لأن الصحابي ناصح، ومن المحال أن يُخبر الصحابي عن شيء لم يعلمه النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويُضيفه إِلَى عهده. "**وَنَشْرَبُ وَنَحْنُ قِيَامٌ**" والحديث -كَمَا قُلْنَا- صححه الألباني.

أَيْضًا عن أُمِّ الفَضْلِ، أَنَّهَا أَرْسَلَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَدَحِ لَبَنٍ، وَهُوَ وَاقِفٌ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ فَشَرِبَهُ. رواه البخاري في الصحيح.

والمعلوم أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عرفة كان قائمًا عَلَى بعيره، فشرب وهو قائمٌ عَلَى بعيره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- طيب، هذَا النَّهْي للكراهة ما علته؟

✍ علته مصلحة الإنسان، فهو إرشاد من النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدُكُمْ قَائِمًا، فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِ**» رواه مسلم في الصحيح.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ يَعْلَمُ الَّذِي يَشْرَبُ وَهُوَ قَائِمٌ مَا فِي بَطْنِهِ، لَاسْتَقَاءَهُ**» رواه أحمد والبيهقي وابن حبان، وصححه الألباني.

فأمر النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالاستقاء يدل عَلَى أنَّ هذَا لأمر طبي، لأمر صحي، لمصلحة الإنسان الدنيوية، وقد اتفق العلماء عَلَى أنَّ الاستقاء ليس واجبًا عَلَى مَن شرِب قائمًا، لكن هذَا يدل عَلَى أنَّ الماء إذا وصل إِلَى الجوف حال كون الإنسان قائمًا، أنَّ هذَا قد يضره، ولهذا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ يَعْلَمُ الَّذِي يَشْرَبُ وَهُوَ قَائِمٌ مَا فِي بَطْنِهِ، لَاسْتَقَاءَهُ»، فدل ذلك عَلَى أنَّ هذَا لمصلحة صحية.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٤٨ - وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا اِنْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ، وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ، وَلْتَكُنْ اَلْيُمْنَىٰ أَوَّلَهُمَا تُنْعَلُ، وَآخِرَهُمَا تُنْزَعُ».

(الشَّرْحُ)

قَالَ: (وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا اِنْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ، وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ، وَلْتَكُنْ اَلْيُمْنَىٰ أَوَّلَهُمَا تُنْعَلُ، وَآخِرَهُمَا تُنْزَعُ») هذَا الحديث متفقٌ عليه، وَاللَّفْظ للبخاري، وليس في مسلم: «وَلْتَكُنْ اَلْيُمْنَىٰ ...» إِلَى آخر الحديث.

وَهذَا الحديث فيه أدبٌ في التنعُّل، والمسلم يستحب له أن يلبس النعل في رجليه، ولا يمشي حافيًا إِلَّا أحيانًا ليعوِّد نفسه عَلَى الخشونة. أما الأصل: فالأصل أنه مستحب للمسلم أن يلبس النعل.

ويدل لذلك: ما جاء عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «اسْتَكْثِرُوا مِنَ النِّعَالِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَزَالُ رَاكِبًا مَا انْتَعَلَ» رواه مسلم في الصحيح.

النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرشد إِلَى اتخاذ النعال، وَقَالَ: «اسْتَكْثِرُوا مِنَ النِّعَالِ» وبيَّن سبب ذلك وعلة ذلك في قوله: «فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَزَالُ رَاكِبًا» أي: كأنه راكب عَلَى فرس أو جبل أو بعير من جهة خفة الأمر عليه وقلة المشقة «مَا انْتَعَلَ»، فَهذَا يدل عَلَى أنَّ الأصل أن التنعُّل مستحب.

ويستحب في التنعُّل هذَا الأدب الَّذِي أرشد إليه النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي أنَّ الإنسان إذا لبس نعله، فالأفضل أن يبدأ باليمين، وإذا نزع نعله، فالأفضل أن يبدأ بالشمال.

وقد ذَكَرَ العلماء: أنَّ الأصل في كل ما يكون فيه شمال ويمين، أن يُبدأ باليمين استحبابًا.

يعني: أنت تلبس ثوبك، هناك كُم أيمن، وهناك كُم أيسر، الأفضل أن تلبس اليمين قبل الكُم الأيسر. عندك نعل، الأفضل تلبس اليمين قبل النعل اليسرى، وهكذا، هذَا هو الأصل.

والدليل عَلَى هذَا الأصل: حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: "**كَانَ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ، فِي تَنَعُّلِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَطُهُورِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ**" متفقٌ عليه. وجاء في رواية: "**ما استطاع**".

فَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُعجبه التيمن في كل ما يكون فيه يمين وشمال؛ فكان يعجبه التيمن في لبسه للنعل، ويعجبه التيمن في ترجيله لشعره، يبدأ باليمين قبل الشمال، وكذلك في حلقه لرأسه في الحج، بدأ باليمين قبل الشمال، أمر الحلاق أن يأخذ اليمين قبل الشمال، وكذلك في وضوئه، فإنه يبدأ باليمين قبل الشمال، وفي شأنه كله، فَهذَا هو الأصل.

لكن إذا كان فيه انتقال من الأعلى إِلَى الأدون، فإنه يُستحب أن يُبدأ بالشمال؛ يعني مثلًا أردت أن تدخل الحمام، فإنك ستخرج من بيتك إِلَى داخل الحمام، ستنتقل من أعلى إِلَى أدون، فإنه يستحب أن تقدم رجلك اليسرى. إذا خرجت من المسجد إِلَى الشارع، فإنك ستنتقل من الأعلى إِلَى الأدنى، فيستحب أن تقدم رجلك اليسرى. ما الدليل عَلَى هذَا الأصل؟

الدليل عَلَى هذَا الأصل: ما معنا هنا في هذَا الحديث، فإنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ في التنعل: «**فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ**»، وَقَالَ في النزع: «**فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ**».

وَهذَا يدل يا إخوة عَلَى أنَّ التنعل أفضل؛ لأنه في التنعل قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ**»، فكون الإنسان يتنعل أفضل من أن يكون حافيًا كما قدمناه. لكن في النزع وهو انتقال من الأعلى إِلَى الأدون، قَالَ: «**فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ**». وَهذِه السُّنَّة؛ أنه إذا كان فيه انتقال من الأعلى إِلَى الأدون، فالأفضل أن يبدأ بالشمال.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٥٠ - وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَمْشِ أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ، وَلْيُنْعِلْهُمَا جَمِيعًا، أَوْ لِيَخْلَعْهُمَا جَمِيعًا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِمَا.

(الشَّرْحُ)

نعم، يعني عَلَى هذَا الحديث وَالَّذِي قبله.

(**وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَمْشِ أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ، وَلْيُنْعِلْهُمَا جَمِيعًا، أَوْ لِيَخْلَعْهُمَا جَمِيعًا» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِمَا**) نهى النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يمشي أحدنا في نعل واحد، يعني في إحدى رجليه، وليس المراد أن يكون عند الإنسان نعل واحدة لرجليه، وَإِنَّمَا المراد: أن يمشي في نعل واحدة، فتكون إحدى الرجلين في نعل، والأخرى تكون حافية، هذَا نهى عنه النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك قَالَ: «**وَلْيُنْعِلْهُمَا جَمِيعًا**» أي: يُنعِل القدمين معًا جميعًا، «**أَوْ لِيَخْلَعْهُمَا جَمِيعًا**».

قَالَ أهل العلم: وَهذَا مِن خُلُق العدل، وأنَّ العدل مشروع حَتَّى في أعضاء الإنسان، ولذلك نُهِي عن القزع، وهو حلق بعض الرأس وترك بعضه، قالوا: لأنه ليس فيه عدل؛ فبعض الرأس يُحْلَق، وبعض الرأس يُترَك.

حَتَّى لو فرضنا أنَّ أحد النعلين انقطع، فإنَّ المشروع هنا: أن يخلع النعل الْثَّانِي؛ لِما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**إِذَا انْقَطَعَ شِسْعُ نَعْلِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَمْشِ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ حَتَّىٰ يُصْلِحَهَا**» رواه مسلم في الصحيح.

إذا انقطعت إحدى النعلين، فإنك منهي عن أن تمشي في نعلٍ واحدة، ومأمور بأن تخلع النعل الثانية، حَتَّى تُصلح الأخرى.

وفي رواية عند الإمام أحمد: «**إِذَا انْقَطَعَ شِسْعُ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَمْشِي فِي النَّعْلِ الْوَاحِدَةِ**».

وقد حمل الجمهور ذلك عَلَى الكراهة، وليس عَلَى التَّحْرِيم، قالوا: قد روى التِّرْمِذِيّ عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أنها مشت في نعلٍ واحدة. وصححه الألباني. هذَا مِن فِعلها، أما المرفوع فضعيف، أنها

ذكرت أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشى في نعل واحدة، هذَا ضعيف، لكن فِعْلها صحيح، فقد مشت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في نعلٍ واحدة. كما أنَّ الجمهور قيدوا ذلك بما إذا لم يكن فيه ضرر.

أما إذا كان فيه ضرر، وفي لبس نعل واحدة تخفيفٌ للضرر، فإنه لا يُشرَع خلع النعل الواحدة.

عَلَى سبيل المثال: خرجت من المسجد يوم الجمعة، ووجدت فردةً من نعليك مفقودة، وجدت نعلًا واحدة دون الأخرى، والطريق أسفلت، والأسفلت حار ويضر إذا مشى الإنسان حافيًا، ولم تجد أخرى تلبسها.

هنا قَالَ أهل العلم: لك أن تلبس النعل الواحدة؛ لأن هذَا يخفف الضرر، فإذا كان هناك ضرر من المشي حافيًا، فإنه لا بأس من أن تمشي في نعلٍ واحدة عند الحاجة؛ تخفيفًا للضرر.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٥١ - وَعَنْ اِبْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَنْظُرُ اَللهُ إِلَىٰ مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(الشَّرْحُ)

الله المستعان! هذَا الحديث في الصحيحين **(وَعَنْ اِبْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَنْظُرُ اَللهُ»)** أي: لا ينظر الله إليه نظر رحمة يوم القيامة، وليس المراد هنا: لا يرحم الله. لأن بعض النَّاس فسَّر الحديث: «لَا يَنْظُرُ اَللهُ» بـ: لا يرحم الله. وَهذَا تأويل؛ فإنَّ النظر من صفات ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة يُثبتون أنَّ الله يرى ويبصر وينظر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نظرًا حقيقيًّا عَلَى ما يليق بجلال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا نُشبِّه ولا نُمثِّل ولا نكيِّف ولا نعطِّل، لا يخطر في بالنا أن نُشبه صفة ربنا بصفة المخلوق، أبدًا.

أما المعطة والمؤولة، فهُم في الحقيقة في أول الأمر مشبهة، وفي آخر الأمر: معطلة.

هؤلاء الَّذِين يؤولون الصفات، ما الَّذِي جعلهم يؤولون الصفات؟

- أنهم في اَلْأَوَّلُ شبَّهوا صفة الله بصفة المخلوق، فنفروا من هذَا. فلما نفروا أوَّلوا، فكان مقتضى تأويلهم: تعطيل صفة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

مثلًا: عندما جاءت صفة الغضب لله، هم شبَّهوا غضب الله بغضب المخلوق فنفروا من هذَا، ثُمَّ قالوا: معنى غضب الله: انتقام الله. فعطَّلوا صفة الغضب.

أما أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة فهُم بريؤون من التشبيه، بريؤون من التعطيل، يثبتون صفات ربنا عَلَى الحقيقة عَلَى ما يليق بجلال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولذلك نقول: «لَا يَنْظُرُ اَللهُ» أي: لا ينظر الله إليه نظر رحمة يوم القيامة.

«لَا يَنْظُرُ اَللهُ إِلَىٰ مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ» وتلحظون يا إخوة أنَّ هذَا فوق الإسبال؛ لأن الإسبال: ما كان تحت الكعبين ولو لم يكن فيه جرٌّ للثوب، أما جرُّ الثوب فهو زيادة في أنه يسحب الثوب عَلَى الأرض، وفيه زيادة أنه «خُيَلَاءَ» أي: من أجل الكِبر.

وَهذَا يدل عَلَى أنَّ جرَّ الثوب عَلَى الأرض كِبرًا، من كبائر الذنوب؛ لأن صاحبه متوعَّد بألا ينظر الله إليه نظر رحمة يوم القيامة.

والثوب هنا يشمل كل ما يصل إِلَى الكعبين، سواءً كان ثوبًا، أو ما يسمى بالدشداشة، أو كان سروالًا، أو كان قميصًا، كل ما يصل إِلَى الكعبين من اللباس يدخل في الثوب هنا، وكذلك تدخل فيه العمامة.

فقد جاء عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «الْإِسْبَالُ فِي الْإِزَارِ، وَالْقَمِيصِ، وَالْعِمَامَةِ، مَنْ جَرَّ مِنْهَا شَيْئًا خُيَلَاءَ، لَا يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه النسائي وأبو داود وابن ماجه، وصححه الألباني.

«الْإِسْبَالُ فِي الْإِزَارِ»: الإزار هو ما يُلبَس عَلَى النصف السفلي، سواء ما سُمي بالإزار أو الفوطة أو البنطال أو السروال، «وَالْقَمِيصِ»: هو الَّذِي يُلبَس عَلَى كل البدن، نحن نسميه ثوبًا، «وَالْعِمَامَةِ، مَنْ جَرَّ مِنْهَا شَيْئًا خُيَلَاءَ، لَا يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وجاء في حديث أبي ذر، أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ» أي: لا يكلمهم كلامًا يسرُّهم، «وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ» نظر رحمة، «وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، قَالَ: فَقَرَأَهَا

رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ثَلَاثَ مِرَارًا، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ».

قَالَ العلماء: المراد بـ«الْمُسْبِلُ» هنا: الَّذِي يجر ثوبه خيلاء؛ لأن العقوبة هي العقوبة، فالمراد بـ«الْمُسْبِلُ» هنا: الَّذِي يجر ثوبه خيلاء، معاقَب يوم القيامة بألا ينظر الله إليه، ولا يكلمه، ولا يزكيه، وأن له عذابًا أليمًا.

والإسبال يا إخوة كله حرام، لا يحبه الله، ولا يحب فاعليه، ولو لم يكن معه جرٌّ للثوب، ولو لم يكن خيلاء، لكن إذا كان معه جرٌّ للثوب وخيلاء فهو أخبث وأشد حُرمة.

ويدل لذلك: أنَّ النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَالَ: «إِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ» أُحذِرك من إسبال الإزار، «فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ» الغالب عَلَى الإنسان أن يكون إسباله من باب الكِبر، ولاسيما إذا علِم بالنصوص، فإنَّ الَّذِي يمنعه في الغالب من الامتثال الكبر، «وَلا يُحِبُّهَا اللهُ» يعني: هذِه الصفة لا يحبها الله. والحديث رواه أحمد وابن حبان، وصححه الألباني.

وجاء عن المغيرة بن شعبة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «لَا تُسْبِلْ فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْبِلِينَ».

«لَا تُسْبِلْ» وَهذَا نهي مطلق عن الإسبال، «فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْبِلِينَ» رواه ابن ماجه وحسَّنه الألباني.

سُبْحَانَ اللَّهِ! كيف يستطيع المسلم أن يمشي مسبلًا إزاره وقد علِم أنَّ الله لا يحب المسبلين؟!

وجاء تفصيل عظيم عن النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يضع كل شيء في موضعه:

ففي حديث أبي سعيد الخدري قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَىٰ نِصْفِ السَّاقِ، وَلَا حَرَجَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَعْبَيْنِ، مَا كَانَ أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ فَهُوَ فِي النَّارِ، مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ» رواه أبو داود وابن ماجه، وصحَّحه الألباني.

هنا تفصيل لم يترك لأحد مقالة، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ» ويضبطها بعض أهل العلم بـ«أُزْرَةُ الْمُؤْمِنِ»، «إِلَىٰ نِصْفِ السَّاقِ» هذَا المستحب، «وَلَا حَرَجَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَعْبَيْنِ» لا

حرج، مباح لكل أحد، طالب علم ولَّا ما هو طالب علم، يباح له، ولا ينبغي لأحد أن يُحرِّج أخاه فيما أباحه الله له، فمَن لبِس إِلَى الكعبين فلا حرج عليه.

ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا كَانَ أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ»، إذًا المباح إِلَى الكعب، لو غطى الكعب فَهذَا ليس من الحرام، وَإِنَّمَا الحرام أن ينزل أسفل الكعبين.

«مَا كَانَ أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ فَهُوَ فِي النَّارِ» هذَا الإسبال اَلْأَوَّل، وهو أن يُنزِل المسلم الثوب عن الكعبين، فهو في النَّار.

«مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا» هذَا أمر أعظم، الَّذِي يجر ثوبه ما يجعله إِلَى أسفل الكعبين، يجر ثوبًا في الأرض «بَطَرًا» أي: خيلاء «لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ».

إذًا ليس هناك مجال أن يأتي إنسان يُسبِل ويقول: أنا لا أفعله خيلاء، أو يقول: أنا لم أجر ثوبي، أنا جعلته عَلَى حد الرجل من أسفل، تحت الكعبين. لأن هذَا حرام، وذاك أشد حرمة، الإسبال مجرده حرام للرجل، وما زاد عَلَى ذلك من جر الثوب والخيلاء أشد حرمة؛ لاختلاف العقاب. وانظروا هنا أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكرهما معًا، وجعل لهذا عقوبة وَلهذا عقوبة.

وحديث البخاري، قَال فيه النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزَارِ فَفِي النَّارِ»، فأطلق هذَا، ولم يُقيِّد بـ«خُيَلَاءَ».

- **فإن قَالَ قائل:** لماذا لا نحمل اَلْمُطْلَق عَلَى الْمُقَيَّد؟

✍ **قلنا:** لأن عقوبة اَلْمُطْلَق تختلف عن عقوبة المقيَّد، فعقوبة الْمُقَيَّد بالخيلاء: أنَّ الله لا ينظر إليه، ولا يكلمه، ولا يزكيه، وله عذابٌ أليم، وعقوبة اَلْمُطْلَق أنه في النَّار. فلا يُحمَل اَلْمُطْلَق عَلَى الْمُقَيَّد لاسيما وقد جاء حديث أبي سعيد الَّذِي ذكرناه، فإنه قاطعٌ للنزاع. وَهذَا كله في اَلرِّجَال.

أما المرأة؛ فيُشرَع لها أن تُبالغ في السِّتر ما لم يصل الأمر إِلَى حد الضرر، وحد الضرر بيَّنه النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- **فيقول لنا قائل:** هذَا اللَّفْظ عام «لَا يَنْظُرُ اَللهُ إِلَىٰ مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ»، هذَا عام يشمل المرأة والرجل، «إِزْرَةُ الْمُؤْمِنِ إِلَىٰ نِصْفِ السَّاقِ» عام، ويشمل المرأة. إذًا المرأة تلبس إِلَى نصف الساق.

✍ **قلنا:** إنَّ هذَا اللَّفْظ وإن كان عامًّا، إلَّا أنه جاءت الأَدِلَّة عَلَى استثناء النساء، فالمرأة المسلمة تجرُّ ثوبها سترًا لا خيلاء.

وقد جاء عن أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا، أنَّ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**فِي ذُيُولِ النِّسَاءِ شِبْرًا**» -وفي رواية: «**شِبْرٌ**» أي: يُرخينها شبرًا-، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: "**إِذًا تَخْرُجَ سُوقُهُنَّ**" إذا تحركن، إذا أرخته فَقَطْ شبر، تجر شبر، تخرج سوقهن أحيانًا مع الحركة، قَالَ: «**قَدْرَ ذِرَاعٍ**». يعني: تجرُّه قدر ذراع. رواه أحمد وابن ماجه، وصححه الألباني.

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّهَا ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذُيُولَ النِّسَاءِ، فَقَالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُرْخِينَ شِبْرًا**» قَالَتْ: إِذًا يَنْكَشِفَ عَنْهَا، قَالَ: «**تُرْخِي ذِرَاعًا، لَا تَزِيدُ عَلَيْهِ**» رواه النسائي، وصححه الألباني.

وفي رواية عند التِّرْمِذِيّ، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَكَيْفَ يَصْنَعْنَ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ؟ فقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُرْخِينَ شِبْرًا**»، قَالَتْ: إِذًا تبدو أَقْدَامُهُنَّ، فقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فذِرَاعًا، لَا يَزِدْنَ عَلَيْهِ**» وصححه الألباني.

هذَا المشروع، وللأسف أنَّ المسلمين اليوم عكسوا المشروع؛ فلا يزال اَلرِّجَال يُطيلون ثيابهم ويجرونها، ولا زال النساء يقصِّرن ثيابهن، وذهب الحياء من كثير من النساء.

✍**والواجب عَلَى الدعاة والوعاظ وأهل الخير** أن يسعوا في إعادة النَّاس إِلَى الصواب بالحكمة والموعظة الحسنة وبالرفق ما وجدنا للرفق سبيلًا؛ فإنَّ العنف إذا لم يتعيَّن، قد ينفِّر النَّاس عن الحق، لكن الرفق طريقٌ للقلوب ما لم يتعيَّن التغليظ، فَهذَا أمرٌ من الأهمية بمكان.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٥٢ - وَعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اَللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ اَلشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

(الشَّرْحُ)

النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ» وَهذَا أمر «فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ» وَهذَا أمر، ثُمَّ علَّل النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: «فَإِنَّ اَلشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ».

جمهور الفقهاء يقولون: "**هذَا مستحب؛ أن يأكل باليمين وأن يشرب باليمين**"، لكن **الصواب**: أنَّ هذَا واجب؛ أن يأكل باليمين وأن يشرب باليمين.

والدليل عَلَى الوجوب: أمران ظاهران بينان في الحديث:

- أما اَلْأَوَّل: فهو الأمر، والأصل في الأمر اَلْمُطْلَق: الوجوب.

- وَأَمَّا الْثَّانِي: فهو أنَّ النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «فَإِنَّ اَلشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ»، ونحن مأمورون بمخالفة الكفار، فكيف برأسهم الَّذِي هو الشيطان؟!

فَهذَا يدل عَلَى وجوب أن نأكل باليمين وأن نشرب اليمين، وعَلَى حرمة الأكل بالشمال، ويعضد هذَا: حديث جابر، أنَّ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَأْكُلُوا بِالشِّمَالِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِالشِّمَالِ» والحديث رواه مسلم. فَهذَا نهي، وَالنَّهْي يدل عَلَى التَّحْرِيْم، هذَا إذا لم يكن سبب الأكل بالشمال: الكِبر أو التَّشَبُّه بالكفار. فإن كان سبب الأكل بالشمال الكبر، فالأمر أشد حرمة.

ولذلك جاء في حديث سلمة بن الأكوع، أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ. رواه مسلم في الصحيح.

هذَا الرجل أكل بالشمال كِبرًا، فَقَالَ له النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مرشدًا وناصحًا: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، فقَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ. امتنع، فدعا عليه النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ. فبيَّن سبب دعائه عليه، وأنَّ امتناعه عن الأكل باليمين إِنَّمَا هو بسبب الكبر، "**فَمَا رَفَعَهَا إِلَىٰ فِيهِ**" استجاب الله دعاء نبيه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

فإذا كان سبب الامتناع عن الأكل باليمين الكبر، فالأمر أشد حرمة.

وإذا كان سبب الأكل بالشمال، التَّشَبُّه بالكفار؛ لأن طريقة الكفار أنهم يأكلون بالشمال، والآن بعض المسلمون يُعلِّمون ما يسمونه بـ"**إتيكيت الطعام والأكل**" عَلَى طريقة الكفار، ويقول: تضع الشوكة في اليسرى وتأكل بهذا. إذا كان سبب الأكل بالشمال التَّشَبُّه بالكفار، فهما محرَّمان اجتمعا؛ الأكل بالشمال وَالتَّشَبُّه بالكفار، وَالتَّشَبُّه بالكفار حرام كما سيأتينا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٥٣ - وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلْ، وَاشْرَبْ، وَالْبَسْ، وَتَصَدَّقْ فِي غَيْرِ سَرَفٍ، وَلَا مَخِيلَةٍ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَأَحْمَدُ، وَعَلَّقَهُ اَلْبُخَارِيُّ.

(الشَّرْحُ)

هذَا الحديث (**عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلْ، وَاشْرَبْ، وَالْبَسْ، وَتَصَدَّقْ فِي غَيْرِ سَرَفٍ، وَلَا مَخِيلَةٍ**»)، قَالَ: (**أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ**) وقد بحثت عنه في سنن أبي داود طويلًا فلم أعثر عليه، فهو ليس في سنن أبي داود، ولم أره أَيْضًا في مسند أبي داود الطيالسي، قلنا: لعله عنى أبا داود الطيالسي صاحب المسند، فبحثت عنه أَيْضًا في المسند فلم أعثر عليه، لكن الحديث رواه أحمد (**وَعَلَّقَهُ اَلْبُخَارِيُّ**).

قَالَ البخاري: وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالبَسُوا وَتَصَدَّقُوا، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلاَ مَخِيلَةٍ**» وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "**كُلْ مَا شِئْتَ، وَالبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ: سَرَفٌ، أَوْ مَخِيلَةٌ**".

أقول أَيُّهَا ا لفضلاء: قَالَ الحافظ: (**أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَأَحْمَدُ، وَعَلَّقَهُ اَلْبُخَارِيُّ**).

قلت: إني لم أره عند أبي دواد، وعلَّقه البخاري حيث قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالبَسُوا وَتَصَدَّقُوا، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلاَ مَخِيلَةٍ**»، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "**كُلْ مَا شِئْتَ، وَالبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ: سَرَفٌ، أَوْ مَخِيلَةٌ**" هكذا عند البخاري تعليقًا.

وَهذَا الحديث رواه أَيْضًا النسائي وابن ماجه، حيث روى النسائي: عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَالْبَسُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ، وَلَا مَخِيلَةٍ». ورواه ابن ماجه بمعناه.

والنظر في الإسناد يقتضي أنه ثابت، وقد حسَّنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، وصحَّحه بعض أهل العلم. والحديث حسن، فهو ثابت عن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يقول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلْ، وَاشْرَبْ» أي: كل ما شئت من الحلال، واشرب ما شئت من الحلال، «وَالْبَسْ» ما شئت من الحلال، «وَتَصَدَّقْ» وَهذَا خير ما تفعله في المال.

وفي الحديث: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فأبقيت؟ وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ، وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ».

فَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «كُلْ» ما شئت من الحلال، «وَاشْرَبْ» ما شئت من الحلال، «وَتَصَدَّقْ فِي غَيْرِ سَرَفٍ» والسَّرف: هو مجاوزة الحد، ومجاوزة الحد منهيٌ عنها في كل شيء؛ فالغلو في العبادة مجاوزة الحد، وهو منهيٌّ عنه، والإسراف في الصدقة بحيث يترك الإنسان أهله فقراء يتكففون النَّاس، منهيٌ عنه، والإسراف في الأكل والشرب منهيٌ عنه، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١] هكذا قَالَ ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،

«وَلَا مَخِيلَةٍ» والمخيلة: هي الكِبر؛ فلا تلبس لباس كِبرًا، ولا تشرب عَلَى طريقة المتكبرين، وَإِنَّمَا كن مقتصدًا في غير سرف ولا مخيلة.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَابُ اَلْبِرِّ وَالصِّلَةِ

(الشَّرْحُ)

البِر من معانيه الصلة، والمراد بـ(اَلْبِرِّ) هنا: أعظم الصلة، وأعظم الصلة هي صلة الوالدين، (وَالصِّلَةِ) هنا: هي الوصل لذوي الأرحام، وهم الأقارب من جهة الأب أو من جهة الأم. والوصل

للوالدين ولذوي الأرحام يكون حسيًّا؛ بالزيارة، بالمال، ويكون معنويًّا، بالإكرام وإظهار الاحترام، وكلها داخلة في البر والصلة.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٥٤ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» أَخْرَجَهُ اَلْبُخَارِيُّ.

(الشَّرْحُ)

نعم، أخرجه البخاري عن أبي هريرة، وأخرجه مسلم عن أنس.

وقد جاء أَيْضًا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» متفقٌ عليه.

«مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ» أي: يوسَّع عليه في رزقه، أو يبارك له في رزقه، فصلة الرحم سبب في زيادة الرزق، وسبب في البركة في الموجود، وكما قَالَ بعض أهل العلم: صلة الرحم تجلب من الرزق المفقود، وتبارك في الموجود.

«وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ» معنى «يُنْسَأَ» أي: يؤخر، والتأخير في الأثر يكون بالبركة، فيبارك الله للإنسان في وقته، فيعمل في وقته من الخير ما لا يعمله العدد من اَلرِّجَال، ويكون كذلك بزيادة العمر، أي: بالنسبة لِما في أيدي الملائكة، وَإِلَّا فالله عالمٌ عليم سُبْحَانَهُ، لكن بالنسبة لِما في أيدي الملائكة قد يُزاد في عمر الإنسان بصلة الرحم.

ولذلك جاء عند ابن ماجه بإسنادٍ صحيح، أنَّ النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لا يَرُدُّ القَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي العُمْرِ إِلَّا البِرُّ».

«لَا يَرُدُّ القَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ» قَالَ العلماء: هذَا القضاء الكوني المعلق عند الملائكة، إن دعا عبدي فلا تُنزلوا عليه البلاء، وإن لم يدعُ، فيُنزَل عليه البلاء. هذَا بالنسبة لِما عند الملائكة، فإذا دعا العبد، رُدَّ القضاء ولم ينزل عليه البلاء، والله عليمٌ بما يكون سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

«وَلَا يَزِيدُ فِي العُمْرِ إِلَّا البِرُّ» وهو الصلة؛ فقد يكون عند الملائكة أنَّ العبد إذا وصل رحمه، فإنَّ عمره سبعون، وإذا لم يصل رحمه فإنَّ عمره خمسون. فتنظر الملائكة، فإن وصل رحمه، كان عمره

خمسين، فتزيد في عمره بالنسبة لِما عندها. وإن لم يصل رحمه، فإنه يُقبَض عند الخمسين. والله عليمٌ بحقيقة الحال.

أَيْضًا يكون التأخير في الأثر؛ بأن يرزق الله العبد ذريةً صالحةً تُبقي ذِكره بعد موته، أو يرزقه الله علمًا صالحًا يُبقي ذِكره بعد موته، أو يرزقه الله ذِكرًا حسنًا بين النَّاس، فكأنه حي لأن النَّاس يدعون له. إذا ذُكِر البر، مثلًا البر بالوالدين، قالوا: رحِم الله فلانًا كان من أبر النَّاس بأبويه. إذا قالوا: فلان ما شاء الله بار بوالديه، قالوا: ليس مثل فلان رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

كل هذِه صحيحة؛ فتكون التأخير في العمر بالبركة، ويكون بالزيادة، ويكون بأن يُبقي الإنسان ذِكر الإنسان بعد موته.

«فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» وصلة الرحم رأسها: صلة الوالدين، ثُمَّ الأدنى فالأدنى، ولذلك جاء عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ، وَيُزَادَ فِي رِزْقِهِ، فَلْيَبَرَّ وَالِدَيْهِ، وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» رواه الإمام أحمد، وَقَالَ الألباني: حسن.

وفائدة هذِه الرواية: التصريح ببر الوالدين، وَإِلَّا في الحقيقة هي داخلة في صلة الرحم.

أصلًا لماذا يوصل الرحم؟ يوصل الرحم من أجل الوالدين، فالرحم يتصل بك عن طريق والديك، فصلتهما أعظم الصلة.

وصلة الرحم سببٌ لأن يصل الله العبد بالخير كله؛ فقد جاء في حديث أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الله خَلَقَ الخَلْقَ، حَتَّىٰ إذا فَرَغَ مِنْهُم قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، قَالَتْ: بَلَىٰ يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَلِكِ لَكِ».

سُبْحَانَ اللَّهِ! انظروا يا إخوة، قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ للرحم: «أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ»، قَالَ العلماء: وَهذَا مطلق، فيشمل كل خير؛ فمن وصل رحمه، وصله الله عَزَّوَجَلَّ بالخيرات. والحديث في الصحيحين.

وجاء عن أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لها: «إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ» اللَّهُ أَكْبَرُ! ما أعظمها من أخلاق! «وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ» رواه أحمد، وصححه الألباني.

وجاء عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَعْجَلَ الطَّاعَةِ ثَوَابًا صِلَةُ الرَّحِمِ، حَتَّىٰ إِن أَهْلَ الْبَيْتِ لَيَكُونُوا فَجَرَة فَتَنْمُو أَمْوَالُهُمْ وَيَكْثُرُ عَدَدُهُمْ إِذَا تَوَاصَلُوا، وَمَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ يَتَوَاصَلُونَ فَيَحْتَاجُونَ» رواه ابن حبان، وحسَّنه الألباني.

سُبْحَانَ اللَّهِ يا إخوة! «إِنَّ أَعْجَلَ الطَّاعَةِ ثَوَابًا صِلَةُ الرَّحِمِ»، فثوابها معجَّل في الدنيا مع ما يُدَّخر في الآخرة، «حَتَّىٰ إِن أَهْلَ الْبَيْتِ لَيَكُونُوا فَجَرَة» يعني: فيهم فسوق «فَتَنْمُو أَمْوَالُهُمْ وَيَكْثُرُ عَدَدُهُمْ إِذَا تَوَاصَلُوا، وَمَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ يَتَوَاصَلُونَ فَيَحْتَاجُونَ» ينفي الفقر، صلة الرحم تنفي الفقر، وتنفي الحاجة.

وجاء في حديث أبي هريرة، أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ»، تعلُّم النَّسَب يا إخوة لا يكون للفخر بالأنساب، فإنَّ الفخر بالأنساب من فِعل الجاهلية، وَإِنَّمَا يكون لصلة الرحم، «فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الأَهْلِ، مَثْرَاةٌ فِي المَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي الأَثَرِ» رواه التِّرْمِذِيّ، وَقَالَ الألباني: صحيح.

فمما يسبب المحبة بين الأقارب: الصلة، مع زيادتها للمال، وزيادتها في العمر.

ولعلنا نقف هنا، وغدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ نُكمِل شيئًا يتعلق بالصلة وما يتعلق بالقطيعة، ونُكمِل شيئًا من أحاديث النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي ذكرها الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، سائلًا ربي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجعلني وَإِيَّاكُمْ ممن إذا سمِع فهِم، وإذا فهِم عمِل، وأن يجعلني وَإِيَّاكُمْ من عباده الأتقياء الأذكياء الَّذِينَ يرفعهم العلم وينفعهم العلم، ونعوذ بالله من أن نكون من شر عباده الَّذِينَ يتعلمون ولا يعملون، واللهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ

المجلس (٣)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمَّان الأكملَانِ عَلَىٰ المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ؛ أَمَّا بَعْدُ:

ꕥ **فمعاشر الفضلاء!** نواصل شرحنا لكتاب الجامع من "**بلوغ المرام**" للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

وقبل أن نشرع في شرح الأحاديث المقرر شرحها الليلة، أنبه إِلَى أمر، وهو أَنَّا ذكرنا في حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أنَّ النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**كُلْ، وَاشْرَبْ، وَالْبَسْ، وَتَصَدَّقْ فِي غَيْرِ سَرَفٍ، وَلَا مَخِيلَةٍ**»، ذكرنا أنَّ الحافظ عزاه إِلَى أبي داود، وقلت لكم: إني بحثت عنه في سنن أبي داود فلم أعثر عليه، وكذا بحثت عنه في مسند أبي داود الطيالسي فلم أعثر عليه. وأرسل أحد الإخوة رسالة وَقَالَ: إن الحديث موجود في مسند أبي داود الطيالسي.

✍ وأقول للأخ: جزاك الله خيرًا عَلَى حرصك عَلَى الإفادة، لكن الحديث الَّذِي نتكلم عنه يختلف موضوعه عن الحديث الَّذِي في مسند أبي داود الطيالسي، فإنَّ الحديث الَّذِي نتكلم عنه هو في أدب الأكل والشرب واللباس والصدقة في تجنب الإسراف والكِبر، وَأَمَّا حديث أبي داود الطيالسي فهو في إظهار أثر نعمة الله عَلَى العبد بالأكل والشرب واللباس والصدقة، فإنَّ لفظه: «**كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالْبَسُوا وَتَصَدَّقُوا فَإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُحِبُّ أَنْ يَرَىٰ أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ**».

وَهذَا موضوع يختلف عن موضوع الحديث الَّذِي معنا، ولذلك أعرضت عنه، ولا زلت أقول حَتَّى الآن: إنَّ هذَا الحديث الَّذِي معنا الَّذِي عزاه الحافظ إِلَى أبي داود، ليس في سنن أبي داود، ولا في مسند أبي داود الطيالسي فيما اطلعت عليه.

والتخريج يلحظ فيه العلماء وحدة الموضوع، لا يكفي الاتِّفَاق في الراوي وفي بعض ألفاظ الحديث، كنا شرعنا في (**بَابُ اَلْبِرِّ وَالصِّلَةِ**)، وتكلمنا عن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»، وتكلمنا عن هذَا الحديث، وبقي أن نشير إِلَى أمر أَيُّهَا الإخوة، وهو أنَّ النَّاس في صلة الأرحام ثلاثة أقسام:

١. واصل.

٢. مكافئ.

٣. قاطع.

- **فالواصل:** هو الَّذِي يصل رحمه لله، سواءً وصلته أو لم تصله، فَهذَا هو الواصل.

- وَأَمَّا **المكافئ**: فهو الَّذِي يربط صلته لرحمه بصلة رحمه له؛ فإن وصله ذوو أرحامه، وصلهم، وإن قطعه ذوو أرحامه، قطعهم، فَهذَا مكافئٌ.

- **والقاطع:** هو الَّذِي يقطع رحمه.

وقد جاء في حديث أبي هريرة، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «**لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ**» رواه مسلم في الصحيح.

انظروا يا إخوة هذَا الرجل ماذا يحكي؟

يقول: "**إِنَّ لِي قَرَابَةً**" من ذوي الأرحام "**أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ**" بالكلام والصلة "**وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ**" فلا يصلهم مني أذى "**وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ**" أي: يسيئون إليَّ بالكلام، فَقَالَ: «**لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ**» أي: تُسفهم الرماد الحار «**وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ**».

فصلة الرحم مع قطعها لك، أعظم ثوابًا لك؛ لأنك تنال ثواب الصلة، وتنال ثواب الصَّبْر، وتنال عون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وجاء عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا» رواه البخاري في الصحيح.

«لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ» خذ وهات، «وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا» فهذا بأعلى المراتب. فهذه مسألة من الأهمية بمكان.

وعندنا قاعدة يا إخوة: "**ما شرعه الله لنا، فإنَّا نفعله ابتغاء وجه الله، لا مكافأة**".

شرع الله لنا طاعة ولي الأمر في غير معصية الله، وأوجب عليه أن يعمل لصالحنا، فنحن نبذل طاعتنا لولي الأمر في غير معصية الله ابتغاء وجه الله، لا نفعل ذلك مقابلة؛ إذا أعطانا أطعناه، وإذا لم يُعطنا عصيناه، وهكذا. فنحن نصل رحمنا؛ لأن الله شرع لنا أن نصلها، لا من باب المكافأة والمقابلة.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ وحده، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ مَن لا نبي بعده؛ وبعد:

فَقَالَ الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

١٤٥٥ - وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ» يَعْنِي: قَاطِعَ رَحِمٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(الشَّرْحُ)

(وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ»)، قَالَ: (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)، قَالَ: (يَعْنِي: قَاطِعَ رَحِمٍ) وَهذَا التفسير إِنَّمَا هو من تفسير أحد الرواة.

ففي صحيح مسلم، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ» قَالَ سُفْيَانُ: يَعْنِي قَاطِعَ رَحِمٍ. **لكن** جاء أَيْضًا في صحيح مسلم، أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ».

فجاء هذَا من لفظ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ» رواه مسلم في الصحيح.

والقطيعة: ترك الإحسان الواجب، أو إيصال الأذى. مَن ترك الإحسان الواجب عليه لوالديه، لذوي رحمه، فقد قطع، كذلك إيصال الأذى.

وقطيعة الرحم مِن كبائر الذنوب، وذنب عظيم، ومع ذلك هي سببٌ للحرمان من الجَنَّة، وهي سببٌ للعقوبات العاجلة في الدنيا.

يعني: قطيعة الرحم بذاتها كبيرة من كبائر الذنوب، وهي سبب للحرمان من الجَنَّة، وهي سبب لنزول العقوبات العاجلة عَلَى القاطع -وَالعِيَاذُ باللهِ-.

فعن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ تَعَالَىٰ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِثْلُ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ**» رواه التِّرْمِذِيّ وأبو داود وابن ماجة، وصححه التِّرْمِذِيّ والألباني.

«**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ**» يعني: أحق «**أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ تَعَالَىٰ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِثْلُ الْبَغْيِ**» وهو الظلم «**وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ**».

بل إنَّ قطيعة الرحم قد تمنع قبول عمل القاطع -وَالعِيَاذُ باللهِ-، ما يعمله القاطع من الصَّالِحَات قد لا يقبله الله عَزَّوَجَلَّ. والمقصود بالقبول: هو ترتيب الثواب، وَأَمَّا براءة الذِّمَّة فإنها تحصل، إذا صلى برئت ذمته، **لكن هل يُثاب؟**

جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَض عَلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عشية كُلِّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَلَا يقبلُ عمل قاطِع رحم**» رواه أحمد، وحسنه الألباني والأرناؤوط.

ففي هذَا الحديث: أنَّ الأعمال تُعرض عَلَى الله عَزَّوَجَلَّ عشية الخميس، في آخر نهار الخميس، ليلة الجمعة، فتُقبل الأعمال الصالحة الخالصة منها، إِلَّا عمل قاطع الرحم -وَالعِيَاذُ باللهِ-، فإنَّ الله لا يقبله، أي: لا يُرتب عليه الثواب.

فالقطيعة شأنها عظيم، والواجب عَلَى المؤمن أن يحذر من قطيعة الرحم، وألا يقطع رحمه ولو قطعتْ، وشر القطيعة قطيعة الوالد، أبًا كان أم أمًّا، فَهذَا شر القطيعة -وَالعِيَاذُ باللهِ-.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٥٦ - وَعَنْ اَلْمُغِيرَةِ بْنِ سَعِيدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ: «إِنَّ اَللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ اَلْأُمَّهَاتِ وَوَأْدَ اَلْبَنَاتِ وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ اَلسُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ اَلْمَالِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(الشَّرْحُ)

هذَا الحديث العظيم، حديث المغيرة بن شعبة في الصحيحين فيه بيان أمور عظيمة، حيث قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اَللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ اَلْأُمَّهَاتِ».

والعقوق: هو ترك الإحسان الواجب، أو إيصال الأذى مهما قلَّ بالمباشرة أو التَّسَبُّب.

يجب عليك مثلًا أن تُطيع والدك في غير معصية الله، فإذا أمرك والدك بأمرٍ ليس معصيةً ولا يضرك، فلم تطعه، فَهذَا عقوق؛ **تركت الإحسان الواجب**.

أو إيصال الأذى إِلَى الوالد مهما قلَّ، مباشرة؛ قالت لك أمك: أوصلني إِلَى خالتك، فقلت: أُف. آذيتها، هذَا عقوق.

أو بِالتَّسَبُّبِ؛ سيأتينا هذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ في حديث مستقل، كأن تلعن أم رجل فيلعن الرجل أمك، فتسببت لأمك في السَّبّ وَالشَّتْمُ. أنت لم تلعنها مباشرة، لكن تسببت، هذَا عقوق.

والعقوق من أكبر الكبائر، سواءً كان للأم أو للأب.

- طيب، هنا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عُقُوقَ اَلْأُمَّهَاتِ»، فلماذا خصَّ الأم؟

✍ قَالَ العلماء: خصَّ الأم لأن حقها أعظم من حق الأب، يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ قَالَ: «أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أَبُوكَ، ثُمَّ الأدنىٰ فالأدنىٰ».

قالوا أَيْضًا: لأن جانبها الأضعف، هيبة الأم ليست كهيبة الأب، الأب قوي، وقد يخاف الابن من الأب، أما الأم فجانبها ضعيف، فإذا لم يقم في القلب تقوى فإنَّ الولد قد يجرؤ عليها، فلا يسمع

لها كلمة، ولا يهاب من إطلاق كلمة ترضيها، فخصَّها النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن جانبها الأضعف، وَإِلَّا فالوالد مثل الأم في تحريم العقوق.

ولذلك جاء عن المغيرة في لفظ أنه قَالَ: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ اللهَ حَرَّمَ ثَلَاثًا، وَنَهَىٰ عَنْ ثَلَاثٍ، حَرَّمَ عُقُوقَ الْوَالِدِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَلَا وَهَاتِ، وَنَهَىٰ عَنْ ثَلَاثٍ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ» رواه مسلم في الصحيح. وأوردناه هنا لأنه قَالَ: «حَرَّمَ عُقُوقَ الْوَالِدِ» فيشمل الأم والأب.

«حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ اَلْأُمَّهَاتِ» وعقوق الأمهات -كَمَا قُلْنَا- من أكبر الكبائر.

فعن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ» وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ فَقَالَ: «أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ» فَمَا زَالَ يَقُولُهَا، حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.

فَهذَا يدل عَلَى عِظم شأن عقوق الوالدين.

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَوَأْدَ اَلْبَنَاتِ)، وأْد البنات: هي دفن البنت وهي حية، وكان أهل الجاهلية يدفنون البنت وهي حية، إذا رُزِق ببنت، فبُشِّر بالبنت، اسود وجهه وغضب، وقد يأخذها ويدفنها حيةً، وذلك لعلتين: خشية العار، وخشية الفقر.

- ووأد البنات من كبائر الذنوب، فيه عدة جرائم:

- فيه إزهاق النَّفْس؛ وقتل النَّفْس الَّتِي حرَّم الله بغير الحق الَّذِي أحلَّ الله قتلها به، من كبائر الذنوب.

- وفيه سوء الظَّنّ بالله.

- وفيه رد وعد الله.

في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وفي قوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء: ٣١]، فالله وعدك إذا رُزِقت بمولود أن يرزقك.

ولذلك نصَّ المحققون من الفقهاء عَلَى أنَّ تنظيم النسل إذا كان لخوف الفقر، حرام. تنظيم النسل من عزل أو اتخاذ أساليب منع الحمل، إذا كان لخوف الفقر، حرام، لماذا؟ قالوا: لأن فيه ردًّا لوعد الله عَزَّوَجَلَّ، فهو حرام. لماذا تخاف الفقر والله وعدك وعدًا قاطعًا بيِّنًا أنه يرزقك ويرزقه؟

وهناك وأْدٌ خفي، غير الوأد الظَّاهِر، ألا وهو: العزل عن المرأة الحرة عند الجماع من أجل منع الولد من غير حاجة، ويشبه العزل أَيْضًا: اتخاذ وسائل منع الحمل المعاصرة من غير حاجة.

فقد جاء أنَّ النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سُئل عن العزل، فَقَالَ: «ذَلِكَ الْوَأْدُ الْخَفِيُّ» رواه مسلم في الصحيح.

فوصَفَ العزل بأنه الوأد الخفي، وقد حمله جمهور أهل العلم عَلَى الكراهة، فقالوا: العزل وتنظيم النسل، منع الحمل، إذا لم يكن لحاجةٍ فهو مكروه.

طيب، النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «ذَلِكَ الْوَأْدُ الْخَفِيُّ»، لماذا حملتم هذَا عَلَى الكراهة وليس عَلَى التَّحْرِيْم؟

يقول لك الجمهور: لأنه ثبت في الصحيحين من حديث جابر وغيره: «كُنَّا نَعْزِلُ وَالقُرْآنُ يَنْزِلُ»، فثبت أنَّ العزل كان موجودًا في زمن النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فيُحمَل عَلَى الكراهة.

أما تنظيم النسل لحاجة، مثل مثلًا: أنَّ المرأة قد تكون ولودًا، كلما خرجت من النفاس حملت، فيصعُب تربية الأولاد، فيريد الوالدان تنظيم النسل ليتمكنا من التربية، أو مثلًا لو كانت المرأة تأخذ دواءً لا يصلح أن تأخذه وهي حامل، أو كانت المرأة تريد أن تحفظ القرآن، فهنا يجوز تنظيم النسل من غير كراهة؛ لوجود الحاجة.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَمَنْعًا وَهَاتِ»، ما معنى «وَمَنْعًا وَهَاتِ»؟ أي أنَّ الإنسان يكون حريصًا عَلَى أخذ حقه واستيفاء حقه ويمنع الواجب عليه، فلا يؤدي الواجب عليه، بل يمنعه، ويُطالب بحقوقه.

مثلًا: العامل المستأجَر الَّذِي يقصِّر في عمله ولا يؤدي عمله كما هو مطلوب، ويطالب بالأجرة كاملة، هذَا يدخل في «وَمَنْعًا وَهَاتِ». صاحب العمل الَّذِي يُطالب الأجير بالعمل كاملًا، بل قد يزيد عليه في التَّكْلِيْف ولا يعطيه حقه، هذَا يدخل في «وَمَنْعًا وَهَاتِ».

فَهذِه قاعدة كلية، إذا كان للإنسان حقٌّ وعليه واجب، فحرِص عَلَى استيفاء حقه ومَنَع الواجب الَّذِي عليه، دخل في هذَا المحرَّم وهو منعٌ وهات.

«وَكَرِهَ لَكُمْ» وذكرنا لكم يا إخوة: أنَّ لفظ الكراهة في النصوص وفي لسان السَّلَف في الغالب يُراد به التَّحْرِيْم، ولذلك جاء في الرواية الأخرى: «وَنَهَىٰ عَنْ ثَلَاثٍ»، والمغايرة هنا لبيان أنَّ اَلْأَوَّل أعظم حُرمة.

- **لأنه قد يأتينا قائل يقول**: طيب لماذا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في اَلْأَوَّل: «إِنَّ اَللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ»، في هذِه الثلاث اَلْأُول، ثُمَّ في الثلاث الأخيرة قَالَ: «وَكَرِهَ لَكُمْ»؟ لماذا غايَر في اللفظين؟

✍ **نقول:** للدلالة عَلَى أنَّ اَلْأَوَّل أعظم حرمة.

«وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ»: «قِيلَ وَقَالَ» تشمل نقل الكلام الَّذِي يُثير الفتن بين المسلمين وَالَّذِي يحصل به الشر، سواء كان النقل بدون ذِكر القائل أو بذِكر القائل، «قِيلَ» هذَا بدون أن يذكر القائل، وكلما عظُم أثر الكلام، كلما عظُمت حرمة نقله.

يعني بعض النَّاس ينقل الكلام عن الدولة فيما يؤثر في حِفظها وبقائها وأمنها، من وكالة يقولون، "**قيل والله كذا**" مَن الَّذِي قَالَ؟ غير معلوم. وللأسف في زماننا هذَا اشتد الأمر في وسائل التواصل الاجتماعي والشبكات العنكبوتية، يدخل الإنسان عَلَى أماكن لا يدري مَن القائل؛ قد يكون مسلمًا، قد يكون كافرًا، قد يكون عدوًا للبلاد وينقل منها الكلام، وربما غرَّد تغريدة بهذا الكلام. وَهذَا حرام.

وكذلك إذا أسنده إِلَى غيره، فَقَالَ: "**قَالَ فلان**"، ولكن هذَا الكلام يُعلَم أنه يُثير الفتنة ويُثير الشر ويوقع الفساد بين المسلمين، فَهذَا حرام.

كذلك يشمل نقل الكلام بين النَّاس عَلَى سبيل السِّعاية والإفساد؛ يأتي لأخيه يقول: والله فلان قَالَ عنك كذا. فيسمع منه، ثُمَّ يذهب للآخر، يقول: شفت فلان، ما يتقي الله، يقول عنك كذا. وقد

يأتي إِلَى شخص ويُثيره ويستفذه حَتَّى يقول كلامًا، ثُمَّ يأخذه منه وينقله إِلَى الآخر. ما قصده؟ أن يُفسِد بينهما، وَهذِه النَّمِيْمَة الَّتِي هي من كبائر الذنوب.

كذلك يا إخوة يشمل مقابلة الأَدِلَّة بأقوال النَّاس؛ فإنَّ هذَا من باب «قِيلَ وَقَالَ» الَّذِي حُرِّم علينا، فبعض النَّاس إذا قلت له: "قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ"، قَالَ: يا أخي المسألة فيها خلاف، وقد قيل كذا، وقيل كذا، وقيل كذا. من غير أدلة.

مقابلة الدليل البيِّن بأقوال النَّاس؛ أنْ ترد "قَالَ الله" بقال وقيل، أن ترد "قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ" بقال وقيل، هذَا حرام؛ لأن الواجب التسليم للنصوص.

وقد قَالَ الإمام الشَّافِعِيّ: "**أجمع النَّاس عَلَىٰ أنَّ مَن استبانة له سُنة رسول الله** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، **لم يكن له أن يدعها لقول أحدٍ من النَّاس كائنًا مَن كان**".

فكل هذِه الصور تدخل في قول النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ».

«وَكَثْرَةَ اَلسُّؤَالِ»: كثرة السؤال تشمل سؤال النَّاس ما لهم من غير حاجة، يسأل النَّاس تكثُّرًا، غير محتاج. وَهذَا حرام، ومَن سأل النَّاس من غير حاجة، أتى يوم القيامة وليس في وجهه قطعة لحم.

ويشمل أَيْضًا السؤال عن أمور الدين مِمَّا لا ينفع الإنسان ولا يحتاج إليه، لا ينفعه ولا يحتاج إليه وليس من العلم الَّذِي يُطلَب، وَإِنَّمَا من تكلُّفات الأسئلة، فَهذَا منهي عنه، وقد كان السَّلَف ينهون عنه.

وقد جاء أنَّ الإمام مالك رَحِمَهُٱللَّهُ سأله رجل فلم يجبه، ثُمَّ سأله فلم يجبه، ثُمَّ قَالَ: ما لك يا أبا عبد الله لا تجيبني؟ يعني النَّاس يسألونك وتجيبهم وأنا ما تجيبني. فَقَالَ له: "**لو سألت عما ينفعك لأجبتك**" سؤالك هذَا ما ينفعك، لو سألت عما ينفعك لأجبتك.

وَهذَا أدب عظيم يا إخوة، لو أنَّ طلاب العلم التزموا ألا يسألوا إِلَّا عما يحتاجون إليه أو ينفعهم أو كان من العلم الَّذِي يُطلَب، والتزم الشيوخ ألا يُجيبوا إِلَّا عما يُحتاج إليه وينفع، لانحسم باب الفساد.

كثير من الفساد اليوم يقع بسبب أنَّ طلاب العلم يسألون عما لا يُحتاج إليه، وأنَّ بعض أهل العلم يُجيب عن كل ما سُئل عنه.

وَمِمَّا يدخل في ذلك أَيْضًا: السؤال للعلماء بقصد اختبارهم أو بقصد إحراجهم؛ أن يسأل العالِم لا ليتعلم، ولكن يريد أن يختبر العالِم، أو يريد أن يُحرِج العالِم ويُظهِر ضعفه، فيسأل عن سؤال دقيق أمام النَّاس بقصدٍ فاسد، فإنه يدخل في تحريم السؤال هنا.

ولذلك نحن نحذر طلاب العلم من نقل الأسئلة بين العلماء لضرب كلام أهل العلم ببعض؛ بعض طلاب العلم لأنه لم يتأدب، يتصل عَلَى الشيخ الفلاني ويقول: يا شيخ، ما رأيك في كذا؟ فيجيبه الشيخ جوابًا علميًّا بيِّنًا، فيتصل بشيخ آخر ويسأله نفس السؤال لعل الكلام أن يتعارض. وَهذَا من السؤال المحرَّم.

قَالَ: «**وَإِضَاعَةَ اَلْمَالِ**»، إضاعة المال تعني: ألا يصرفه في حقه أو في وجوهه المباحة، فلا يعرف لله فيه حقًّا ولا يجعله في المباح.

- كيف يُضاع المال؟

✍ يُضاع المال بأن يكون فيه حقٌّ لله؛ كصلة الرحم مثلًا، لكنه لا يصرفه في حقه ولا يعرف لله فيه حقًّا، أو بأن يصرفه في الحرام. هذَا الَّذِي يشتري الدخان، هذَا الَّذِي يتغرب عن أهله ويغيب عن ولده ويعمل بأجرة ويتعب ويتحمل ألم الغربة وكربة الغربة، ثُمَّ يأخذ من هذَا المال جزءًا ويشتري به الدخان، هذَا أضاع المال؛ لأنه وضعه في الحرام، وَهذَا حرامٌ، فإضاعة المال محرَّمة.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٥٧ - وَعَنْ عَبْدِ اَللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، **عَنْ اَلنَّبِيِّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **قَالَ: «رِضَا اَللهِ فِي رِضَا اَلْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُ اَللهِ فِي سَخَطِ اَلْوَالِدَيْنِ» أَخْرَجَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ اِبْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ.**

(الشَّرْحُ)

هذَا الحديث رواه التِّرْمِذِيّ بلفظٍ قريب مِمَّا ذكره الحافظ: عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو قَالَ، عن النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**رِضَا الرَّب فِي رِضَا الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّب فِي سَخَطِ الْوَالِدِ**» وصححه الألباني.

وعن ابن حبان: «**رِضَاءُ اللهِ فِي رِضَاءِ الْوَالِدِ، وَسَخَطُ اللهِ فِي سخط الوالد**».

وعند الحاكم: «رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ»، وَقَالَ الحاكم: هذَا حديثٌ صحيح عَلَى شرط مسلم. ووافقه الذهبي.

فالحديث صححه الحاكم والذهبي والألباني، وهو حديثٌ صحيح.

يدل هذَا الحديث عَلَى أنَّ إرضاء الوالدين فرضُ عينٍ عَلَى الولد؛ لأن رضا الله عَزَّوَجَلَّ في رضا الوالد، وسخط الله في سخط الوالد. إذًا أنت إذا أطعت والديك فأرضيتهما، أرضيت الله، وإذا عصيت والديك فأسخطهما، أسخطت الله، فَهذَا يدل دلالةً بيِّنة عَلَى أنَّ طاعة الوالدين فرض عينٍ عَلَى الولد، ولكن ذلك مشروط بشرطين:

الشَّرْط اَلْأَوَّل: ألا يكون إرضاؤها بإغضاب الله.

بمعنى ألا تكون طاعتهما في معصية، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؛ الأب قَالَ لابنه: خذ هذَا المبلغ واشترِ لي خمرًا -وَالعِيَاذُ باللهِ-. أمره وإذا لم يشترِ له يغضب منه، هل نقول للولد: يجب عليك أن تطيعه؟

نقول: لا، يحرُم عليك أن تطيعه؛ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وَالشَّرْط اَلْثَّانِي: ألا يتضرر الولد.

ألا يكون في طاعة الولد إضرارٌ بالولد متعدٍ؛ لأن النَّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَالَ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ».

فإذا كان أمر الوالد فيه ضررٌ بيِّن، فهنا لا يجب عَلَى الولد أن يُطيع والده ولو لم يكن ذلك بمعصية.

أعطيكم مثالًا: رجل عنده امرأة صالحة، طيبة، ذات خُلق ودين، ورزقه الله منها بأولاد، غضِب أبوه عَلَى أبيها أو عَلَى أخيها، فَقَالَ الأب لابنه: طلق امرأتك. فأمرَه هنا بتطليقها، وَالطَّلَاق من حيثه هو ليس معصية، لكن هذَا فيه إضرار بالولد متعدي، الضرر بيِّن، هنا لا يجب عَلَى الولد أن يطيع والده.

ولذلك لما جاء رجل إِلَى الإمام أحمد، فَقَالَ: يا أبا عبد الله، إنَّ أبي يأمرني أن أطلق امرأتي. قَالَ: "**لا تطلقها**"، قَالَ: يا أبا عبد الله، إن عمر قد أمر ابنه أن يطلق امرأته فطلقها. قَالَ: "**حَتَّىٰ يكون أبوك كعمر**"، يعني: عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ إِنَّمَا أمر ابنه بسبب شرعي، أما هذَا الأمر هنا فهو إضرار بالولد.

إذًا طاعة الولد لوالديه فرض عين بشرطين:

١) ألا تكون بمعصية.

٢) وألا يكون فيها ضرر متعدٍ بيِّن.

اتفق العلماء عَلَى أنَّ الوالدين إذا أمرا الولد بأمر مباح، يجب عليه أن يطيعهما.

طيب، هل يُشرَع طاعة الوالدين في ترك مندوبٍ إليه، أو في ترك فرض الكفاية؟

- الولد يريد أن يصوم يوم الاثنين، وصيام الاثنين مستحب، فَقَالَ له والده: لا تصم الاثنين هذَا الأسبوع، أنا أحتاجك. فأمرَه بأن يترك مندوبًا، أو أمره ألا يصلي عَلَى جنازة فلان، وَالصَّلَاة عَلَى الجنازة فرض كفاية.

اختلف العلماء في هذِه المسألة بعد اتفاقهم عَلَى شيءٍ منها، وهو: أنه يجب عَلَى الولد أن يُطيع والده إذا أمره بترك نفلٍ أو فرض كفايةٍ إذا كان الوالد يتضرر إذا لم يُطعْه.

الوالد عنده موعد في المستشفى، وإذا يذهب إِلَى المستشفى في نفس الموعد سيتأخر الموعد التالي بما يضر بصحته، وموعد الوالد يتفق مع موعد الدرس في الدورة، وحضور الدرس في الدورة مستحب، فَقَالَ له والده: اذهب بي إِلَى المستشفى، ما عندي غيرك. هنا اتفق العلماء أنه يجب عَلَى الولد أن يطيعه هنا؛ لأن الوالد يتضرر لو لم يُطعْه.

ثُمَّ اختلفوا، إذا كان الوالد لا يتضرر، هل يجب عَلَى الولد أن يطيع الوالد في ترك مندوب إليه أو فرض كفاية. **والراجح** واللهُ أَعْلَمُ: أنه لَا بُدَّ من رضاهما، لَا بُدَّ من رضا الوالدين.

ويدل لذلك حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الجِهَادِ، فَقَالَ: «**أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟**»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ**» متفقٌ عليه.

فدلَّ ذلك عَلَى أنَّ فرض الكفاية لا يدخل فيه الإنسان بغير رضا والديه، فإذا أمره والده بترك فرض الكفاية أو النَّفْل، فإنه يجب عليه أن يُطيع والده، **لكن** دائمًا نحن نرشد الولد، نقول: لا تعصي والدك، ولا تترك الخير، اجمع بينهما، فحاول أن تُرضي والدك.

ونبَّه بعض أهل العلم عَلَى أمر مفيد جدًّا هنا: وهو أنه يُشترط لذلك أن يكون لطلب الأب سببٌ طيب، فإنْ كان لطلب الأب سببٌ غير طيب.

مثلًا، يقول الأب لولده: لا تذهب إِلَى حِلق العلم، لماذا؟ يقول: أنت إذا ذهبت إِلَى حِلق العلم تصبح مستقيمًا، وأنا لا أريدك أن تكون من هؤلاء. هنا سبب منع الوالد لولده من طلب العلم ليس طيبًا، هنا لا يجب عَلَى الولد أن يطيع والده، لكن -كَمَا قُلْنَا- قَالَ له: لا تصم غدًا لأني محتاجك، أو مثلًا قَالَ: لا تصم غدًا لأنَّا سنخرج في نزهة برية ونريد أن نتوسع فيها. هذَا الْسَّبَب طيب لا بأس به، فيجب عَلَى الولد أن يطيع والده إذاك.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٥٨ - وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، **عَنْ اَلنَّبِيِّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «وَاَلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِجَارِهِ - أَوْ لِأَخِيهِ- مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.**

(الشَّرْحُ)

الَّذِي عند البخاري: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**».

وَهذَا الرواية الَّتِي ذكرها الحافظ، هي عند مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وَاَلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِجَارِهِ - أَوْ لِأَخِيهِ- مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**».

النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هنا يقسم: «**وَاَلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ**»، وأخذ العلماء من هذَا أنه يُشرَع للعالِم ويُسن أن يقسِم عَلَى مهمات العلم، إذا كانت المسألة مهمة ولها أثر في الأُمَّة يُشرَع للعالِم أن يؤكدها باليمين، فيقول: "**والله كذا**" أو نحو هذَا، وقد أقسم النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عدد من الأمور.

هنا يقول النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَاَلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ**»، النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يحتاج أن يُقسِم حَتَّى يُصدَّق، لكنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقسِم ليبيِّن لنا أهمية هذَا الأمر.

«**وَاَلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ**»، «**لَا يُؤْمِنُ**» قَالَ العلماء: معناه لا يؤمن الإيمان الكامل، وليس معناه أنَّ الَّذِي لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه يكون كافرًا، وَإِنَّمَا المقصود: أنَّ إيمانه يكون ناقصًا، لا يؤمن الإيمان الكامل.

«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِجَارِهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»، قَالَ: «أَوْ لِأَخِيهِ»، حق الجار حقٌّ عظيم، فإكرامه من مقتضى الإيمان كما قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ» رواه مسلم في الصحيح.

والجار: هو مَن جاورك، قريبًا كان أو غريبًا، مسلمًا كان أو كافرًا، لكن القريب له حق صلة الرحم، وله حق الجوار. هذَا القريب: ابن عمك، خالك، جار وخال، جار وعم، جار وابن عم، له حق صلة الرحم وحق الجوار، مع حق الأخوة في الله. والجار الغريب له حق الجوار.

للأسف هذَا فقدناه في مجتمعاتنا؛ يأتينا أخونا من بلد آخر، مسلم يصلي معنا في المسجد، ومع ذلك كأنَّا لا نعدُّه جارًا، ولا نُكرمه، ولا نعطيه حقه، وَهذَا يخالِف المشروع، بل حَتَّى الجار الكافر هو جار، ولذلك ثبت في "**الأدب المفرد**" للبخاري، أنَّ ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ذبح شاةً وأهدى لجاره اليهودي. وجاء أنه لما جاء إِلَى أهله أخذ يسألهم: "**أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ؟ أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ؟**"؛ من اهتمامه بهذا الأمر.

وحق الجار مؤكد، حَتَّى قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجَارِ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ» رواه البخاري.

وإكرام الجار دليلٌ عَلَى خيرية المكرِم له، ولذلك جاء في حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الجِيرَانِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ» رواه التِّرْمِذِيّ، وصححه الألباني.

هذِه شهادة بالخيرية من النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَخَيْرُ الجِيرَانِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ».

وإيصال الأذى إِلَى الجار من كبائر الذنوب:

- جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أنَّ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ» وَهذَا عند مسلم في الصحيح.

- وعن أبي شريح، أنَّ النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ» قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ».

قَالَ العلماء: معنى «بَوَائِقَهُ»: شروره، لا يأمن جاره شروره، فيوصِل الأذى إِلَى الجار، وَهذَا أمرٌ عظيم.

ومن حق الجار أن تحب له ما تحب لنفسك، فتفعل معه ما تحب أن يفعل معك؛ أنت تحب من جارك إذا رأى عيبًا منك أو من أهلك، أن يستر هذَا العيب، فأحِب له ذلك واستر عيبه إن رأيت فيه عيبًا، فَهذَا من كمال الإيمان.

والأخوة في الله شأنها عظيم، وستأتينا إِنْ شَاءَ اللَّهُ في حديث مستقل، لكن المراد هنا: أنَّ من حقوق الأخوة الصادقة في الله، أن تحب لأخيك المسلم ما تحب لنفسك، أنت تحب لنفسك أن تكون من أهل الجَنَّة، فأحب لأخيك المؤمن أن يكون من أهل الجَنَّة بنصحه؛ إذا رأيتك يترك واجبًا، انصحه، إذا رأيته يفعل حرامًا، انصحه؛ لأن هذَا طريق دخول الجَنَّة.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٥٩ - وَعَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، **قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اَللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَيُّ اَلذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا، وَهُوَ خَلَقَكَ»، قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.**

(الشَّرْحُ)

هذَا الحديث في الصحيحين: (**وَعَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، **قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اَللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَيُّ اَلذَّنْبِ أَعْظَمُ؟**) فدل هذَا عَلَى أنَّ الذنوب تتفاوت وليست في درجة واحدة، بل بعضها أعظم إثمًا من بعض.

(**أَيُّ اَلذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ:** «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا، وَهُوَ خَلَقَكَ») أعظم الذنوب عَلَى الإطلاق: الشِّرْك بالله عَزَّوَجَلَّ، وهو الظُّلْم العظيم.

(**قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ:** «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ») وتقدم هذَا معنا في وأد البنات، ويدخل فيه -كَمَا قُلْنَا-: العزل خشية الفقر، فإنه حرامٌ عند المحققين.

(قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ») وَهذَا وجه الشَّاهِد والمناسبة للباب، «أَنْ تُزَانِيَ» لاحظوا يا إخوة: ما قَالَ: أن تزني، «أَنْ تُزَانِيَ» ومعناها: مفاعلة، فيزني بها برضاها -وَالعِيَاذُ باللهِ-، فهو يسعى في إفسادها حَتَّى يوقعها في الزنا. وحليلة الجار: هي زوجة الجار.

وإثم الزنا بزوجة الجار أو بابنة الجار أو نحو ذلك، أعظم بكثير من الزنا بامرأة بعيدة. كله شر، وكله من قبائح الذنوب، ومن كبائر الذنوب، لكن الزنا بامرأة الجار أو ببنته أو نحو ذلك أقبح.

فقد جاء عن المقداد بن الأسود، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «مَا تَقُولُونَ فِي الزِّنَا؟»، قَالُوا: حَرَّمَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرِ نِسْوَةٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ».

النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سألهم: «مَا تَقُولُونَ فِي الزِّنَا؟»؛ ليوطئ لِما بعده، وَإِلَّا فحرمة الزنا معروفة عندهم، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرِ نِسْوَةٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ».

ثُمَّ قَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي السَّرِقَةِ؟»، قَالُوا: حَرَّمَهَا اللهُ وَرَسُولُهُ فَهِيَ حَرَامٌ، قَالَ: «لَأَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ أَبْيَاتٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ جَارِهِ» رواه الإمام أحمد والبخاري في "الأدب المفرد" والطبراني، وصححه الألباني.

ويعظُم الأمر ويشتد القُبح إذا كان زوج المرأة غائبًا؛ فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ الَّذِي يَجْلِسُ عَلَىٰ فِرَاشِ الْمُغِيبَةِ مَثَلُ الَّذِي يَنْهَشُهُ أَسْوَدُ مِنْ أَسَاوِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» رواه الطبراني، وحسَّنه الألباني.

«مَثَلُ الَّذِي يَجْلِسُ عَلَىٰ فِرَاشِ الْمُغِيبَةِ» الَّتِي غاب زوجها «مَثَلُ الَّذِي يَنْهَشُهُ أَسْوَدُ مِنْ أَسَاوِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، فإنْ كان غياب الزوج في أمرٍ مشروع؛ كغيابه في طلب الجهاد أو في طلب العلم، كان الأمر أعظم قبحًا.

ففي حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلًا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ فَيَخُونُهُ فِيهِمْ، إِلَّا وُقِفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَأْخُذُ مِنْ حسناته مَا شَاءَ حَتَّىٰ يرضىٰ» رواه مسلم في الصحيح.

النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ»، والجهاد أعم من القتال؛ طلب العلم من الجهاد، بل شيخنا الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ كان يقول: "**جهاد هذا الزمان، طلب العلم**". فإذا كان الإنسان مسافرًا لغرض شرعي؛ ذهب للعمرة، ذهب للحج، ذهب لطلب العلم، ذهب للجهاد، فحرمة امرأته عَلَى القاعدين كحرمة أمهاتهم، فكيف بحرمة امرأة الجار عَلَى جاره إذا غاب الجار لأمر مشروع؟!

ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلًا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ» عَلَى العموم الَّذِي ذكرناه «فِي أَهْلِهِ فَيَخُونُهُ فِيهِمْ، إِلَّا وُقِفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» يُوقِفه الله له يوم القيامة ويقال له: خذ من حسناته حَتَّى ترضى، ولذلك النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التفت إليهم، وَقَالَ: «فَمَا ظَنُّكُمْ؟» يعني: في ذاك اليوم الَّذِي يحتاج الإنسان فيه إِلَى الحسنة الواحدة، هل سيترك من حسناته شيء؟ لن يترك من حسناته شيئًا. وَهذَا يدل عَلَى عِظم الأمر.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٦٠ - وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **قَالَ: «مِنْ اَلْكَبَائِرِ شَتْمُ اَلرَّجُلِ وَالِدَيْهِ». قِيلَ: وَهَلْ يَسُبُّ اَلرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ. يَسُبُّ أَبَا اَلرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.**

(الشَّرْحُ)

هذَا لفظ مسلم، أما لفظ البخاري، قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ» هذَا يا إخوة عقوق الوالدين بِالتَّسَبُّبِ.

- قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ اَلْكَبَائِرِ».

- وفي رواية البخاري: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ».

- وجاء أَيْضًا أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَكْبَرَ الْكَبَائِرِ عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ» -يعني: بعد الشِّرْك-، قِيلَ: وَمَا عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ؟ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ» رواه أحمد، وَقَالَ الأرناؤوط: صحيح عَلَى شرط مسلم.

هذَا العقوق بِالتَّسَبُّبِ؛ «مِنْ اَلْكَبَائِرِ شَتْمُ اَلرَّجُلِ وَالِدَيْهِ» الصَّحَابَة فِطَرهم سليمة، قالوا: (وَهَلْ يَسُبُّ اَلرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟)، فَقَالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ» يسبُّ والديه، كيف؟ «يَسُبُّ أَبَا اَلرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ».

إذا كان هذَا يا إخوة في السَّبِّ بِالتَّسَبُّبِ، فكيف بِالسَّبِّ مباشرة -وَالعِيَاذُ باللهِ-!

اليوم ضعُفت التربية، وكثر العقوق؛ الولد اليوم يسب أباه ويسب أمه مباشرة، يلعن أباه من أجل الدنيا، ويلعن أمه من أجل الدنيا، وينسب النقائص إِلَى أمه وأبيه من أجل الدنيا، وَهذَا أقبح وأعظم من السَّبّ بِالتَّسَبُّبِ. وَهذَا يدل عَلَى عِظَم الأمر، وأنَّ الولد يجب عليه وجوبًا عينيًّا مؤكدًا أن يحذر من شتم والديه بالمباشرة ولو بأدنى كلمة.

بعضهم إذا طلب من أبيه مثلًا شيئًا، فَقَالَ له أبوه: لا يا ولدي، هذَا حرام، أو هذَا ما يصلح. قَالَ: أنت معقد. هذَا شتْم، حرام، لا يجوز. وبعضهم -وَالعِيَاذُ باللهِ- ربما ارتفع إِلَى لعن والديه.

وَأَمَّا التَّسَبُّب، فما أكثر مَن يفعله! يختصم مع رجل فيقول له: لعنك الله. فيقول له الرجل: لعنك الله ووالديك. وَهذَا كثير اليوم في النَّاس، وَهذَا من كبائر الذنوب، بل من أكبر الكبائر.

والواجب علينا: أن نحذَر، وأن نحذِّر من هذَا.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٦١ - وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا اَلَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(الشَّرْحُ)

(وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ..»)

والهجر: هو القطيعة، أن يقاطعه.

«أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا» النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسَّر الهجر، ما هو الهجر؟ أنهما يلتقيان، فإذا رأى أَحَدُهُمَا الآخر أعرض عنه، وربما سلك طريقًا آخر، هذَا الهجر، «وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ».

قَالَ ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: "**أجمع العلماء عَلَىٰ أنه لا يجوز للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**" أي: من أجل الدنيا، أن يهجر أخاه المسلم أيًّا كان فوق ثلاث.

ومعنى هذَا: أنه يجوز للمسلم أن يهجر أخاه المسلم ثلاث ليال حَتَّى تهدأ نفسه، ولا يجوز أن يزيد عَلَى ثلاث، بل الزيادة عَلَى ثلاث محرَّمة إذا كان الهجر من أجل الدنيا. وكلما زادت الأيام، كلما عظُم الذنب.

ولذلك جاء في حديث أَبِي خِرَاشٍ السُّلَمِيِّ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ» رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني.

بعض النَّاس إذا هجر أخاه أربعة أيام، خمسة أيام، قَالَ: خلاص، قد هجرناه. ويستمر في الهجران، كلما زادت الأيام، كلما زاد الإثم وعظُم، فلو أنك هجرت أخاك سنة كاملة، هذَا كقتله عمدًا في الإثم -وَالعِيَاذُ باللهِ-.

وهجر المسلم للمسلم فوق ثلاث من أجل الدنيا، سببٌ لتأخير مغفرة الله للعبد؛ ففي حديث أبي هريرة، أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا». أي: أخِّروا هذين عن المغفرة حَتَّى يصطلحا.

لا تقل: الحق لي، والحق عليه. أنت وهو في العقوبة سواء ما دمتما متهاجرين، أنت هاجِر وهو هاجِر، سواء كان المتسبب هو أو كنت أنت المتسبب.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»، وَهذَا علاج للنَّفْسِ البشرية؛ لأن الشيطان قد يأتي للإنسان ويقول: كيف تذهب أنت إليه؟! أنت أكبر منه، أنت أعلى مقامًا منه. النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»، فمن بدأ بالسلام فهو خيرٌ.

وقد اختلف العلماء: هل يكفي السلام في قطع الهجران؟ وَالظَّاهِر واللهُ أَعْلَمُ أنه يكفي، إِلَّا إذا علِم المسلم من أخيه أنَّ السلام عليه لا يكفيه في هذَا، فيزيد ما يرفع الهجران.

يعني: لو أنك كنت متهاجرًا مع أخيك، فجئت فقلت له: السلام عليكم. الأصل أنَّ هذَا يكفي في رفع الهجران ورفع الإثم، إِلَّا إذا علِمت من أخيك أنَّ تسليمك عليه لا يكفي في رفع الهجران، فإنك تزيد ما يرفع الهجران.

- **يقول قائل:** أنا حاولت ولكنه يأبى.

✍ إذا حاولت؛ فقد برِأت، ويبوء هو بالإثم، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا يَكُونُ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ مُسْلِمًا فَوْقَ ثَلَاثَةٍ، فَإِذَا لَقِيَهُ سَلَّمَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ كُلُّ ذَلِكَ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِإِثْمِهِ» رواه أبو داود، وحسَّنه الألباني.

فلو أنك لقيت أخيك الَّذِي هجرك فسلَّمت عليه: السلام عليكم. فلم يرد عليك. السلام عليكم. فلم يرد عليك. السلام عليكم. فلم يرد عليك، باء هو بالإثم وبرِأت أنت. وفي حديث هشام ابن عامر، قَالَ: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لَا يَحلُ لِمسلمٍ أَنْ يُصارِمَ مُسلمًا فَوق ثَلاثٍ، وَإنهُما نَاكبَان عَن الحَق مَا كانا عَلىٰ صِرامِهمَا، وإنَّ أَولَهُما فَيئًا» أي: رجوعًا «يَكونُ سَبْقُهُ بالفَيء كَفَّارَةً له، وإنْ سَلَّمَ عَليه فلمْ يَقبلَ سَلامَهُ، ردَّت عَليه الملائكة، وردَّ عَلَىٰ الآخَرِ الشيطانُ، وَإنْ مَاتا عَلىٰ صِرامِهِمَا لَم يَدخُلا الجَنَّة معًا» رواه أحمد وابن حبان، وصححه الألباني.

انظروا يا إخوة هذا الشأن العظيم! النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لَا يَحلُ لِمسلمٍ أَنْ يُصارِمَ مُسلمًا فَوق ثَلاثٍ، وَإنهُما» إذا تهاجرا «نَاكبَان عَن الحَق مَا كانا عَلىٰ صِرامِهمَا، وإنَّ أَولَهُما فَيئًا» يكون رجوعه كفارةً له ويرتفع عنه الذنب والإثم، «وإنْ سَلَّمَ عَليه فلمْ يَقبلَ سَلامَهُ، ردَّت» عَلَى المسلِّم

«الملائكة، وردَّ عَلَىٰ» الساكت الَّذِي لا يقبل السلام «الشيطانُ، وَإِنْ مَاتا عَلىٰ صِرامِهِمَا» ماتا متهاجرين «لَم يَدخُلا الجَنَّة معًا» لا يجتمعان في الجَنَّة -وَالعِيَاذُ باللهِ-.

هذَا يا إخوة إذا كان المهجور أخًا مسلمًا، فكيف إذا كان المهجور قريبًا مسلمًا؟! العم وابن أخيه يتهاجران من أجل قطعة أرض، أبناء العموم يتقاطعون ويعيشون في حيٍّ واحد، وربما مرت السَّنة والسنتان والثلاث والأربع لم يسلِّم واحد منهما عَلَى الآخر؛ بسبب أنَّ أحدهم خطب ابنة الآخر لابنه فلم يرَ ذلك مصلحةً في ذلك، فلم يعطه، وربما كان الأخ بجوار أخته ويهجرها خمس سنين أو ست سنين أو سبع سنين من أجل الدنيا.

لَا شَكَّ يا إخوة أنَّ الأمر خطير، وهي سيئاتٌ مستمرة، نعوذ بالله من ذلك، وإن ماتا عَلَى المقاطعة فلن يجتمعا في الجَنَّة؛ الجزاء من جنس العمل، كما تفارقا في الدنيا فلن يجتمعا في الجَنَّة، مع أنَّ الأهل يتزاورون في الجَنَّة، بل إنَّ مَن ارتفع من الأهل؛ كالأب أو الولد، رُفِع أبوه إليه، لو كان الابن مثلًا لصلاحه رُفِعت درجته في الجَنَّة وكان الأب دونه في درجات الجَنَّة، فإنَّ الله يرفع الأب إِلَى درجة ابنه، والعكس، لكن إذا مات القريبان أو الأخوان متصارمين متهاجرين، لم يجتمعا في الجَنَّة وَالعِيَاذُ باللهِ.

ولذلك يا إخوة الواجب: أنَّ مَن علِم من نفسه الهجران مع قريبه من أجل الدنيا، الواجب أن يسارع ويبادر إِلَى قطع هذِه القطيعة.

- **طيب عندنا مسألة:** هل يجوز الهجران فوق ثلاث من أجل الدين؟

✍ **الجواب:** نعم، يجوز، ولو سنة، ولو سنتين، ولو ثلاث سنين؛ لأن هذِه عبادة، تتقرب إِلَى الله بالهجران، مثل هجر المبتدع، وهجر الفاسق المعلِن فسقه، هذِه عبادة ولا تُحَد بثلاث، ما دام أنَّ الْسَّبَب موجود فإنه يُهجَر.

طيب، إذا كان إنسان يتضرر من صلة إنسان في دينه أو دنياه، هل يجوز له أن يهجره؟

يتضرر منه في دينه؛ مثل: أن يدعوه إِلَى الضلالة -وَالعِيَاذُ باللهِ-، إذا جاء عنده زيَّن له الحرام وقرَّبه من الحرام، فيخاف أن يذل بسببه.

أو في دنياه؛ مثلًا: بعض النَّاس يقول: امرأتي إِذا ذهبت إِلَى جيراننا مثلًا، تعود متغيرة عليَّ، وتطلب أمورًا أنا ما أطيقها، وأتضرر بهذا، هل يجوز الهجر هنا؟

- ذَكَرَ الحافظ ابن عبد البر: أنه يجوز؛ لأنه هنا من باب منع الضرر.

✍ قلتُ: إذا تعيَّن هذَا، أما إذا أمكن دفع الضرر بغير الهجران، فلا يجوز الهجران، ولاسيما إذا كان الضرر دنيويًّا، لكن إذا تعيَّن فلم يجد الإنسان ما يدفع به الضرر عن نفسه إِلَّا بالهجران، فإنه يجوز ولو فوق ثلاثة أيام، وَهذَا المترجح من كلام أهل العلم.

ولعلنا نقف هنا لنترك فرصةً لإخواننا الصائمين، ولمن أراد أن يتوضأ، واللهُ أَعْلَمُ، ونعود للدرس بعد المغرب، واللهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ

المجلس (٤)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إله الأولين والآخرين، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ المبعوث رحمةً للعالمين، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أجمعين؛ أَمَّا بَعْدُ:

فمعاشر الفضلاء! نواصل هذِه الوقفات مع أحاديث النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نفهم معناها، ونجتني من جناها من خلال شرح كتاب الجامع من "**بلوغ المرام**".

ونواصل قراءة هذِه الأحاديث، فيتفضل الشيخ رفاعي وَفَّقَهُ اللهُ يقرأ لنا.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ وحده، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ مَن لا نبي بعده، وَبَعْد:

فَقَالَ الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

١٤٦٢ - عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ» أَخْرَجَهُ اَلْبُخَارِيُّ.

(الشَّرْحُ)

هذَا الحديث العظيم، قَالَ الحافظ: (**أَخْرَجَهُ اَلْبُخَارِيُّ**)، قلت: وهو كذلك عند مسلم من حديث حذيفة، فالبخاري أخرجه عن جابر، ومسلم أخرجه عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(**عَنْ جَابِرٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ**») والمعروف: كل ما عُرِف أنه خير، كل ما عُرِف أنه خير إذا أديته إِلَىٰ غيرك فقد تصدَّقت عليه.

ومقصود الحديث: أنَّ الصدقة ليست محصورةً في المال، وليست خاصةً بالأغنياء، بل كل معروفٍ صدقة؛ فالعالِم يتصدق، وصاحب المال يتصدق، والجار يتصدق، والفقير يتصدق، بإيصال المعروف إِلَى غيره.

ولذا جاء في حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ ناسًا من أصحاب النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**يَا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ**" يعني: ذهب أهل الأموال بالأجور، "**يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ**" أي: ولا نتصدق نحن؛ لأنه ليس عندنا فضول أموال.

فقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟**» أي: ما تصَّدقون به، «**إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ**» رواه مسلم.

هؤلاء الصَّحَابَة، وأكثر الصَّحَابَة فقراء، أكثر صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا فقراء، جاءوا إِلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشتكون، لا يشتكون الأغنياء من أجل الدنيا، لا من أجل أنَّ عندهم كذا وهم ليس عندهم ذلك، وَإِنَّمَا من أجل الآخرة والعمل الصالح والفضل، فقالوا: "**يَا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ**" يعبدون الله كما نعبد، ويزيدون علينا بالصدقة.

فكأن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لهم: مَن قَالَ لكم إنكم لا تتصدقون؟! أنتم أَيْضًا تتصدقون وإن لم يكن عندكم مال، كيف تتصدقون؟ أولًا بذِكر الله، كل ذِكر لله عَزَّوَجَلَّ منك، يُكتَب لك به أجر الصدقة فوق أجر الذِّكر؛ فكل تسبيحة صدقة، إذا قلت: "**سُبْحَانَ اللهِ**" كتب الله لك أجر الذِّكر، وكتب الله لك أجر صدقة، إذا قلت: "**الحَمْدُ للهِ**" كتب الله لك أجر الذِّكر وكتب لك أجر صدقة، وهكذا في بقية الذِّكر.

«وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ» إذا أمرت مسلمًا بالمعروف، فإنَّ لك مع أجر الأمر بالمعروف أجر صدقة، وإذا نهيت عن منكر، فإنَّ لك مع أجر النَّهْي عن المنكر صدقة، بل لو أنَّ الرجل أتى امرأته فإنَّ هذِه صدقة.

وقد استغرب الصَّحَابَة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِم، فقالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: نعم. هذَا معنى كلامه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟» بلى. قَالَ: «فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ».

وَأَيْضًا في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ سُلَامَىٰ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ» يعني كل مفصل من مفاصل جسدك عليه صدقة؛ لأنه نعمة من الله، هذَا الْمَفْصَل الَّذِي لا تملك أنت منه شيئًا يحرِّكه الله – لك ويحقق مصالحك، فهو نعمة عظيمة من الله، عليك بكل مفصل صدقة، «كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ».

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ» إذا وجدت متخاصمين فأصلحت بينهما، صدقة، حكمت بينهما، صدقة.

«وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ» إذا خرجت من بيتك ورأيت جارك يحمل أشياء في سيارته، فحملت معه ووضعتها في سيارته، صدقة.

«وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ» وأبخل الناس مَن بخِل بالكلمة الطيبة، الكلمة الطيبة إذا ابتغيت بها وجه الله، صدقة. أنت تقول لجارك: كيف حالك يا فلان؟ تبتغي الأجر من الله. هذه صدقة. أن تُحدِّث جارك بالكلام المباح لتدخل السرور على قلبه، هذه صدقة. كلام مباح في أمور الدنيا المباحة، ليس حرامًا، ولا واجبًا، ولا مستحبًّا، كلامنا المعتاد فيما بيننا، الكلام المباح، إذا نوينا بذلك إدخال السرور على أخينا، هذه صدقة.

«وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَىٰ الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ» عندما تتوضأ في بيتك وتخرج إلى الصلاة، فإنه يُكتَب لك بكل خطوة تمشيها حسنة، وفي رواية صحيحة: «عشر حسنات»، ويُمحى عنك بها خطيئة، وترفع

لك بها درجة، ويُكتَب لك بكل خطوة أجر صدقة. وفوق هذا يا عبد الله، تُكتَب من المصلين من حين خروجك من بيتك إلى أن ترجع إليه.

أنتم الآن في الدورة تتوضؤون في بيوتكم قبل العصر، وتأتون إلى المسجد لصلاة العصر وتبقون إلى صلاة المغرب، ثم إِلَى صلاة العشاء، ثُمَّ بعد العشاء، ثُمَّ ترجعون إِلَى البيوت، منذ أن خرجتم قبل العصر إِلَى أن تصلوا إِلَى بيوتكم، يُكتَب لكم أجر الصَّلَاة، كل هذَا الوقت يُكتَب لكم فيه أجر الصَّلَاة؛ بهذا صحَّ الحديث عن النَّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ولذلك تعجب كيف يكْسَل بعض اَلرِّجَال عن صلاة الجماعة مع ما فيها من عظيم الثواب، كل خطوة تمشيها إِلَى الصَّلَاة صدقة.

«وَتُمِيطُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» متفقٌ عليه، رواه الشيخان.

وفي حديث أبي ذر: «أَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَة» وهذَا تقدم، «وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ البَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ»، ما معنى هذَا؟

أن تأخذ كفيفًا أو عنده عشى في عينيه، تأخذه لتوصله إِلَى الطرف الآخر من الطريق، هذِه صدقة. تنظر إِلَى الشَّيْء وتقول له: هذَا الشَّيْء صفته كذا وكذا -له فيه مصلحة-، صدقة. أن تجعل عينيك محل عيني الأعمى لتحقيق مصلحته، لك صدقة.

«وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِيءِ البَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالعَظْمَ مِن الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»، عندك دلو ماء فأفرغت لأخيك منه، أتيت بتانك ماء وأفرغت في خزان جارك منه، لك صدقة، مررت في الطريق وإذا بصاحب سيارة متوقف في الطريق، انقطع بسبب انقطاع البنزين، فأفرغت له من البنزين الَّذِي في سيارتك، لك صدقة. والحديث رواه التِّرْمِذِيّ، وصححه الألباني.

وفي هذَا نعرف سِعة ديننا، وأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ فتح لنا أبواب الجنات، ووسع لنا، ولكنا نظلم أنفسنا بالتقصير، والله يا إخوة ما فيه عذر لأحد، فينبغي علينا أن نسعى في إرضاء ربنا سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٦٣ - وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنْ اَلْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ».

(الشَّرْحُ)

هذَا الحديث رواه الإمام مسلم، وهو تابع للحديث الَّذِي قبله: (وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنْ اَلْمَعْرُوفِ شَيْئًا») بل ابذل المعروف، «وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ» أو طليق، أي: بوجه منبسط الأسارير، لا تجهُّم فيه ولا تقطيط، أن تلقى أخاك بوجهٍ منبسط، بوجهٍ مبتسم.

وفي حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ» رواه التِّرْمِذِيّ، وصححه الألباني.

بمجرد أن تلقى أخاك فتتبسم له، هذِه صدقة، وأبخل النَّاس مَن بخِل بالبسمة، فالبسمة لا تكلف شيئًا، فالبخيل مَن بخِل بها، يبخل عَلَى نفسه ويبخل عَلَى إخوانه.

والابتسامة في وجوه النَّاس ابتغاء وجه الله عَزَّوَجَلَّ فيها منافع عظيمة؛ فهي صدقة، وهي تقرِّب النَّاس إليك، وتحبب النَّاس في الخير الَّذِي معك. أنت إذا لقيت وأنت تبتسم، تبتغي بذلك مرضات الله، كُتِب لك أجر الصدقة وأحبك النَّاس؛ لأن مِن فطرة الإنسان أن يحب الإنسان الَّذِي يلقاه بوجهٍ طلقٍ، منبسط، مبتسم، وتُحبِّب النَّاس في الخير الَّذِي معك.

بعض النَّاس يا أحبة يبغِّض النَّاس في الخير الَّذِي معه بشيء بسيط جدًّا، وهو أن يلقاهم بوجهٍ متجهِّم، فينفر النَّاس من الخير الَّذِي عنده، فلا إله إلَّا الله، ما أعظم هذَا الدين!

النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنْ اَلْمَعْرُوفِ شَيْئًا»، «شَيْئًا» في سياق النَّهْي فتعم كل شيء مهما صغُر، «وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ».

ومعنى ذلك يا إخوة: ابذل المعروف الَّذِي عُلِم أنه خير ما استطعت إِلَى ذلك سبيلا؛ بسمة، كلمة طيبة، هدية يسيرة، ونحو ذلك.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٦٤ - وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ» أَخْرَجَهُمَا مُسْلِمٌ.

(الشَّرْحُ)

وَهذَا أَيْضًا تابع للأول من سِعة الصدقة: عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً»، المرقة: هي الماء يُوضع فيه اللحم فيُطبَخ.

«إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا» ما قَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فأكثر لحمها، «فَأَكْثِرْ مَاءَهَا» لا يكلفك شيئًا، إذا طبخت المرقة وهي ما يسمونه اليوم شوربة اللحم، زِد في الماء، «وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ» يعني: تفقَّد جيرانك وأعطهم من هذِه المرقة.

جاءت الرواية الأخرى عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "**إن خليلي**" .. طبعًا يا إخوة يصح للصحابي أن يقول عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خليلي؛ يعني أنه يحب النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محبة شديدة؛ لأن الخلة أعلى درجات المحبة، لكن النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يتخذ من البشر خليلًا، ولذلك قَالَ: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، لكن الله اتخذني خليلًا**» صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَالنَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خليل الله، كما أنَّ إبراهيم عليه السلام خليل الله، لكن يجوز للمسلم أن يقول عن النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنه خليلي؛ لأن هذَا ليس ممنوعًا.

يقول أبو ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ خَلِيلِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصَانِي: «**إِذَا طَبَخْتَ مَرَقًا فَأَكْثِرْ مَاءَهُ، ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ، فَأَصِبْهُمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ**» بشيء. رواه مسلم في الصحيح.

وفي رواية عند التِّرْمِذِيّ: «**وَإِنْ اشْتَرَيْتَ لَحْمًا أَوْ طَبَخْتَ قِدْرًا فَأَكْثِرْ مَرَقَتَهُ وَاغْرِفْ لِجَارِكَ مِنْهُ**» رواه التِّرْمِذِيّ، وصححه الألباني.

فمن المستحب أن نصل الجيران بشيء من طعامنا، وَهذَا كان من عادات الأقدمين، وإن كنا في هذَا الزمان فقدنا كثيرًا من الأخلاق الطيبة بين الجيران. اليوم قد يسكن الجيران في حيٍّ واحد، لا يعرف الجار اسم جاره، فضلًا عن قضية الصلة بين الجيران، كان قديمًا إذا طبخ أهل البيت شيئًا وُزِّع عَلَى الجيران، وهؤلاء يرسلون شيئًا، وهؤلاء يرسلون شيئًا، وهؤلاء يرسلون شيئًا، وَهذِه من أخلاق الإسلام، من المستحبات، وما أجمل أن نحييها! فإذا طبخنا طعامًا زدنا فيه، ولو أن نزيد المرقة وأرسلنا إِلَى جيراننا.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٦٥ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ اَلدُّنْيَا، نَفَّسَ اَللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ اَلْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اَللهُ عَلَيْهِ فِي اَلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اَللهُ فِي اَلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاَللهُ فِي عَوْنِ اَلْعَبْدِ مَا كَانَ اَلْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

(الشَّرْحُ)

نعم، وبعضه أَيْضًا عند البخاري من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

هذَا الحديث العظيم جمع جملًا من الخير، يقول النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَّسَ»، معنى نفَّس: أي أزال وفرَّج ووسَّع عَلَى المكروب، أزال الكربة عنه وفرَّج عنه ووسَّع عليه.

«مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً» الكربة: الشدة والضيق الَّتِي تصيب صاحبها بالهم والغم؛ إنسان مثلًا مرتبه قليل، في الغالب أنه في آخر الشهر يكون في كربة، فيه شدة تصيبه بالهم والغم كيف يدبر أكل أولاده في هذِه الأيام في آخر الشهر، هذِه كربة.

«مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ اَلدُّنْيَا، نَفَّسَ اَللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ اَلْقِيَامَةِ» فالجزاء من جنس العمل، من جهة الجنس، وَإِلَّا لَا شَكَّ أَنَّ فضل الله عَلَى العبد أعظم، ومجازاة الله للعبد أعظم، لكن من حيث الجنس، إذا فرجت عن مسلم كربة من كرب الدنيا، فرَّج الله عنك كربة من كرب يوم

القيامة. ويوم القيامة كرب شديدة، لَا شَكَّ يا إخوة أنَّ كربة الدنيا تعد حقيرةً قليلةً بالنسبة لكرب الآخرة، والجزاء من جنس العمل.

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»، «وَمَنْ يَسَّرَ» أي: سهَّل، فنقل أمره من العسر ـ إِلَى اليسر ـ «عَلَىٰ مُعْسِرٍ» المعسر ـ: هو الَّذِي حصل له الإعسار في المال، فكان الداخل عليه مثل الَّذِي ينفقه في المعتاد أو أقل من ذلك.

- مَن هو المعسر؟

✍ هو الَّذِي حصل له إعسارٌ في ماله، فأصبح الداخل عليه، الَّذِي يدخل عليه من المال؛ إِمَّا أقل من نفقاته المعتادة، أو يساوي نفقاته المعتادة وعليه دين. هذَا نقول: الآن أصبح معسرًا. أنا عليَّ دين، وأصبح الأموال الَّتِي تدخل عليَّ اليوم تغطي نفقاتي المعتادة أو أقل من ذلك، يقال لي: معسر ـ فمَن يسَّر ـ عَلَى المعسر ـ «يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»، والحظوا هنا: التيسير في الدنيا وَالآخَرة من الله عَزَّوَجَلَّ.

والتيسير عَلَى المعسر ـ فيه فضل عظيم؛ عن بريدة الأسلمي، عن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا كَانَ لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ، وَمَنْ أَنْظَرَهُ بَعْدَ حِلِّهِ كَانَ لَهُ مِثْلُهُ، فِي كُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ» رواه الإمام أحمد وابن ماجه، وصححه الألباني.

ما معنى هذَا الحديث؟

«مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا» أيك أخَّره، إذا كان لك عَلَى أخيك دين، فعلمت أنه معسر ـ فقلت له: نؤجل سداد الدين سنة، ما جزاء ذلك؟ «كَانَ لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ»، هذَا إذا أنظره قبل حِله، قبل أن يحل الموعد قَالَ له: يا أخي، أنا أرى أنك لا تستطيع الوفاء في الوقت، فأنا أزيدك سنة. بكل يوم أجر صدقة. فإنَّ أنظره بعد حلِّه، فإنَّ «لَهُ مِثْلُهُ» يعني: مثل الدين.

لو فرضنا أنَّ الدين ألف، فحلَّ الدين، فوجدت أنَّ أخاك المدين معسر ـ فقلت له: أُنظرك سنة كاملة. فإنَّ لك بكل يوم من هذِه السَّنة أجر الصدقة بألف.

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ» رواه مسلم في الصحيح.

هذِه فيه تفسير التيسير عَلَى المعسر ـ كيف يكون؛ إِمَّا بإنظاره، بتأخيره، أو بالوضع عنه، تقول له: يا أخي أنا أرى أنك ما تستطيع الوفاء، أنا أسقطت عنك نصف الدين، ما الجزاء؟ يظلك الله في ظله يوم لا ظل إِلَّا ظله. أو أَخَّرته، يظلك الله في ظله يوم لا ظل إِلَّا ظله.

وجاء عن أبي اليسر ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُظِلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، فَلْيُنْظِرْ مُعْسِرًا، أَوْ لِيَضَعْ عَنْهُ» رواه ابن ماجه، وصححه الألباني.

إذا أحببت أن يظلك الله في ظله يوم لا ظل إِلَّا ظله، في يوم عظيم تدنو الشَّمْس فيه من رؤوس الخلائق مقدار ميل، ويعرق النَّاس بمقدار أعمالهم وذنوبهم، إذا أردت أن يظلك الله في ظله فأنظِر معسرًا أو ضع عنه.

والتجاوز عن المعسرين بالإنظار أو الإسقاط بالكلية أو إسقاط بعض الدين، سبب لعفو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَانَ تَاجِرٌ» أي: في الأمم السابقة، في الأمم قبلنا، «كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُ» متفقٌ عليه.

وجاء تفسير هذَا وتفصيله في حديث ربعي بن حراج، عن حذيفة، قَالَ: "أُتِيَ اللهُ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ فَقَالَ: يَا رَبِّ آتَيْتَنِي مَالَكَ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ" يعني: أني أتجاوز عن المعسرين، "فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى الْمُوسِرِ، وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ" الموسر أقضي ـ منه القضاء، قضاء الدين بسماحة؛ «رَحِمَ اللهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى، سَمْحًا إِذَا اقْتَضَى». يقول: "فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى الْمُوسِرِ، وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ، فَقَالَ اللهُ: «أَنَا أَحَقُّ بِذَا مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي»" رواه مسلم في الصحيح.

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا»، «سَتَرَ» يعني: غطى عيبه ولم يفضحه بذنبه. مَن علِم من مسلم ذنبًا كان قد فعله، فستره وغطاه ولم يفضحه، ستره الله في الدنيا والآخرة، ومَن ستره الله مَن الَّذِي يفضحه؟! ومَن ستره الله في الدنيا، غفر له في الآخرة.

لكن لا يجوز للعبد أن يغتر بستر الله عليه في الدنيا فيستمر في الذنب، فإنَّ مَن استمر في الذنب، أوشك الله أن يفضحه ولو في داخل بيته.

قَالَ العلماء: "**يُشترط في المسلم الَّذِي يُستَر ألا يزيده السِّتر شرًّا**"، فإذا علِمت أنَّ السِّتر عليه يزيده في شره ويستمرئ الذنب، فَهذَا لا يُستَر، وَإِنَّمَا الَّذِي يُستَر، الَّذِي يُرجى خيره، ولا يُخشَى أن يزيد في الذنب من أجل الستر عليه.

قَالَ العلماء: "**السَّتر إِنَّمَا هو في ذنب قد مضىٰ وانقضىٰ، أما إذا علمت أنَّ المسلم عَلَىٰ ذنب، فيجب عليك أن تُنكِر عليه**".

بعض النَّاس يرى جاره مثلًا -وَالعِيَاذُ باللهِ- يُدخِل امرأةً أجنبية، ويقول: الله يستر علينا وعليه. لا، يُنكَر عليه حَتَّى يُمنَع من هذَا المنكر، فالسَّتر إِنَّمَا هو متعلق بالذنوب الماضية.

قَالَ العلماء: "**ومَن فعل ذنبًا ثُمَّ تاب منه، وجب عَلَىٰ المسلم ستره**"، إذا كان المسلم فعل ذنبًا ثُمَّ تاب، وعلِمت أنه فعل الذنب وعلِمت أنه تاب، ما يجوز لك أن تفضحه، وجب عليك أن تستره. وإذا فعل ذنبًا ولم يتب منه، نُدِب لك واستُحِب لك أن تستره، ما لم يكن سِترك له يزيده شرًّا، فإن سترت المسلم، سترك الله في الدنيا والآخرة.

«**وَاللهُ فِي عَوْنِ اَلْعَبْدِ مَا كَانَ اَلْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**» هذِه الجملة جمعت الخير كله، عونك لأخيك عَلَى الخير، ما تجوز الإعانة عَلَى الشر، وَإِنَّمَا الإعانة عَلَى الخير، عونك لأخيك عَلَى الخير سببٌ لأن يُعينك الله.

ولذلك قَالَ العلماء: "**يُستجلَب عون الله بعون المسلمين**"، إذا أردت أن يعينك الله عَلَى أمورك كلها، فأعن إخوانك عَلَى الخير، فـ«**اَللهُ فِي عَوْنِ اَلْعَبْدِ مَا كَانَ اَلْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**».

بعض النَّاس يقول: الله في عون العبد **ما دام** العبد في عون أخيه، وَهذَا ليس الَّذِي ورد، وَإِنَّمَا الَّذِي ورد: «**مَا كَانَ اَلْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**».

- **فإن قيل:** ما الفرق؟

✍ الفرق: أنه «مَا كَانَ» يحصل ولو بمرة واحدة، لكن "ما دام" معناه: أنه حَتَّى يُعينه الله، لَا بُدَّ أن يستمر في عون أخيه، وليس هذَا المراد. إذا أعنت أخاك مرة واحدة، أعانك الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وشرط هذَا العون -كَمَا قُلْنَا-: أن يكون عَلَى الخير، عَلَى البر وَالتَّقْوَى.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٦٦ - وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ دَلَّ عَلَىٰ خَيْرٍ، فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

(الشَّرْحُ)

هذَا حديث عظيم، (**وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ دَلَّ عَلَىٰ خَيْرٍ**»)، «**خَيْرٍ**»: نكرة في سياق الشَّرْط، فيعم كل خير صغيرًا كان أو كبيرًا، من أمور الدين أو من أمور الدنيا النافعة، «**فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**»، فإن فعل هذَا الأمر تقرُّبًا إِلَى الله، ولو كان من العادات، فإنَّ له أجرًا، وللدال أجرًا أَيْضًا.

فمن علَّم غيره خيرًا؛ رأيت إنسانًا لا يُحسِن الأذكار بعد الصَّلَاة، أو لا يذكر بعد الصَّلَاة، فعلَّمته الأذكار، أو عَلَى الأقل قلت له: إذا سلَّمنا نقول: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ. فأصبح هذَا الرجل كلما سلَّم يقول: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ. يكتب الله لك أجره، ولا ينقص ذلك من أجره شيئًا، فإن علَّم غيره، كتب الله لك أجر مَن يفعل بتعليمه، وهكذا.

لو علَّمت إنسانًا الفاتحة؛ رأيت إنسانًا يقرأ بجوارك الفاتحة وما يحسنها، فاحتسبت، بعد الصَّلَاة قلت له: يا أخي، تعال نصحح لبعضنا قراءة الفاتحة، وأخذت تقرأ معه حَتَّى تعلِّمه قراءة الفاتحة. كلما قرأ الفاتحة في صلاةٍ أو غيرها، كتب الله لك أجر قراءة الفاتحة، أنت نائم في البيت ويكتب الله لك أجر قراءة الفاتحة، فإذا ذهب هو وعلَّم أهله قراءة الفاتحة، كلما قرأ أهله الفاتحة، كتب الله لك أجر قراءة الفاتحة.

فمَن علَّم غيره خيرًا أو أشار عليه به، ففعل ذلك الخير، فإنَّ للدال أجر الفاعل، ولا ينقص ذلك من أجر الفاعل شيئًا.

ولذلك يا إخوة المسلم قد يأتي يوم القيامة وهو له حسنات كثيرة لم يعملها بنفسه؛ لأنه دل عَلَى الخير، وَالَّذِي دلَّه دلَّ غيره ودلَّ غيره، وربما يتوارث هذَا، ربما يتوارث هذَا، ربما يموت الإنسان ويُدخَل في قبره والله يكتب له أجر هذِه الأعمال.

ولذلك يا إخوة نحن نحرم أنفسنا من أجور كثيرة بعدم الحرص عَلَى دلالة النَّاس عَلَى الخير، والأمر سهل؛ إذا تعلَّمت علِّم، تعلَّمت جملة، علِّمها لمسلم، ولو لأهل بيتك، لزوجتك وأولادك.

وأنا ذكرت مرارًا للآباء، قلت: "**لا يسبقك أحدٌ لتعليم ابنك سورة الفاتحة**"، احرص عَلَى أنَّ الَّذِي يُحفِّظ ابنك الفاتحة أنت، قبل الشيخ وقبل المدرسين، لماذا؟ لأنه كلما قرأ ابنك سورة الفاتحة كتب الله لك الأجر، وابنك قد يُعلِّم أبناءه، وكلما قرؤوا كتب الله لك أجر الفاتحة، قد تموت وتُدخَل في قبرك وتبلى في قبرك وأنت يُكتب لك أجور قراءة الفاتحة، وَهذَا أمر عظيم.

وقد وقع هذَا في زمن النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وقد جاء رجل إِلَى النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يشكو أن مركوبه قد تلف، أن دابته الَّتِي يركبها تلفت، فَقَالَ له النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَا عِنْدِي**» ما عندي شيء أحملك عليه، "**فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا أَدُلُّهُ عَلَىٰ مَنْ يَحْمِلُهُ**" وَهذَا في غزو.

أراد النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن يغزو غزوًا، فجاء رجل وَقَالَ: "**إِنّه قد أُبْدِعَ بِي فَاحْمِلْنِي، فَقَالَ النبي** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَا عِنْدِي**»، **فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَا أَدُلُّهُ عَلَىٰ مَنْ يَحْمِلُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ دَلَّ عَلَىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**»"، فَهذِه قصة هذَا الحديث، هذَا سبب هذَا الحديث، ووقع هذَا في زمن النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في عدد من القصص.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٦٧ - وَعَنْ اِبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مِنْ اسْتَعَاذَكُمْ بِاَللهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاَللهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ أَتَىٰ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا، فَادْعُوا لَهُ» أَخْرَجَهُ اَلْبَيْهَقِيُّ.

(الشَّرْحُ)

هذَا الحديث العظيم (أَخْرَجَهُ اَلْبَيْهَقِيُّ) كما قَالَ الحافظ، وصححه النووي والألباني والشيخ مقبل الوادعي، وَقَالَ الشيخ الألباني والشيخ الوادعي: "صحيح عَلَىٰ شرط الشيخين".

قَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ اسْتَعَاذَكُمْ بِاَللهِ فَأَعِيذُوهُ» أي: مَن طلب العوذ منكم بالله، فحققوا له طلبه.

والاستعاذة: هي طلب منع الشر قبل وقوعه، هذِه الاستعاذة.

والاستغاثة: طلب رفع الشر عند وقوعه.

يعني: لو أنَّ شخصًا أراد ظالمٌ أن يضربه، فجاء إليك وَقَالَ: أعذني. هذِه استعاذة؛ لأنه طلب منك أن تمنع الضرب قبل أن يقع. شخص يضربه ظالم، فَقَال: يا فلان أغثني. هذِه إغاثة لأنه طلب منك أن ترفع الشر والضرر عند وقوعه.

والاستعاذة والاستغاثة بالحي القادر الحاضر فيما يقدر عليه، جائزة.

هل يجوز أن أستعيذ بمخلوق؟ الجواب: نعم:

- إذا كان حيًّا؛ وَهذَا يُخرِج الميت، فالاستعاذة بالأموات شرك.

- قادرًا في العادة، وَهذَا يُخرج الَّذِي لا يقدر.

- حاضرًا؛ وَهذَا يُخرج الغائب، فالاستعاذة بالغائب شرك، لكن أن تستعيذ بالمخلوق الحي القادر الحاضر فيما يقدر عليه عادةً، هذَا جائز.

أراد شخص أن يضربك، فقلت: يا فلان أعذني، يجوز، ما دام أنه حاضر حي قادر، وكذلك الاستغاثة ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥].

ولذلك قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ اسْتَعَاذَكُمْ بِاللَّهِ»، ما معنى «بِاللَّهِ» هنا؟ أي: طلب منكم العوذ بالله، فَقَالَ: بالله عليك أعذني. وأنت قادر عَلَى ذلك، فالمشروع لك أن تحقق له طلبه.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ». وفي رواية عند أبي داود وأحمد، وحسَّنها الألباني: «مَنْ سَأَلَكُمْ بِوَجْهِ اللهِ فَأَعْطُوهُ».

والسؤال بالله يشمل؛ طلب الأشياء الحِسِّيَّة، وطلب الأشياء المعنوية كَالْدُّعَاءِ. يعني: قد يأتيك إنسان ويقول لك: بالله عليك أعطني مبلغًا، أو يقول لك: بالله عليك ادعُ لي، أو يسألك عن العلم، قَالَ العلماء: يُشترط لمشروعية إعطائه ما سأل شروط:

⇦ **الشَّرْط اَلْأَوَّل**: ألا يسأل شيئًا يشق عن المسؤول أن يعطيه إياه.

ممكن يأتيك مثلًا إنسان -وقد يقع من بعض النَّاس- وأنت عند سيارتك، يقول: بالله أعطني سيارتك، فيشترط ألا يسأل شيئًا يشق إعطاؤه عَلَى المسؤول.

⇦ **وَالشَّرْط الثَّانِي**: ألا يضر إعطاؤه بالمسؤول، ألا يسبب الضرر لو أعطاه.

⇦ **وَالشَّرْط الثَّالِث**: ألا يكون في طلبه تعدي؛ ويكثر هذَا، بعض النَّاس يرسلون لنا رسائل وكذا، فيقول: أسألك بالله أن تدعو لي في كل سجود. وَهذَا واحد واثنين وثلاثة وأربعة وعشرة وعشرين ومائة، لو كنت سأدعو لكل مَن أرسل لي في كل سجود، ينتهي اليوم وأنا ما انتهيت من الصَّلَاة، هذَا تعدي. لو قَالَ مثلًا: أسألك بالله أن تدعو لي، فيحصل إذا دعوت له دعوة، هذَا يُشرَع أن أُجيبه، أما إذا كان فيه تعدي فلا.

الآن ذكرنا ثلاثة شروط:

- ألا يكون فيه مشقة عَلَى المسؤول.
- ألا يكون في ضرر عَلَى المسؤول.
- ألا يكون في سؤاله تعدي.

⇦ **الشَّرْط الرَّابع**: أن يسأل ما يحتاجه أو يسأل عما يحتاجه.

فإذا سأل ما لا يحتاجه، فإنه لا يُعطى؛ سأل شيئًا لا يحتاجه فإنه لا يُعطى، ولو سأل بالله. ولو سأل عما لا يحتاجه، لا يحتاج أن يسأل، قَالَ: كم راتبك؟ ما يحتاجه ولا ينتفع به. قَالَ: أنت كم تأخذ في الشهر؟ بالله عليك أخبرني، أسألك بوجه الله كم تأخذ؟ هذَا ما يدخل في الحديث ولا يُشرَع أن يُعطى.

لو سأل عن علم لا يحتاج إليه، فإنه لا يدخل في الحديث، هذَا لَا بُدَّ منه؛ لأن بعض النَّاس يفهم هذَا الحديث خطأً ويُحرِّج النَّاس، ويسألهم بوجه الله فيما؛ إِمَّا يشق عليهم، أو يضرهم، أو فيه تعدي ويوقعهم في الحرج، وَإِمَّا ما لا يحتاجه، حَتَّى المتسولين بعضهم سمع بهذا الحديث وأصبح يأتي يتسول يقول: بالله أعطني، أسألك بالله. فَهذَا إذا كان يحتاج، فإنه مشروع أن يُعطى بِالشُّرُوطِ الَّتِي ذكرناها، وَإِلَّا فلا.

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَمَنْ أَتَىٰ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ**» أي: مَن أوصل إليكم معروفًا، فقابلوا الإحسان بالإحسان، وأوصلوا إليه معروفًا، وَهذَا عَلَى الراجح من أقوال أهل العلم مقيد بما إذا لم يكن إيصال المعروف بطريق الشفاعة.

أما إذا كان إيصال المعروف بطريق الشفاعة الَّتِي نسميها نحن "**الواسطة**"، بطريق الجاه، فإنه لا يجوز أن يُعطَى هدية، ولا يجوز له أن يقبلها.

جئتني أنت وقلت لي: يا شيخ، أنت ابني مقدم في الجامعة وحافظ للقرآن ولعلك تشفع له. فراجعت أوراقه ووجدت أنه يستحق، وشفعت له أن يُقبَل في الجامعة، وقُبِل. فإذا به وهو قادم إِلَى المدينة، يحمل هديةً منك من أجل الشفاعة. لا يجوز لي أن أقبلها عَلَى الراجح من أقوال أهل العلم؛ لأن الشفاعة تُفعَل لوجه الله.

وقد جاء في حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ شَفَعَ لِأَخِيهِ بِشَفَاعَةٍ، فَأَهْدَىٰ لَهُ هَدِيَّةً عَلَيْهَا فَقَبِلَهَا، فَقَدْ أَتَىٰ بَابًا عَظِيمًا مِنْ أَبْوَابِ الرِّبَا**» رواه أبو داود، وحسَّنه الألباني.

انظروا: «مَنْ شَفَعَ لِأَخِيهِ بِشَفَاعَةٍ» من نفع أخاه بشفاعة، بواسطة، والشفاعة الحسنة يؤجر عليها الإنسان ويكون له نصيبٌ منها، وَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا جاءه أحد قَالَ لأصحابه: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا».

«مَنْ شَفَعَ لِأَخِيهِ بِشَفَاعَةٍ، فَأَهْدَىٰ لَهُ هَدِيَّةً عَلَيْهَا» انظروا إِلَى القيد، يعني لو أهدى له هدية من غير مقابلة للشفاعة؛ كأن كانا جيران ويتهادون في العادة، هذَا ما يدخل معنا، وَإِنَّمَا الَّذِي يدخل أن تكون الهدية من أجل هذِه الشفاعة، «فَقَبِلَهَا، فَقَدْ أَتَىٰ بَابًا عَظِيمًا مِنْ أَبْوَابِ الرِّبَا» أي أن هذَا حرام ولا يجوز.

أما إذا كان إيصال المعروف بغير الشفاعة، فإنه يُندَب ويُشرَع أن تكافئه عَلَى هذَا المعروف، هذَا إذا كان الأمر من باب مكافئة المعروف بالمعروف، أما الْدُّعَاء فيكون لكل مَن أوصل إليك معروف سواء بالشفاعة أو بغير الشفاعة.

وقد قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا، فَادْعُوا لَهُ»

وجاء عند النسائي وأبي داود بإسناد صححه الألباني: «فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا اللهَ لَهُ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»، والله ما عندك شيء تعطيه، ادعُ له حَتَّى ترى أنك قد كافأته.

يعني: أحيانًا مثلًا يكون المعروف يسيرًا، إذا قلت مثلًا: جزاه الله خيرًا وأحسن الله إليه، ترى أنك كافأته، وأحيانًا يكون المعروف كبيرًا، فتُكثر من الْدُّعَاء وتُطيل في الْدُّعَاء له، وَهذَا يكون لكل مَن أسدى إليك معروفًا، سواء كان في الشفاعة أو بغير الشفاعة.

أما المكافأة بمعروف مثله، فَهذَا مقيَّدة بما كان فيه إيصال المعروف بغير الشفاعة، وَهذَا من الحقوق.

لعلنا نقف هنا؛ لأن الحافظ سينتقل إِلَى باب جديد، وهو (بَابُ الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ)، وَهذَا يتصل بعضه ببعض، فلعلنا نقف هنا ونكمل غدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يفقهني وَإِيَّاكُمْ في دينه، وأن يرزقني وَإِيَّاكُمْ الإخلاص، وأن ينفعنا بالعلم، ويرفعنا بالعلم، وأن يجعل علمنا مِمَّا يسرنا إذا لقيناه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، أسأل الله أن يستعملني وَإِيَّاكُمْ في نشر التَّوحِيْد وَالسُّنَّة، وأن يكرمنا بذلك، وأن يجعلنا خُدَّامًا لدينه، وأن يثبِّتنا عَلَى ذلك إِلَى أن نلقاه، واللهُ أَعْلَمُ.

الأسئلة

قبل قراءة الأسئلة عَلَى الشيخ، نعتذر من الإخوة أننا نقرأ الأسئلة الخاصة بالدرس؛ لكثرة الأسئلة، فالأسئلة الَّتِي ستُقرأ عَلَى الشيخ مِمَّا له علاقة بالدرس.

السؤال: يقول السائل أحسن الله إليكم، كيف رد السلام في الصَّلَاة؟

الجواب: اختلف العلماء، هل يُشرَع إلقاء السلام عَلَى المصلي؟ فبعض أهل العلم قالوا: لا يُشرَع؛ لأن في الصَّلَاة شُغلًا، وبعض أهل العلم قالوا: لا بأس من أن يُسلِّم المسلم عَلَى المصلي، فإذا دخلت عليه ووجدته يصلي، فإنك تُسلِّم عليه.

طيب إذا سلمت عليه، كيف يرد؟ قَالَ العلماء: يرد بالإشارة بيده، يشير بيده. قلت: السلام عليكم. يشير بيده.

هل يُشرَع أن يقول ولو في نفسه: وَعَلَيْكُمْ السَّلام؟ الجواب: لا، لماذا؟ لأن هذَا من كلام البشر، هذَا خطاب للآدمي وَهذَا لا يصلح في الصَّلَاة.

ولذلك يا إخوة إذا عطس الإنسان وهو يصلي، فإنه يحمد الله، يقول: الحَمْدُ للهِ؛ لأن هذَا ذِكر لله، لكن الَّذِي يسمعه بجواره لا يقول له: يرحمك الله؛ لأنه إذا قَالَ: يرحمك الله، فَهذَا خطاب للآدمي، وَهذَا لا يُشرَع.

فلا يُشرَع وأن تصلي أن تقول مثلًا: وَعَلَيْكُمْ السَّلامُ، يعني بصوت خفيض وتشير بيدك، وَإِنَّمَا المشروع كما كان النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعل، كان يشير بيده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هذَا السؤال ذكَّرني بشيء، أمر معروف عند أهل العلم لكنه الآن كثير، وهو: إذا كتب لي شخصٌ رسالة ولو بالهاتف اليوم، إِمَّا رسالة نصية ولَّا عَلَى الواتس ولا كذا، وسلَّم عليَّ، فهل يجب عليَّ أن أرد السلام؟

الجواب: نعم، يجب أن ترد عليه السلام.

- طيب، كيف أرد عليه السلام؟

✍ الواجب الرد بالنطق؛ جاءتني الرسالة ولو بالهاتف: السلام عليكم، أقول: وَعَلَيْكُمْ السَّلامُ. السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، أقول: وَعَلَيْكُمْ السَّلامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، أو أزيد: وَبَرَكَاتُهُ.

ويستحب أن تكتب له الرد، يستحب كمال، عَلَى الراجح من أقوال أهل العلم أن تكتب له بها: وَعَلَيْكُمْ السَّلامُ وَرَحْمَةُ اللهِ. بعض أهل العلم أوجب هذَا، لكن هذَا محل نظر. من الكمال أن تكتب، والواجب: أن ترد.

وَهذَا نحتاجه الآن كثيرًا عندما تأتينا الرسائل في الهواتف ويُكتَب فيها السلام، فإنَّ الواجب أن نرد. بعض النَّاس يظن أنه ما دام أنه ما يسمعك ما يحتاج ترد، لا؛ ما دام سلَّم عليك وبلغك السلام، قل وجوبًا: وَعَلَيْكُمْ السَّلامُ، ولو كتبت له فَهذَا كمال.

السؤال: يقول السائل: يقول بعضهم: يجب عَلَى كل معيَّن تشميت العاطس؛ لحديث: «**حقٌّ عَلَىٰ كل من سمعه**»، فهل هذَا صحيح؟

الجواب: هذَا قاله بعض أهل العلم من الظاهرية، وقالوا: إن تشميت العاطس واجب، لكن الصحيح أنه مستحب، وَهذَا الَّذِي عليه جمهور أهل العلم.

السؤال: **يقول السائل:** زيادة "**ومغفرته**" في رد السلام، ما الراجح عند الشيخ فيها؟

الجواب: لم يثبت هذَا، والرواية الَّتِي وردت فيها كلمة "**ومغفرته**" ضعيفة، ولذلك المحققون عَلَى أنَّ أعلى السلام أن تقول: "**السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ**"، أما زيادة "**ومغفرته، ورضوانه**" هذِه لم ترِد.

حَتَّى "**السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ تَعَالَىٰ وَبَرَكَاتُهُ**" هذِه ليست من الكمال؛ الكمال أن تقول الوارد، "**السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ**" هذَا أعلى الكمال في السلام.

السؤال: يقول السائل: أحسن الله إليكم، ما هو جواب مَن يستدل عَلَى أنَّ أبا بكر كان مسبل إزاره.

الجواب: أبو بكر الصِّدِّيْق لم يكن مسبلًا إزاره، لكن يسترخي. وفرْق بين أن تفعل وبين أن يسترخي الإزار، لما ذَكَرَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما ذكره في الإسبال، قَالَ أبو بكر الصِّدِّيْق: "**يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ إِزَارِي يَسْتَرْخِي**". قَالَ العلماء: كان أبو بكر الصِّدِّيْق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ضعيف الحقوين، فكان الإزار ينزل، "**إِلَّا أن أتعاهده، فَقَالَ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَسْتَ مِنْهُمْ**»".

وَهذَا يدل يا إخوة عَلَى أنَّ الإسبال إذا حصل للإنسان عَرَضًا من غير قصد، أنَّ هذَا ليس بالحرام ولا يأثم. لو كان عليك بشْت، البشت والعباءة تدخل في الإسبال، لكن عليك بشت، فمالت العباءة شيئًا فنزلت، هذَا ليس إسبالًا، وَإِنَّمَا الإسبال أن تأتي بالبشت وتجعله طويل.

وبعض أهل العلم جعل قاعدة ضابطة لهذِه المسألة، قَالَ: إن كان اللباس عَلَى قدر الجسد فاسترخى، فليس إسبالًا، وإن كان اللباس مفصَّلًا أطول من الجسد، فَهذَا هو الإسبال.

فصَّلت ثوبًا إِلَى الكعبين، لكن مثلًا فتحت الأزارير فاسترخى الثوب فنزل، هذَا ليس إسبالًا؛ لأن ثوبك مفصَّل عَلَى قدرك، لكن لو أنَّ الإنسان فصَّل ثوبه طويلًا، فَهذَا هو الإسبال، وَهذَا الَّذِي أُخِذ من قصة أبي بكر الصِّدِّيْق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لعل في هذَا كفاية، واللهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ

المجلس (٥)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهَ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إله الأولين والآخرين، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ المبعوث رحمةً للعالمين، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أجمعين؛ أَمَّا بَعْدُ:

فمعاشر الفضلاء! نواصل هذِه الوقفات مع أحاديث النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نفهم معناها، ونجتني من جناها من خلال شرح كتاب الجامع من "بلوغ المرام".

(المتن)

الحَمْدُ للهِ وحده، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ مَن لا نبي بعده، وَبَعْد:

فَقَالَ الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

بَابُ اَلزُّهْدِ وَالْوَرَعِ

١٤٦٨ - عَنْ اَلنُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اَللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ - وَأَهْوَىٰ اَلنُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَىٰ أُذُنَيْهِ: «إِنَّ اَلْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ اَلْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنْ اَلنَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَىٰ اَلشُّبُهَاتِ، فَقَدِ اِسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي اَلشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي اَلْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَىٰ حَوْلَ اَلْحِمَىٰ، يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَىٰ اَللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي اَلْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ اَلْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ اَلْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ اَلْقَلْبُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(الشَّرْحُ)

هذَا الحديث (عَنْ اَلنُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اَللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ - وَأَهْوَىٰ اَلنُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَىٰ أُذُنَيْهِ) لتأكيد أنه سمعه من النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مباشرة، ولم يسمعه بواسطة.

قَالَ: «إِنَّ اَلْحَلَالَ بَيِّنٌ» فالحلال بيِّن بدليله، أو بسكوت الشارع عنه إن كان من العادات، فالحلال ظاهر، كيف ظهوره؟

- إِمَّا بالدليل الَّذِي يدل عَلَى أنه حلال.

- وَإِمَّا بسكوت الشارع عنه إذا كان من باب العادات، فما سكت عنه الشارع، فهو عفوٌ مباح إذا كان من باب العادات؛ كالأكل والشرب والألبسة ونحو ذلك.

«وَإِنَّ اَلْحَرَامَ بَيِّنٌ» الحرام بيِّن ظاهر بدليله، فالحرام: ما دل الدليل عَلَى أنه حرام.

«وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ» أي: لا يكون حلُّها بيِّنًا ولا حرمتها بيِّنة، بل هي مشتبهة، وذلك بأن يجلب الشَّيْء أصلان، أَحَدُهُمَا يقتضي حلَّه، وَالآخَر يقتضي حرمته.

يعني: يوجد أصل يقتضي حل هذَا الشَّيْء، ويوجد أصل آخر يقابله يقتضي حرمته، ما نقول: دليل. نقول: أصل. وأضرب لكم ثلاثة أمثلة تقرب لكم المسألة:

المثال اَلْأَوَّل: عندنا ما يسمى بتشقير النساء لشعر الجبين، ما هو تشقير النساء لشعر الجبين؟ أن تضع المرأة لونًا يشبه لون البشرة عَلَى شعر جبينها، فيصبح الجبين كأنه خط، هذَا فيه شبه من النمص من جهة تقليل الشعر في الظَّاهِر، وفيه شبه من تزيُّن المرأة باللون، وتزيُّن المرأة باللون الَّذِي تضعه عَلَى وجهها إن لم تكن متبرجةً به، حلال.

فإذا نظرنا إِلَى النمص، شبهه بهذَا الأصل يقتضي حرمته، ولذلك قَالَ بعض علمائنا بأنه حرام. إذا نظرنا إِلَى أنه زينة باللون ولا يُزيل الأصل، بل الشعر موجود، قلنا: هذَا الأصل يقتضي أنه حلال، ولذلك نقول: إنه من المشتبهات؛ ليس من الحلال البيِّن، ولا من الحرام البيِّن، وَأَمَّا حكمه فسيأتي إِنْ شَاءَ اللَّهُ ماذا نفعل في المشتبهات، ما الحكم الشرعي في المشتبهات.

المثال اَلْثَّانِي: التصوير بالفيديو.

التصوير بالفيديو؛ إذا نظرنا إِلَى تصوير ويسمى تصويرًا، فإنَّ هذَا يقتضي حرمته للأَدِلَّةِ الدَّالَّة عَلَى حرمة التصوير، وإذا نظرنا إِلَى أنَّ التصوير بالفيديو فيه الحركة، وفيه الكلام، فليس صورة بلا روح، كان هذَا يقتضي الحِل؛ لأن أشبه بالمرآة. في تصوير الفيديو يتكلم ويضحك كما لو نظر الإنسان

في المرآة؛ إذا ضحك يظهر ضحكه، إذا تكلم يظهر أنه يتكلم، ولذلك التصوير بالفيديو هو من المشتبهات، ليس من الحرام البيِّن، ولا من الحلال البيِّن.

المثال الثَّالِث: جعل الثوب أو الإزار مغطيًا للكعبين بدون أن ينزل عنهما.

جعل ثوب الرجل مغطيًا للكعبين بدون أن ينزل عنهما، هذَا من المشتبهات؛ لأن ما فوق الكعبين حلالٌ بيِّن، وما أسفل الكعبين حرامٌ بيِّن بالدليل. بقي ما يغطي الكعبين، محل اشتباه.

وقد جاء عن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: «**فَلَا حَقَّ لِلْإِزَارِ فِي الْكَعْبَيْنِ**» رواه النسائي وغيره بإسنادٍ صحيح.

هذِه الجملة محتمِلة أن يكون المقصود ما دون الكعبين، ويدل لهذا الاحتمال: أنَّ جميع النصوص المحرِّمة إِنَّمَا حرَّمت ما تحت الكعبين.

وَأَيْضًا أنه جاء في مسند الإمام أحمد: «**فَلَا حَقَّ لِلْإِزَارِ فِيمَا دُونَ الْكَعْبَيْنِ**»، ومحتمِلة أن يكون المراد: منع تغطية الكعبين بالإزار، فهو من المشتبهات.

فالمشتبهات الَّتِي لا يتضح حلُّها بالدليل، ولا تتضح حرمتها بالدليل.

- ما الحكم؟

قَالَ: «**لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنْ اَلنَّاسِ**»، ما قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا يعلمهن النَّاس، قَالَ: «**لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنْ اَلنَّاسِ**»، ومعنى ذلك: أنَّ بعض النَّاس يعلمهن.

«**فَمَنِ اتَّقَىٰ اَلشُّبُهَاتِ، فَقَدِ اِسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ**» هذِه القاعدة، أنَّ ما لم يُعلَم حلُّه ولا حرمته، بل هو مشتبه، فالورع تركه من غير تحريم.

"**أن تتركه**" هذَا الورع "**من غير تحريم**" لأنه لا يوجد دليل عَلَى تحريمه، وإن زدت مع ذلك أن تجعل بينك وبين الحرام سترةً من الحلال بحيث تترك بعض الحلال حَتَّى تجعل ذلك سترة بينك وبين الحرام، فَهذَا أعظم في الورع. إذًا الورع درجتان:

- **الدرجة الأولى:** أن تترك المشتبِه الَّذِي ليس حلالًا بيِّنًا ولا حرامًا بيِّنًا.
- **وأعلى من ذلك:** أن تترك الحلال لتجعله حاجزًا بينك وبين الحرام.

وقد جاء عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْحَرَامِ سُتْرَةً مِنَ الْحَلَالِ» وَهذَا الحديث رواه ابن حبان، وحسنه الألباني، فَهذِه أعلى منزلة في الورع، ودونها: أن تترك المشبهات.

طيب، «فَمَنِ اتَّقَىٰ اَلشُّبُهَاتِ، فَقَدِ اِسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ» يعني: طلب البراءة لدينه، وَهذَا واضح، يعني: حَتَّى لا يقع في الحرام، لكن «وَعِرْضِهِ»، ما معنى استبرأ لعرضه؟ يعني حمى عرضه من أن يُتكلَّم فيه إذا فعل هذَا.

فأنت مثلًا لو لبست ثوبك وغطيت الكعبين، قد يأتي إنسان يتكلم فيه، يقول: فلان مسبل، ولا فلان كذا، فإذا جعلت ثوبك فوق الكعبين، فإنك تستبرئ لعرضك، فتحمي عرضك من أن يُتكلَّم فيه.

المرأة مثلًا لو وضعت هذَا اللون التشقير، قد تراها امرأة وتظن أنها تنمص، وتقول: فلانة تنمص شعر جبينها. فإذا تركت هذَا، حمت عرضها من أن يُتكلَّم فيها.

«وَمَنْ وَقَعَ فِي اَلشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي اَلْحَرَامِ» والمقصود: أنَّ مَن وقع في الشبهات، أوشك أن يقع في الحرام، ليس المقصود أنَّ مَن فعل الشبهات فعل حرامًا، وَإِنَّمَا المقصود: أنَّ من ارتكب الشبهات اقترب من الحرام، ومَن اقترب من الشَّيْء أوشك أن يفعله.

ويدل لذلك المثال، قَالَ: «كَالرَّاعِي يَرْعَىٰ حَوْلَ اَلْحِمَىٰ» الحِمى: ما يحتجزه ولي الأمر من المرعى لمصلحةٍ عامة، يعني مثلًا قد يحتجز جزءًا أو قطعًا من أراضي المراعي من أجل إبل الصدقة، أو من أجل غنم الصدقة، هذَا الحمى، يمنع غير إبل الصدقة من أن ترعى فيه، فإذا جاء الراعي بإبله حول الحمى، أوشك أن يدخل في هذَا الحمى، والحمى في اَلْأَوَّل ما فيه شقوق وحديد يمنع، وَإِنَّمَا أرض مُخْتَطَّة هذَا حمى لإبل الصدقة.

«كَالرَّاعِي يَرْعَىٰ حَوْلَ اَلْحِمَىٰ، يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَىٰ اَللَّهِ مَحَارِمُهُ» ومعنى ذلك: أنَّ مَن فعل الشبهات اقترب من حمى الله، اقترب من المحارم، فيوشك أن يفعل الحرام.

وَهذَا يا إخوة ظاهرٌ بيِّن، فإنَّ الإنسان يكون بينه وبين الحرام سترة، هذِه السترة قد تكون كبيرةً، وقد تكون صغيرة من إنسان إِلَى آخر، فإذا اخترق هذِه السترة، أوشك أن يقع في الحرام.

«أَلَا وَإِنَّ فِي اَلْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ اَلْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ اَلْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ اَلْقَلْبُ»، «أَلَا وَإِنَّ فِي اَلْجَسَدِ مُضْغَةً» أي: قطعة لحم، إذا صلحت هذِه القطعة، صلح الجسد كله، وَهذَا دليل عَلَى أنَّ صلاح القلب يُثمر صلاح الظَّاهِر، وعَلَى أنَّ فساد القلب يُثمر فساد الظَّاهِر، وبالتالي فصلاح الظَّاهِر علامة عَلَى صلاح القلب، وفساد الظَّاهِر علامة عَلَى فساد القلب أو عَلَى فسادٍ في القلب.

إذا كان في الإنسان فساد عام -وَالعِيَاذُ باللهِ-، فَهذِه علامة عَلَى فساد قلبه، وإذا كان فيه نوع فساد، فَهذِه علامة عَلَى فسادٍ في قلبه، ولذلك الَّذِي يأتي ويعمل أعمالًا في الظَّاهِر باطلة، ويقول: أنا قلبي سليم، أنا قلبي صحيح. نقول: النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا وَإِنَّ فِي اَلْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ اَلْجَسَدُ كُلُّهُ»، فلو كان قلبك صحيحًا سليمًا من كل وجه، لكان ظاهرك صحيحًا سليمًا.

ففي هذَا الحديث بيان الورع، مناسبة الحديث للباب: بيان ما هو الورع، وقد ذكرنا يا إخوة أنه مرتبتان:

- المرتبة الأولى: أن تترك المشتبهات.
- والمرتبة الثانية: أن تترك بعض الحلال.

طبعًا إذا تركت بعض الحلال، فمن باب أولى أنك تترك المشتبهات.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٦٩ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعِسَ عَبْدُ اَلدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالْقَطِيفَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

(الشَّرْحُ)

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعِسَ») أي: هلك وسقط وكان من الساقطين، «تَعِسَ عَبْدُ اَلدِّينَارِ» والدينار من الذهب، «وَالدِّرْهَمِ» من الفضة، «وَالْقَطِيفَةِ» نوع من الثياب، وَهذِه الأموال الَّتِي يسعى الإنسان في تحصيلها؛ إِمَّا الذهب، وَإِمَّا الفضة، وَإِمَّا الثياب.

مَن هو عبد الدينار؟ مَن هو عبد الدرهم؟ مَن هو عبد الخميلة؟

- فسَّره النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ» أي: جعل طاعته لله عَزَّوَجَلَّ ورضاه عن ربه تبعًا للدنيا. وَهذِه أسوأ صور هذَا الأمر، أن يجعل الإنسان رضاه تبعًا للدنيا؛ إن أعطاه الله ووسع عليه، قَالَ: الله أكرمني، ورضي. وإن قدر الله عليه رزقه لحكمة، سخِط وجعل طاعته لله تبعًا لهذا.

ومنه: مَن يجعل وفاءه بما وجب عليه شرعًا تبعًا للدنيا، يدخل في الحديث: مَن يجعل وفاءه بما وجب عليه شرعًا لعباد الله تبعًا للدنيا، وأسوأ هؤلاء: مَن يجعل طاعته لولي الأمر المسلم الَّذِي بايعه وانعقدت البيعة له ... معلوم يا إخوة أنه إذا انعقدت البيعة لولي الأمر في البلاد، فقد لزمت البيعة جميع مَن في البلاد، ولا يلزم أن يذهب الإنسان بنفسه.

بعض النَّاس ما يعرف الأصول الشَّرْعِيَّة، يقول: لا، أنا ما ذهبت، أنا ما بايعت الأمير، بمجرد أن بويع الأمير وبايعه أهل الحل والعقد، لزمت البيعة لكل مَن في البلد، رجلًا كان أو امرأة، فأسوأ النَّاس في هذَا الباب: الَّذِي يبايع ولي الأمر المسلم ويجعل طاعته لولي الأمر المسلم تبعًا للدنيا؛ إن كان في يسر تحت هذِه الولاية، سكت وأطاع، وإن كان في عسر، خرج عن الطَّاعَة، وأراد تغيير ولي الأمر بمظاهرات أو بسلاح.

يدل لذلك: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلاَثَةٌ لا يكلمهم الله، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» انظروا هذِه العقوبة الشديدة، لا يكلمهم الله بما يسرهم يوم القيامة «وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»، وذكر منهم واحدًا فَقَالَ: «وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا لاَ يُبَايِعُهُ إِلَّا لِلدُّنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ وَفَىٰ لَهُ وَإِلَّا لَمْ يَفِ لَهُ» رواه البخاري في الصحيح. حديث صحيح.

الرجل الَّذِي يبايع الإمام ويجعل طاعته ونصحه لولي الأمر تبعًا للدنيا، هذَا عبدٌ للدينار والدرهم، هؤلاء الَّذِينَ يخرجون عَلَى ولي الأمر ويقولون: حرية. هؤلاء في الحقيقة هم عبيد؛ لأنهم عبيد الدنيا، عبيد الدراهم والدنانير والألبسة والأطعمة، ففي هذَا ذم لمن يجعل طاعته المطلوبة منه شرعًا لله أو لعباد الله تابعةً للدنيا، فلا يطيع إِلَّا إذا حصَّل الدنيا، وإذا لم يحصِّل الدنيا ترك الطَّاعَة.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٧٠ - وَعَنِ اِبْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي اَلدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَكَانَ اِبْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ اَلصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ اَلْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِسَقَمِك، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. أَخْرَجَهُ اَلْبُخَارِيُّ.

(الشَّرْحُ)

نعم (وَعَنِ اِبْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بِمَنْكِبِي) ويضبطها بعض أهل العلم بـ "منكبيَّ"، يعني: إِمَّا أخذ بمنكب واحد، أو أخذ بالمنكبين، بعض أهل العلم ضبطها "بمنكبِي"، وبعض أهل العلم ضبطها "منكبيَّ".

والمنكب: هو مجموع الكتف والعضد، هذَا هو المنكب، وَهذَا يدل عَلَى الاهتمام، عندما تحدث إنسانًا وتريد أن تحدثه بأمر هام، تضع يدك عَلَى منكبه للدلالة عَلَى الاهتمام بما تقول.

فَقَالَ: «كُنْ فِي اَلدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ» الغريب: هو مَن ليس من أهل البلد، وَإِنَّمَا وُجِد فيها لعارض، هذَا غريب.

رجل جاء من بلده إِلَى الكويت ليعمل فيها، ما انتقل إليها انتقالًا كليًّا، أو ليدرس فيها، هو غريب، والغريب لا يبني ليبقى؛ لأنه يعلم أنه ما يبقى في هذَا البلد، وَإِنَّمَا يكتفي بما يكفيه، وقد يأخذ الشَّيْء القليل لأنه يوفر الشَّيْء إذا رجع إِلَى بلده.

«**أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**» عابر السبيل: هو الَّذِي يمر بالبلد مرورًا.

إذًا عندنا غريب، الغريب يأتي إِلَى البلد ويبقى في البلد زمنًا، لكنه ليس من أهلها، وَالنَّاس -الله المستعان- يرون أنَّ مَن ليس من أهل البلد يكون غريبًا ولو طال بقاؤه، ولذلك أحد العلماء كان في بغداد، قضى في بغداد أربعين عامًا، ثُمَّ عاد إِلَى بلده، فقيل له: ما الَّذِي أخرجك من بغداد؟ قَالَ: كنت أنا وأخي في بغداد أربعين عامًا، فلما مات أخي مُرَّ بجنازته فَقَالَ رجلٌ لآخر: مَن هذَا؟ قَالَ: غريبٌ مات اليوم. فقلت: سُبْحَانَ اللَّهِ! بعد أربعين عامًا يقال له غريب! فعدت إِلَى بلدي.

لكن المراد هنا يا إخوة: الغريب هو الَّذِي ليس من أهل البلد وَإِنَّمَا جاء لأمر عارض وسيعود، وعندنا عابر السبيل وهو الَّذِي يمر مرورًا، وَلَا شَكَّ يا إخوة أنَّ الغريب لا يتزود كزاد أهل البلد، ولا يسكن كسكنى أهل البلد فلا يبني له بيتًا، وكذلك عابر السبيل.

✍ فالمقصود: أنَّ المؤمن في الدنيا يعلم أنَّ الدنيا دار ممر وليست دار مقر، فيستعين بدار الممر عَلَى دار المقر، كما أنَّ الغريب يأتي إِلَى البلد ويجمع المال من أجل أن يُصلِح بيته في دار مقره، فإنَّ المؤمن في الدنيا يعمل فيها ليصلح بيته في دار مقره في الآخرة، والمقصود: التَّقَلُّل من الدنيا، ولذلك كان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: "**إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تنتظر الصَّبَاح**"، ما المقصود؟ المقصود: اعمل في نهارك كأنك تعلم أنك ستموت عند المساء، "**وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء**".

"**إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تنتظر الصَّبَاح**" إذا دخل عليك المساء، فاعمل في اَللَّيْل وقم اَللَّيْل كأنك ستموت في الصباح، وإذا أصبحت فاعمل في النَّهَار كأنك ستموت في المساء؛ لأن الإنسان لا يعلم مَتَى سيموت، وَالعِبْرَة بأن يتقي الله في دنياه، ولا يضر المسلم في الدنيا أكثر من الأمل، "**مَن طال أمله، قلَّ عمله**"، فقِصر الأمل بالنسبة للبقاء في الدنيا سبب لأن يجتهد الإنسان في طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

"وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لَسَقَمِكَ" فإنك لا تدري ما يعرض لك، أنت اليوم تستطيع أن تصلي في الليل، ما تدري غدًا ماذا يكون، أنت الآن تستطيع أن تذهب إلى المسجد وتصلي مع جماعة المسجد، لا تدري غدًا ما يعرض لك، فإنَّ الآفة قد تعرض للإنسان. أنت اليوم عندك مال تستطيع أن تتصدق، لكنك لا تدري غدًا ما يعرض لك، فإنَّ الآفة قد تعرض للإنسان، فبادر بالعمل ما دمت قادرًا.

وقد تقدم معنا يا إخوة: أنَّ الإنسان إذا عمِل العمل وهو قادر ثم عجز عنه، كتب الله له أجر ما كان يعمل قبل عجزه.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٧١ - وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ، فَهُوَ مِنْهُمْ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ.

(الشَّرْحُ)

وَقَالَ شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة عن هذَا الحديث: جيد الإسناد. وصححه الألباني وابن باز. وَقَالَ ابن حجر في "الفتح": ثابت. فالحديث صحيح؛ قَالَ ابن تَيْمِيَّة: إسناده جيد. وصححه الألباني وابن باز، وهما إماما الحديث في هذَا الزمان، وَقَالَ ابن حجر في "الفتح": ثابت.

«مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ»: «بِقَوْمٍ» نكرة في سياق الشَّرْط، فتعم كل قوم؛ تعم الصَّالِحِيْنَ، وتعم الفاسقين، وتعم الكفار.

«مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ» يا إخوة الإنسان قد يتشبه، وقد يتشبه -وَالعِيَاذُ باللهِ- بأهل البدع، وقد يتشبه بالفساق، أهل المعاصي، وقد يتشبه بالكفار، كل هذَا يدخل في الحديث «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ، فَهُوَ مِنْهُمْ».

ومعنى «فَهُوَ مِنْهُمْ»: أنه ينال نصيبًا من صفتهم؛ لأنه يفعل حرامًا، وأنه يشاكلهم ويقترب منهم.

أولًا: ينال نصيبًا من وصفهم لأنه يفعل حرامًا، إذا كان في باب الحرام، ويشاكلهم ويقاربهم.

وإذا كان في التَّشَبُّه بِالصَّالِحِيْنَ، اعكس؛ أنه ينال ثوابًا، فهو يشاركهم في الصفة، وأنه يشاكلهم ويقاربهم. الَّذِي يتشبه بطلاب العلم ويحضر الدروس، لا ليطلب العلم، لكن يتشبه بهم، بعض النَّاس

يأتي للمسجد ويجلس في الدرس، ما يريد أن يتعلم، لكن يقول: هؤلاء ناس طيبين وأنا أحب أكون معهم، هذَا ينال الثواب وإن لم يرد التَّعَلُّم: «**هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ**»، ويوشك أن يصبح منهم؛ لأنه يشاكلهم ويقاربهم.

ومَن جالس الفساق عَلَى فسقهم، عَلَى معصيتهم، بعض النَّاس يقول: أنا أجلس مع الَّذِينَ يشربون الخمر، الحَمْدُ للهِ أنا ما أشرب الخمر، أجلس مع الَّذِينَ يشربون المخدرات لكن الحَمْدُ للهِ أنا ما أشرب المخدرات، أجلس مع الَّذِينَ يشربون الدخان لكن الحَمْدُ للهِ أنا ما أشرب الدخان. هذَا تشبَّه بهم في جلستهم ومجلسهم، فيلحقه إثمٌ ويوشك أن يكون منهم، وهكذا في أهل البدع، وهكذا في الكفار.

والمقصود بِالتَّشَبُّهِ: فعْل ما يختص به المتشبَّه به مِمَّا يفعله لصفته.

- لاحظوا أن نقول: "**فِعْل ما يختص به**" وَهذَا يُخرِج الأمر العام، هذَا ليس تشبُّهًا بهؤلاء.

مثلًا: ما يفعله الكفار وغيرهم من النَّاس، إذا فعلته أنا، هذَا ليس تشبُّهًا؛ لأن هذَا الأمر عام للنَّاسِ. ما يختص به المتشبَّه به مِمَّا يفعله لصفته؛ لكونه كافرًا، لكونه فاسقًا، لكونه مبتدعًا مثلًا، وَهذَا يُخرِج ما لو فعله مثلًا لحاجته الإنسانية.

أعطيكم مثالًا: السيارة مَن اخترعها؟ الكفار، والكفار هم الَّذِينَ يصنِّعونها، إذا اشترى مسلم سيارة وركبها، هل هذَا تشبُّه؟ الجواب: لا؛ لأن الكفار لم يصنعوا السيارة لأنهم كفار، وَإِنَّمَا لأنهم يحتاجون أن يركبوا، فَهذِه حاجة إنسانية، ففعلها ليس من باب التَّشَبُّه، وَإِنَّمَا التَّشَبُّه: أن تفعل ما يفعله الكفار لكونهم كفارًا، أو هذَا خاص بالكفار، مثل: لبس طاقية اليهود، الطاقية السوداء القصيرة الصغيرة الَّتِي لا تغطي الرأس كله هذِه يفعلها اليهود، الآن للأسف توجد في بعض أسواق المسلمين ويلبسها بعض الشباب، هذَا تشبُّه، كانوا يمثلون قديمًا أَيْضًا بزنار النصارى.

وبعض أهل العلم ضبط التَّشَبُّه بقوله: "**أن تفعل شيئًا لو رآك أحدٌ لظنك من الكفار**"، ما ضابط التَّشَبُّه بالكفار؟ قالوا: أن تفعل شيئًا لو رآك أحدٌ لا يعرفك لظنك من الكفار؛ لأن هذَا لا يُعرَف به إِلَّا الكفار، أما ما خرج عن هذَا فهو ليس من التَّشَبُّه.

- طيب، هل لبس البنطال للرجل من التَّشَبُّه؟ الآن كثير من المسلمين يلبسون البناطيل، ونحن لا نتكلم عن البنطال المحرَّم بذاته، الَّذِي هو البنطال الضيف الَّذِي يصف الجسم الَّذِي تتعجب كيف دخل فيه الإنسان، هذَا ما نتكلم عنه، لكن نتكلم عن البنطال الواسع، هل لبس الرجل للبنطال من باب التَّشَبُّه؟

✍ الجواب: لا، لماذا؟ لأن البنطال في الحقيقة هو السروال، ولكل قوم سراويلهم؛ العرب كانوا يتسرولون ويتزرون، الهنود والباكستانيون عندهم سراويلهم، فَهذَا جنس عام، فهو من اللباس العام، ليس خاصًّا بالكفار، فليس من التَّشَبُّه.

طيب، فيه مسألة عند أهل العلم ونحن ما نريد أن نتوسع من أجل أن ننتهي، لكن بعض المسائل مهمة لأنها تمس الواقع: إذا كان الشَّيْء في أصله خاصًّا بالكفار، ثُمَّ انتشر فصار مشتركًا بين النَّاس، فهل هذَا يُخرِجه عنه التَّشَبُّه؟

- العلماء قديمًا وحديثًا مختلفون في هذَا، لكن ما التحقيق؟ أنه إذا كان الَّذِي يفعله الكفار في الأصل مبنيًّا عَلَى ديانة وعقيدة، ثُمَّ انتشر بين المسلمين، فإنَّ حكمه لا يتغير.

ومثال ذلك مثلًا: دبلة الزواج الَّتِي هي خاتم ومحبس، هذِه الدبلة ليست مِمَّا هو معروف في تاريخ المسلمين، هذِه معروفة عند النصارى، ثُمَّ دخلت عَلَى المسلمين وانتشرت عند كثير من المسلمين، الدبلة عند النصارى مبنية عَلَى ديانة، وهي أنَّ النِّكَاح عندهم مؤبَّد، والدبلة ترمز إِلَى هذَا التأبيد مع أمر آخر، وهو أنَّ الأصل عندهم أنهم يقولون -وَالعِيَاذُ باللهِ- مِمَّا يقولون: باسم الْرَّبّ والابن والروح القدس، ثُمَّ توضَع الدبلة. وهي عندهم ترمز للتأبيد، حَتَّى أنهم في الأصل عندهم يرون أنَّ نقلها من اليد اليمنى -اليد اليمنى تكون دليل عَلَى الخطبة- إِلَى اليد اليسرى لا يكون بالإخراج، وَإِنَّمَا يوضَع الأصبع عَلَى الأصبع، وتُنقَل الدبلة من الأصبع إِلَى الأصبع؛ رمزًا للتأبيد، نكاح التأبيد، فهي مبنية عندهم عَلَى ديانة، وكانت تُفعَل في الكنائس. انتقالها للمسلمين وانتشارها بين المسلمين لا يغير حكمها، هي حرام ولا يجوز فعلها، ومن التَّشَبُّه بالكفار.

أما إذا كان الأمر ليس مبنيًا عَلَى ديانة وانتشر بين النَّاس وأصبح لا يختص به الكفار، فَهذَا لا يقال: إنه من باب التَّشَبُّه، عَلَى التحقيق من كلام أهل العلم.

- **يأتينا قائل:** يقول: يا إخوان أنتم تعقِّدون المسألة، المقصود بِالتَّشَبُّهِ: التَّشَبُّه بالدين، أما التَّشَبُّه بالعادة هذَا ليس ممنوعًا.

✍ نقول: هذَا غير صحيح، فإنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى عَلَى عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ، فَقَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسْهَا**» رواه مسلم في الصحيح. فنهاه النَّبِيّ عن التَّشَبُّه بالكفار في ماذا؟ في لبس، في لون، فَهذَا يدل عَلَى أنَّ التَّشَبُّه يشمل التَّشَبُّه بهم في عاداتهم.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٧٢ - وَعَنِ اِبْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ اَلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ! اِحْفَظِ اَللهَ يَحْفَظْكَ، اِحْفَظِ اَللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اَللهَ، وَإِذَا اِسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاَللهِ» رَوَاهُ اَلتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(الشَّرْحُ)

وصححه الألباني.

(**عَنِ اِبْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ اَلنَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يَوْمًا**) أي: رديفه عَلَى الدَّابَّة، وَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من تواضعه أنه كان يركب عَلَى الحمار، وهو النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان يُردِف بعض أصحابه عَلَى دابته، فأردف ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يومًا، (**فَقَالَ**: «**يَا غُلَامُ!**») والغلام هو الَّذِي لم يبلغ الحُلم، وَهذَا أصل لتربية الصغار، أنَّ الصغار يُربَون عَلَى الديانة من الصغر،

«**يَا غُلَامُ! اِحْفَظِ اَللهَ يَحْفَظْكَ**» العبد كيف يحفظ الله؟ بحفظ دينه، احفظ عقيدتك، ولتكن عقيدتك سلفيةً نقيةً لا يخالطها شيء، واحفظ عبادتك، واحفظ دين الله، وليكن حفظك لدين الله أعظم من حفظك لعينيك. الإنسان يخاف عَلَى عينيه من قذاة تدخل فيها، فإذا أردت أن تحفظ الله، فليكن حفظك لدينك أعظم من حفظك لعينيك، وإن حفظت الله حَفِظَكَ اللهُ، ومَن حفِظه الله مَن

ذا الَّذِي يُضيِّعه؛ يحفظه الله في نفسه، يحفظ الله له ماله، يحفظه الله في أهله، يحفظه الله في ذريته، كلها تدخل في الحديث.

«اِحْفَظِ اَللَّهَ يَحْفَظْكَ، اِحْفَظِ اَللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ» أي: تجده أمامك، أي أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يكون معك بحفظه ونصره وتأييده، فيكون الله سمعك الَّذِي تسمع به، فيحفظ الله سمعك، ويكون بصرك الَّذِي تبصر به، فيحفظ الله بصرك، ويكون يدك الَّتِي تبطش بها، فيحفظ الله يدك، ويكون رجلك الَّتِي تمشي بها، فيحفظ الله رجلك، ويكون الله معينًا لك، فإن سألته أعطاك، وإن استعنته أعانك.

«وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اَللَّهَ» يقول العلماء: السؤال نوعان:

١. سؤال دعاء.

٢. وسؤال طلب.

⇦ **وسؤال الدُّعَاء**: هو طلب الأدنى من الأعلى سبيل التذلل والخضوع. عندما يسأل العبد ربه، هذَا دعاء؛ لأنه طلب الأدنى من الأعلى عَلَى سبيل التذلل والخضوع له، وَهذَا عبادة لا يجوز صرفها إِلَّا لله، فلا يجوز لعبد أن يدعو أحدًا إِلَّا الله، ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨]، ﴿أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ نكرة في سياق النفي، فتعم؛ تعم الأشخاص، وتعم الأحوال، فلا يُدعى إِلَّا الله.

⇦ **وسؤال الطلب**: أن يسأل الإنسان ما يحتاجه مطلقًا، وَهذَا يجوز للإنسان أن يسأله الإنسان، فيقول مثلًا: أعطني القلم، أعطني الكتاب، هذَا سؤال طلب. فإذا سأل الحي القادر ما يقدر عليه في العادة، فَهذَا جائز، أما لو سأل الميت، قَالَ: يا فلان اجمع لي إبلي. أنت لو كان عندك شخص مثلًا راعي ولا كذا، وقلت: يا فلان اجمع لي إبلي، هذَا جائز، لكن ميت في قبره وجاء إنسان قَالَ: يا فلان، يا مولانا، يا سيدنا، اجمع لي إبلي، أو رد لي سيارتي، هذَا شرك.

أو سأل الحي الحاضر القادر ما لا يقدر عليه، وطلب منه ما لا يقدر عليه، فَقَالَ له: يا فلان بارك لي في مالي. وَهذَا لا يقدر عليه إِلَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يكون شركًا، والمندوب للإنسان أن يقلل سؤاله للنَّاسِ، ألا تسأل النَّاس شيئًا ما أمكنك، أن تفعل الشَّيْء بنفسك، وألا تسأل النَّاس شيئًا ما أمكنك ذلك.

«وَإِذَا اِسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاَللهِ» الاستعانة ما هي؟

الاستعانة: طلب العون عَلَى جلب الخير أو دفع الشر. والاستعانة عبادة، وقد قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِذَا اِسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاَللهِ»، لكن يجوز للإنسان أن يستعين بالحي الحاضر القادر فيما يقدر عليه عادةً، تقول: يا فلان أعني عَلَى حمل هذَا الكيس. هذَا حي حاضر قادر، هذَا جائز، وما عدا ذلك فلا يجوز.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٧٣: وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ اَلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اَللهِ! دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اَللهُ، وَأَحَبَّنِي اَلنَّاسُ. قَالَ: «اِزْهَدْ فِي اَلدُّنْيَا يُحِبُّكَ اَللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ اَلنَّاسِ يُحِبُّكَ اَلنَّاسُ» رَوَاهُ اِبْنُ مَاجَه، وَسَنَدُهُ حَسَنٌ.

(الشَّرْحُ)

هذَا الحديث أَيْضًا حسَّنه النووي، وصححه الألباني بمجموع طرقه.

يعني عندنا هنا: الحافظ ابن حجر حسَّنه، وحسَّنه أَيْضًا النووي، وصححه الألباني بمجموع طرقه، وهو حديثٌ عظيم وفيه سؤالٌ كريم.

(جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ اَلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اَللهِ! دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اَللهُ) وَهذَا شأنٌ عظيم، وكما يقول العلماء: ليس الشأن أن تحِب، ولكن الشأن أن تُحَب، لَا شَكَّ أنَّ حبك لله عظيم، لكن الشأن الأعظم أن يحبك الله.

فهو طلب أمرًا عظيمًا (دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اَللهُ، وَأَحَبَّنِي اَلنَّاسُ) فقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اِزْهَدْ فِي اَلدُّنْيَا».

ما معنى «اِزْهَدْ فِي اَلدُّنْيَا»؟ يعني اتركها؛ لا تشرب، لا تأكل، لا تلبس؟ لا.

ما معنى «اِزْهَدْ فِي اَلدُّنْيَا»؟ يعني البس ثيابًا مقطعة، وكل خبزًا يابسًا، واشرب ماءً حارًّا؟ لا؛ فإنه تقدَّم قول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلْ، وَاشْرَبْ، وَالْبَسْ، وَتَصَدَّقْ فِي غَيْرِ إسرافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ»، بل حثَّ

النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أن يُحسِّن الإنسان أكله وشربه ولباسه وصدقته بحسب ما أنعم الله عليه، فَقَالَ: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالْبَسُوا وَتَصَدَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ».

إذا أنعم الله عليك بمال، فالبس بما يناسب مالك من غير إسراف ولا مخيلة ولا شهرة، وكل بما يناسب مالك، واشرب بما يناسب مالك؛ فإنَّ الله يحب هذَا، فإنَّ الله إذا أنعم عَلَى عبد يحب أن يرى أثر نعمته عليه.

- إذًا ما معنى «اِزْهَدْ فِي اَلدُّنْيَا»؟

✍ معنى «اِزْهَدْ فِي اَلدُّنْيَا»: تقلل من فضول المباحات الزائدة، لا تتوسع في المباح، واحرص عَلَى ما ينفعك في الآخرة، ليكن حرصك عَلَى ما ينفعك في الآخرة. عندك مال؛ تستطيع أن تشتري ما شئت، تأكل ما شئت، تلبس ما شئت، تشرب ما شئت، قلِّل هذَا، كل وأظهِر أثر النعمة، لكن قلل التَّوَسُّع، وليكن حرصك عَلَى الصدقة أعظم من حرصك عَلَى المباحات؛ لأن الصدقة تنفعك في الآخرة، هذَا الزُّهْد.

«اِزْهَدْ فِي اَلدُّنْيَا»: تقلَّل من فضول المباحات، الزيادة وَالتَّوَسُّع في المباحات، وليكن حرصك عَلَى ما ينفعك في الآخرة أعظم من حرصك عَلَى المباح في الدنيا، «يُحِبُّكَ اَللهُ».

«وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ اَلنَّاسِ» لا تتطلع إِلَى ما عند النَّاس، لا تطلب ما عند النَّاس، «يُحِبُّكَ اَلنَّاسُ» وَهذِه قاعدة في التعامل مع النَّاس، كن متواضعًا في تعاملك مع النَّاس، ولا تطلب منهم ما عندهم، إِلَّا بحق؛ راتبك، دين، هذَا شيء، لكن لا تتطلع إِلَى ما في أيدي النَّاس، بل ازهد فيه، استغنِ عما في أيدي النَّاس يحبك النَّاس، هذَا معنى هذَا الحديث العظيم.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٧٤ - وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ اَللهَ يُحِبُّ اَلْعَبْدَ اَلتَّقِيَّ، اَلْغَنِيَّ، اَلْخَفِيَّ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

(الشَّرْحُ)

هذَا الحديث العظيم في صحيح مسلم: (عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ اَللهَ يُحِبُّ اَلْعَبْدَ اَلتَّقِيَّ، اَلْغَنِيَّ، اَلْخَفِيَّ») هذَا سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ذهب إِلَى مزرعته وترك النَّاس يطلبون الحكم، فجاءه ابنه وَقَالَ: أنت جالس هنا وَالنَّاس يقتسمون الحكم؟! يعني أنت لك مكانتك ولك جاهك ولك كذا وتستحق الحكم أن تشارك فيه.

فَقَالَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ: (سَمِعْتُ رَسُولَ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ اَللهَ يُحِبُّ..») اللَّهُ أَكْبَرُ! الله يحب ويحَب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

«إِنَّ اَللهَ يُحِبُّ» سُبْحَانَ اللَّهِ! كل مؤمن يحِب أن يحبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فينبغي أن يتصف بالصفات الَّتِي مَن اتصفها بها، أحبه الله.

«يُحِبُّ اَلْعَبْدَ اَلتَّقِيَّ» والتقي: هو الَّذِي يعمل بطاعة الله، عَلَى نورٍ من الله، يرجو ثواب الله، ويترك معصية الله، عَلَى نورٍ من الله، يخاف عقاب الله، هذَا العبد التقي، والله يحب المتقين.

«إِنَّ اَللهَ يُحِبُّ اَلتَّقِيَّ، اَلْغَنِيَّ» الغني، قَالَ بعض أهل العلم: هو الَّذِي كثُر ماله وعظُم شكره، أغناه الله فعظُم شكره لله. وَقَالَ بعض أهل العلم: هو الَّذِي قنِع بما آتاه الله، فكانت نفسه غنية.

وقد جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ الغِنَىٰ عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَىٰ غِنَىٰ النَّفْسِ».

يقول النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ الغِنَىٰ عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ» ليس عن كثرة الأموال، «وَلَكِنَّ الغِنَىٰ غِنَىٰ النَّفْسِ».

وكلا المعنيين صحيحٌ هنا؛ فالعبد الغني الَّذِي يحبه الله، هو الَّذِي آتاه الله مالًا كثيرًا فشكر الله كثيرًا، وهو العبد الَّذِي آتاه الله القليل فقنِع بما آتاه الله، وكانت نفسه غنية.

إذًا أنت يا عبد الله إذا رزقك الله مرتبًا يسيرًا فقنعت بهذا، وحمدت الله عَلَى هذَا، فإنك غني بشهادة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله يحب العبد الغني.

«اَلْخَفِيَّ»: الَّذِي يعمل لله ولا يرغب فيما في أيدي عباد الله، بمعنى: لا يحب الشهرة، لا يحب أن يصبح مشهورًا، لا يحب أن يجتمع عليه النَّاس، لا يحب المناصب، ولا ينافس عليها إِلَّا إذا تعينت عليه فكان هو الأصلح لها، ولا يتطلع إِلَى علو المقام عند النَّاس، وَإِنَّمَا يعمل لله. إذا كان يُعلِّم النَّاس، يحب أن ينتشر الخير ولا يحب أن يشتهر هو، يحب أن يعم الخير أرجاء الدنيا، لكن لا يحب أن يصبح مشهورًا، ولذلك يفرح إذا يسَّر الله انتشار الخير عَلَى يد غيره من العلماء وَالْدُّعَاء، ما يحسدهم ويريد أن يسقطهم بباطل.

ولذلك جاء عن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، وذُكِر أَيْضًا عن الشَّافِعِيّ، أنه قَالَ: "**وددت أنه لم يُنسَب إليَّ من ذلك شيء، وددت لو كنت في وادٍ من الوديان**" يعني: وددت أنَّ هذَا الخير الَّذِي انتشر لم يُنسَب إليَّ وكنت في وادٍ من الوديان لا يعرفني أحد، فالخفي يعمل، ولكن عمله لله، لا يتطلع للشهرة ولا ينافس النَّاس عليها، بل يحب أن يكون خفيًّا، لا يتطلع إِلَى المناصب ولا ينافس عليها إِلَّا إذا كان الأصلح لها، فتتعين عليه، هذَا معنى الخفي.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٧٥ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ اَلْمَرْءِ، تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ» رَوَاهُ اَلتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ حَسَنٌ.

(الشَّرْحُ)

قَالَ الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: (**رَوَاهُ اَلتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ حَسَنٌ**) لم نرَ هذَا -أعني: الحكم عَلَى الحديث بأنه حسن- فيما عندنا من سنن التِّرْمِذِيّ، ولعل الحافظ اطلع عَلَى نسخة لم تصلنا؛ لأن الَّذِي وجدناه

في سنن التِّرْمِذِيّ أنه قَالَ عن هذَا الحديث: "**هذَا حديثٌ غريب**"، ولكن لعل الحافظ ابن حجر اطلع عَلَى نسخة لم تصلنا من سنن التِّرْمِذِيّ.

وَهذَا يقع يا إخوة؛ لو كنتم تقرؤون في كلام شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة، أحيانًا تجدون أنَّ شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مواطن متعددة، يقول: "**وفي المسند، وفي مسند الإمام أحمد كذا**"، نبحث عنه في المسند فلا نجده.

وقد ذَكَرَ بعض أهل العلم هذَا وَقَالَ: "**لعل شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة كانت عنده نسخة من المسند لم تصل إلينا**".

فَالتِّرْمِذِيّ قَالَ: "**هذَا حديثٌ غريب**"، والحديث أَيْضًا رواه ابن ماجه، وحسَّنه النووي، وصححه الألباني.

ونستطيع أن نقول: إنَّ الحافظ ابن حجر حسَّنه؛ لأنه أقرَّ تحسين التِّرْمِذِيّ ولم يُعقِّب عليه بشيء، فهو يُشعِر بأنه يراه حسنًا.

هذَا الحديث العظيم فيه علاجٌ للنَّفْسِ البشرية، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ اَلْمَرْءِ، تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**»، وَهذَا يدل يا إخوة:

* أولًا: أنَّ النَّاس يتفاوتون في إسلامهم، يوجد عندهم أصل الإسلام ثُمَّ يختلفون فيه ويتفاوتون، فالإسلام فيه حُسن زيادة «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ اَلْمَرْءِ، تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**».

قَالَ العلماء: يعني ألا يشتغل بما لا يعنيه، وليس المراد: أن يترك الواجب عليه بحجة أنه لا يعنيه.

بعض النَّاس إذا رآك تنكر المنكر، قَالَ: يا أخي، لماذا تنكر المنكر؟ «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ اَلْمَرْءِ، تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**».

✍ نقول: هذَا واجب، هذِه شعيرة من شعائر الإسلام. وَإِنَّمَا المقصود تركه ما لم يُطلَب منه أو لم يُسنَد إليه أو لا يحتاج إليه.

تركه ما لم يُطلَب منه أو لم يُسنَد إليه؛ ما يُسنَد إِلَى غيرك، فاحمد الله عَلَى العافية، وأن الله سلَّمك من التَّكْلِيْف به، ولا تشارك مَن كُلِّف به ما كُلِّف به.

بعض النَّاس مثلًا لم يكلفهم الله الحكم بين النَّاس، ولا ولاية النَّاس، لكن يريد أن يكون حاكمًا ويريد أن يشارك الحاكم في الحكم. هذَا يجرُّ عَلَى نفسه البلاء ويجرُّ عَلَى المسلمين البلاء. إذا لم يُسنَد إليك الأمر، فاحمد الله عَلَى العافية، واسأل الله العون لمن كُلِّف، وإن كان عندك نصيحة فانصح، لكن لا تشارك، وأن تترك ما لا تحتاج إليه.

يعني مثلًا يا إخوة: قد يكون المسلم يعيش في أقاصي الدنيا، يعيش في أمريكا ولا يعيش في نيوزيلاندا، وتحدث فتنة في الكويت -نسأل الله ألا تحدث فتن، لكن أمثِّل فَقَطْ- لا علاقة للمسلمين في أمريكا بها، أو لا علاقة بالمسلمين في نيوزيلاندا بها. فيأتي أحد الإخوة من أمريكا ويتصل عَلَى أهل الكويت: ما هذِه الفتنة الَّتِي عندكم؟ مَن هذَا الرجل؟ لماذا كذا؟ ثُمَّ ينشرها في أمريكا، فيسبب الفتنة ويزرع الفتنة في أمريكا. هذَا ما لا ترك ما لا يعنيه.

بعض النَّاس إذا وقعت فتنة في أي بلد، ولو كان بلده سالمًا منها من كل وجه، يتدخل حَتَّى يجلبها إِلَى بلده، فتحدث الفرقة، وتحدث الفتنة في البلد، «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ اَلْمَرْءِ، تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**»، وليس كل ما يعرفه الإنسان يتحدث به، وَهذَا أمر في الحقيقة فيه علاجٌ عظيم، ومنه: أن يسأل عما لا يحتاج إليه، كما قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١].

وقد روى مالك في الموطأ -وَهذِه حكمة-: "**أَنَّهُ بَلَغَهُ، أَنَّهُ قِيلَ لِلُقْمَانَ الْحَكِيمِ: مَا بَلَغَ بِكَ مَا يَرَىٰ؟**" يريدون الفضل، لقمان عبدٌ صالح حكيم، ذكره الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن، عُرِف بالفضل والحكمة، فقالوا له: "**مَا بَلَغَ بِكَ مَا يَرَىٰ؟**"، فَقَالَ لقمان: "**صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءُ الأَمَانَةِ، وتَرْكِي مَا لاَ يَعْنِينِي**".

"**صِدْقُ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءُ الأَمَانَةِ، وتَرْكِي مَا لاَ يَعْنِينِي**" وَهذَا والله هو سُلَّم الفضل، مَن أراد أن يرتقي إِلَى الفضل، فعليه بصدق اللسان، صدق الحديث، وعليه بأداء الأمانة، وأن يترك ما لا يعنيه. ومَن فعل هذَا في استقامة، وصل إِلَى الفضل وحُسن الحال.

ولعلنا نقف هنا لنعطي إخواننا الصائمين فرصة، ومَن أراد أن يتوضأ ويستعد لصلاة المغرب، ونعود بعد المغرب إِنْ شَاءَ اللَّهُ، واللهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ

المجلس (٦)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ وحده، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ مَن لا نبي بعده وعَلَىٰ آله وصحبه؛ أَمَّا بَعْدُ:

فمعاشر الفضلاء! نواصل شرحنا لكتاب الجامع من "بلوغ المرام" للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

فيتفضل الشيخ رفاعي يقرأ لنا، وفَّقه الله.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ وحده، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ مَن لا نبي بعده؛ وبَعْد:

فَقَالَ الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

١٤٧٦ - وَعَنْ اَلْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِ يكَرِبَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مَلَأَ اِبْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ» أَخْرَجَهُ اَلتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ.

(الشَّرْحُ)

هذَا الحديث أَيُّهَا الإخوة لفظه عند التِّرْمِذِيّ: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ. بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ». وَقَالَ التِّرْمِذِيّ: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ".

والحديث أَيْضًا رواه أحمد، وابن ماجه، وابن حبان، وصححه الألباني.

هذَا الحديث فيه الإرشاد إِلَى التَّقَلُّل من الأكل، وَهذَا من الزُّهْد؛ لأن الإنسان يتقلل من فضول المباح. يباح للإنسان أن يأكل من الطعام الحلال، لكن من الزُّهْد أن يتقلل من فضول الطعام، ولذلك

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ» رجلًا كان أو امرأة «وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ» وَهذَا يدل عَلَى أَنَّ ملء البطن بالأكل يضر الإنسان، ملء البطن بالطعام يضر الإنسان.

ثُمَّ فسَّر النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك، فَقَالَ: «بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ»، يكفي ابن آدم لقيمات، ما حدُّها؟ «يُقِمْنَ صُلْبَهُ» أي: تحصل بهن القوة، يعني الطعام الَّذِي تحصل به القوة، هذَا معنى «يُقِمْنَ صُلْبَهُ» تحصل له به القوة، «فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ» إن كان سيزيد عن اللقيمات وَلَا بُدَّ، فلا يزيدن في الطعام عما يملأ ثلث بطنه.

يعني: الكمال والخير للإنسان أن يقتصر عَلَى اللقيمات الَّتِي تحصل بها القوة، فإن أراد أن يزيد، فلا يزيدن عن ملء ثلث بطنه بالطعام. نعم يجوز للإنسان أن يأكل حَتَّى يشبع، ما يقال: إنه حرام، لكن الإرشاد إِلَى الفضل والكمال والخير هو فيما ذكره النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هنا، أن يقتصر عَلَى لقيمات يقمن صلبه، فإن كان ولا محالة، فلا يزيدن عن ما يملأ ثلث البطن، ولذلك قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ».

✍ والمقصود هنا: ألا يزيد في الأكل عما يملأ ثلث البطن، وَهذَا إرشادٌ إِلَى الأصلح والأكمل والأفضل، وليس تحريمًا للزيادة عَلَى هذَا.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٧٧ - وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَسَنَدُهُ قَوِيٌّ.

(الشَّرْحُ)

ورواه أَيْضًا الإمام أحمد، وحسَّنه الألباني، وصححه ابن القطان وابن باز، فالحديث أقل درجاته أنه حسن، فهو حديث ثابت، يقول فيه النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ»، "كُل" من أقوى ألفاظ العموم، «كُلُّ بَنِي آدَمَ» وَهذَا يشمل الرِّجَال والنساء «خَطَّاءٌ».

«خَطَّاءٌ» معناها: أنه كثير الوقوع في الخطأ المتعمَّد، انتبهوا للمعنى! يعني الخطَّاء غير المخطئ؛ المخطئ يقع في الخطأ من غير قصد، هذَا معفو عنه، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] يقع في الخطأ من غير قصد.

أما الخطَّاء، فإنه يتصف بصفتين:

- الصفة الأولى: أنه كثير الخطأ، ليس خطأً واحدًا ولا خطأين، كثير الخطأ.

- الصفة الثانية: أنَّ وقوعه في الخطأ بعمد وقصد.

مثلًا يكذب؛ الكذب خطأ، ولكنه يقع فيه متعمدًا، ويتكرر منه هذَا الكذب، هذَا خطَّاء، «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ»، ولذلك قَالَ شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**والذنب للعبد كَالشَّيْءِ اللازم**"، ما دام أنَّ العبد يعيش في الدنيا، فوقوعه في الذنب أمر كاللازم له.

«وَخَيْرُ اَلْخَطَّائِينَ اَلتَّوَّابُونَ» الَّذِين إذا وقعوا في المعصية، تابوا ورجعوا إِلَى الله.

* **والتوبة**: أن يترك العبد الذنب مخلِصًا لله عَزَّوَجَلَّ، نادمًا عَلَى ما وقع، عازِمًا عَلَى ألا يعود.

الَّذِي يفعل الذنب ويصر عليه ويقول: أنا أتوب إِلَى الله، هذَا ليس بتائب، لَا بُدَّ في التوبة من ترك الذنب، هذَا أول شيء. مخلِصًا لله؛ لا يترك الذنب خوف العيب، ولا خوف أن يراه النَّاس؛ لأن الَّذِي يترك الذنب خوف أن يراه النَّاس يسلَم من فِعْل الذنب، لكن الَّذِي مضى يبقى عليه، فَلَا بُدَّ أن يكون تركه لله، أن يترك الذنب مخلِصًا لله، نادمًا عَلَى الَّذِي وقع، لَا بُدَّ من الندم، أن يندم عَلَى ما فعل.

أما بعض النَّاس، وللأسف بعضهم يتخذها وسيلة للدَّعْوَةِ، وبئس هذِه الوسيلة: يأتي أمام النَّاس ويقول: أنا كنت في شبابي أفعل وأفعل، سقى الله تلك الأيام! من أجل أن يجتنب الشباب. هذَا ما تاب، لو كان نادمًا لكان ذِكر ذنبه أشق عليه من كيِّه بِالنَّار، فَلَا بُدَّ من الندم والعزم عَلَى ألا يرجع، ما هو ألا يرجع، بل العزم عَلَى ألا يرجع. وَهذِه من رحمة الله بِالنَّاسِ، يكفي أن يعزم عَلَى ألا يرجع، فإذا صدق في عزمه، مُحي ذنبه. فلو فرضنا أنه ضعُف بعد فترة ورجع إِلَى الذنب، لا تُنقَض توبته، ولكن هذَا ذنب جديد يحتاج إِلَى توبة.

وإذا كان الذنب يتعلق بحقوق النَّاس، فَلَا بُدَّ من ردها إن كانت تُرد، أو الاستحلال منها إذا كان لا يترتب عَلَى الاستحلال مفسدة، أو مكافأتها بما يُذهِبها.

انتبهوا! إذا كان الذنب يتعلق بحقوق الخَلق، فَلَا بُدَّ من ردها إن كانت مِمَّا يُرد؛ سرق مالًا، يجب أن يرده إِلَى صاحبه بأي طريقة، ما يشترط أن يُخبره أنه سرقه منه، بأي طريقة يوصل له المال وانتهينا. وإن كان مِمَّا لا يُرد؛ اغتابه، كذب عليه، فإنه يستحله منه إذا أمِن المفسدة، وإذا لم يأمن المفسدة، فإنه يكافئ ذنبه بما يُذهِبه، مثل: أن يذكره بخير في المجالس الَّتِي ذكره فيها بسوء، أو يدعو له حَتَّى يرى أنه قد كافئ ذنبه. هذِه التوبة، «خَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ».

من صفات المؤمنين المفلحين: ليس أنهم لا يفعلون الذنب؛ لأن «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ»، نعم الأصل ترك الذنوب، وَهذَا يُمدَح به المؤمن، لكن من صفاتهم: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ قد يقع الإنسان في الذنب لضعفه، ماذا يفعلوا؟ ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ تذكروا أنهم سيقفون بين يدي الله، وأنَّ الله سيسألهم فخافوا من الله، فقادهم هذَا إِلَى ماذا؟ ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ استغفار الصادقين عَلَى الوصف الَّذِي ذكرناه في التوبة ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

إذًا يا إخوة «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ»، الأصل في المؤمن: أنه يجتنب الذنوب، ما يأتي إنسان يقول: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ»، إذًا أفعل الذنب. لا؛ الأصل أنه يجتنب الذنب.

ولذلك في وصية النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذ، ماذا قَالَ؟

قَالَ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ» افعل الطاعات واترك الذنوب، «وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا» يعني: إذا زلت القدم، فعليك بالندم، وَإِلَّا فالأصل أن تتحقق وأن تبتعد، فإذا وقعت في الخطأ والذنب فتُب إِلَى الله عَزَّوَجَلَّ.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٧٨ - وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اَلصَّمْتُ حِكَمٌ، وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ» أَخْرَجَهُ اَلْبَيْهَقِيُّ فِي "اَلشُّعَبِ" بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ. وَصَحَّحَ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ مِنْ قَوْلِ لُقْمَانَ اَلْحَكِيمِ.

(الشَّرْحُ)

يقول: (وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اَلصَّمْتُ حِكَمٌ، وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ»)، قَالَ: (أَخْرَجَهُ اَلْبَيْهَقِيُّ فِي "اَلشُّعَبِ" بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ).

أقول: روى البيهقي في "الشُّعب"، عن أنس: "أَنَّ لُقْمَانَ كَانَ عِنْدَ دَاوُدَ وَهُوَ يَسْرُدُ الدِّرْعَ" يعني وهو يصنع الدرع "فَجَعَلَ يَفْتِلُهُ هَكَذَا بِيَدِهِ، فَجَعَلَ لُقْمَانُ يَتَعَجَّبُ" ماذا يصنع داود، "وَيُرِيدُ أَنْ يَسْأَلَهُ" ماذا تصنع؟ "فَتَمْنَعُهُ حِكْمَتُهُ أَنْ يَسْأَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهَا" أي: فرغ داود من صُنع الدرع، "ضَمَّهَا عَلَىٰ نَفْسِهِ وَقَالَ: نِعْمَ دِرْعُ الْحَرْبِ هَذِهِ. فَقَالَ لُقْمَانُ إِنَّ الصَّمْتَ مِنَ الْحِكَمِ، وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ، كُنْتُ أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ، فَسَكَتُّ حَتَّىٰ كَفَيْتَنِي" علِمت بدون أن أسألك.

قَالَ البيهقي: "هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ عَنْ أَنَسٍ" يعني: أنه ليس منسوبًا إِلَى النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّمَا الَّذِي قاله هو لقمان. ورواه الحاكم هكذا أَيْضًا، وَقَالَ: "صحيحٌ عَلَىٰ شرط مسلم"، ووافقه الذهبي، ثُمَّ رواه البيهقي مرفوعًا عن أنس، أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اَلصَّمْتُ حُكْمٌ -وقيل: حِكَمٌ-، وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ»، ثُمَّ قَالَ البيهقي: "غَلَطَ فِي هَذَا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ" يعني: أَنَّ رفْعه غلط.

إذًا الأمر كما قَالَ الحافظ، إِنَّمَا هو من قول أنس، يحكي: أَنَّ لقمان حصل منه كذا وكذا، قَالَ: «اَلصَّمْتُ حُكْمٌ».

- إذا قلنا: «حُكْمٌ» يعني أَنَّ الصمت يمنع صاحبه مِن أن يُعاب، الحُكم: هو المنع، يعني: الصمت يمنع صاحبه من أن يُعاب.

- وإذا قلنا: «حِكَم» يعني: فيه حِكَم.

«وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ» وَلَا شَكَّ يا إخوة، قليل من النَّاس مَن يصمت.

وَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرشد إِلَى الصمت؛ ففي حديث معاذ الطويل المعروف، قَالَ في آخره النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ مِلَاكِ هَذَا؟**» قَالَ: بلى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَخَذَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلِسَانِهِ الشريف وَقَالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**». والحديث رواه التِّرْمِذِيّ وابن ماجه، وصححه الألباني.

أَيْضًا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ صَمَتَ نَجَا**» رواه أحمد وَالتِّرْمِذِيّ، وصححه الألباني. إذًا النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرشد إِلَى الصمت.

واستعمل السَّلَف هذَا؛ فقد روى ابن المبارك والفاكهي، عن أبي نجيح قَالَ: "**قَالَ أبي لطاوس، يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّ لُقْمَانَ قَالَ: إِنَّ مِنَ الصَّمْتِ حُكْمًا، وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ**" ذَكَرَ هذَا، وانظروا حكمة السَّلَف، "**فَقَالَ لَهُ طَاوُسٌ: يَا أَبَا نَجِيحٍ، إِنَّهُ مَنْ تَكَلَّمَ وَاتَّقَىٰ اللهَ، خَيْرٌ مِمَّنْ صَمَتَ وَاتَّقَىٰ اللهَ**".

يعني إذا تكلمت بتقوى الله، فَهذَا خيرٌ من الصمت، والصمت خيرٌ من فضول الكلام؛ يعني لو أنَّ عندنا اثنين رأيا منكرًا، فأحدهما صمت وَالآخَر أمر بالمعروف، الَّذِي تكلم خيرٌ من الَّذِي صمت، لكن في فضول الكلام الصمت خير.

وروى ابن عبد البر، عن أبي الذَّيَّالِ أنه قال: "**تَعَلَّمِ الصَّمْتَ كَمَا تَتَعَلَّمُ الْكَلَامَ، فَإِنْ يَكُنِ الْكَلَامُ يَهْدِيكَ فَإِنَّ الصَّمْتَ يَقِيكَ، وَلَكَ فِي الصَّمْتِ خَصْلَتَانِ: تَأْخُذُ بِهِ عِلْمَ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ**" إذا كنت تأتي مثلًا عند الشيخ وتسكت وتسمع للشيخ، ستأخذ علم الشيخ، لكن إذا كنت مهزارًا كثير الكلام، ستُحرَم من كثير من العلم، "**وَتَدْفَعُ بِهِ عَنْكَ مَنْ هُوَ أَجْدَلُ مِنْكَ**" قد تتكلم بكلام فتجد شخصًا جدِلًا يغلبك، لكن إذا صمت سلِمت منه.

فالصمت في موضعه خير، والكلام في موضعه خير، الكلام بالخير والتقى أفضل من الصمت، والصمت عن زائد الكلام وفضوله خيرٌ من الكلام.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بَابُ اَلرَّهَبِ مِنْ مَسَاوِئِ اَلْأَخْلَاقِ

(الشَّرْحُ)

(بَابُ اَلرَّهَبِ) هكذا في النُّسخ، إِلَّا في نسخة واحدة جاء فيها "باب التَّرْهِيْب"، ومعنى: الرَّهب أي: الخوف، باب الخوف من مساوئ الأخلاق.

وفي هذَا الباب يذكر الحافظ عددًا من الأحاديث الَّتِي ترهب من أخلاقٍ سيئة.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٧٩ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّ اَلْحَسَدَ يَأْكُلُ اَلْحَسَنَاتِ، كَمَا تَأْكُلُ اَلنَّارُ اَلْحَطَبَ» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ.

١٤٨٠ - وَلِابْنِ مَاجَهْ: مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ نَحْوُهُ.

(الشَّرْحُ)

وسكت عنه أبو داود، والقاعدة عند أبي داود: أنَّ ما سكت عنه فهو صالحٌ عنده.

أبو داود إذا سكت عن الحديث في السنن، فمعنى ذلك: أنَّ الحديث صالحٌ عنده، فهو يرى أنَّ الحديث صالح، ولكن الحديث ضعَّفه ابن باز، وضعَّفه الألباني.

والحديث فيه ذم الحسد، والحسد معناه: تمني زوال النعمة عن الغير، سواء تمنى أن تنتقل إليه أو لم يتمنَ، ولذلك يقول العلماء: الحسد درجتان:

➢ **الدرجة الأولى**: أن يتمنى زوال النعمة عن أخيه لتنتقل إليه.

أخوه عنده مال، فيتمنى أن يزول المال عن أخيه وينتقل المال إليه، فَهذَا حسد وكبيرة من كبائر الذنوب.

➢ **الدرجة الثانية**، وهي أقبح: أن يتمنى زوال النعمة عن أخيه من غير أن يتمنى أن تنتقل إليه. هو ما يريد نفع نفسه، لكن يريد أن يضر أخاه -وَالعِيَاذُ باللهِ-، يرى النعمة عَلَى أخيه فيتمنى أن تزول

عنه، وَهذَا أقبح من اَلْأَوَّل؛ لأن اَلْأَوَّل يتمنى أن ينفع نفسه وإنْ فَعَل قبيحًا، أما هذَا -وَالعِيَاذُ باللهِ- من قُبحه لا يحب أن يرى عَلَى أخيه، ويتمنى أن تزول عنه.

وقد قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ: الْإِيمَانُ وَالْحَسَدُ» رواه النسائي وابن حبان، وحسَّنه الألباني.

والمقصود: أنَّ الحسد ليس من أخلاق المؤمنين، والحسد داءٌ، ويسبب أدواءً، الحسد مرض ويسبب أمراضًا -وَالعِيَاذُ باللهِ-.

فقد جاء عن الزبير بن العوام، أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ» داء قديم في الأمم، «دَبَّ» ومعناه أنه دخل عليهم خُفية، «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ، هِيَ الحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ» رواه التِّرْمِذِيّ، وحسَّنه الألباني.

الحسد يا إخوة يسبب البغضاء، إذا تحاسد النَّاس، تباغضوا، وإذا تباغضوا، تدابروا وتفرقوا.

وجاء عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ»، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ فقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ».

هذَا القلب المخموم: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ» وراه ابن ماجه، وَقَالَ الألباني: صحيح.

- **طيب يقول قائل:** جاء في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ» والحديث في الصحيحين، هل معنى هذَا أنه يجوز للإنسان أن يتمنى زوال القرآن عمن يقوم به اَللَّيْل وزوال المال عمن يتصدق به؟

✍ **الجواب:** لا؛ الحسد كله حرام، وَإِنَّمَا هذَا حسد الغِبطة، وحسد الغِبطة معناه: أن تتمنى مِثل ما عند المنعَم عليه. رأيت جارك ورأيت أبناءه بررة، فتتمنى أن يكون أبناؤك مثل أبنائه، هذِه غِبطة، هذِه جائزة، وقد فسَّرها النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ففي حديث أبي هريرة، أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ» انتبهوا لما يأتي يا إخوة «فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ» سمعه يقوم في اَللَّيْل بالقرآن، «فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلاَنٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ» ليتني أوتيت مثل ما أوتي جاري فعملت مثل ما يعمل، أقوم اَللَّيْل بالقرآن، «وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلاَنٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ» رواه البخاري في الصحيح.

إذًا الأمر واضح، بتفسير النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَّن لنا المراد بهذا الحسد المستثنى.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٨١ - وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ اَلشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا اَلشَّدِيدُ اَلَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ اَلْغَضَبِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(الشَّرْحُ)

أي: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ اَلشَّدِيدُ» معنى الشديد: القوي، ليس القوي «بِالصُّرَعَةِ»، والصُّرَعَة: هو الَّذِي يصرع النَّاس كثيرًا، يعني هو رجل قوي في جسده، فإذا صارعه أحد، صرعه.

قَالَ: «لَيْسَ اَلشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا اَلشَّدِيدُ اَلَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ اَلْغَضَبِ»، ومعنى «اَلَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ اَلْغَضَبِ» أي: لا يفعل شيئًا من أجل الغضب، بل يكظم غيظه.

الرجل قد تُغضبه امرأته، تفعل شيئًا يُغضبه ويغضب، لكن الشديد لا يفعل شيئًا لأجل الغضب، بل يهدأ ويكظم حَتَّى تأتي الحكمة، وَهذَا من مكارم الأخلاق.

جاء في حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْفِذَهُ» ما جزاؤه؟ «دَعَاهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يُخَيِّرَهُ اللهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ».

مَن غضِب وهو قادر أن يفعل ما يشاء؛ الزوجة عنده ضعيفة وغضِب عليها، يستطيع أن يضربها ويكسِّر عظامها، لكنه كظم غيظه، ما جزاؤه؟ دعاه الله عَلَى رءوس الخلائق فخيَّره بين الحور العين يختار منهن ما شاء. وَهذَا الحديث رواه أبو داود وَالتِّرْمِذِيّ، وحسَّنه الألباني.

وفي حديث ابن عمر، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللهِ، مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ»، فأجرها عظيم، والحديث رواه أحمد وابن ماجه، وصححه الألباني.

إذًا الَّذِي يملك نفسه عند الغضب:

أولًا: هذَا هو القوي بشهادة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثانيًا: هذَا من أعظم الأعمال الصالحة، فأجر كظم الغيظ عند الغضب عظيم كما سمعناه في هذين الحديثين العظيمين.

وقد جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رجلًا قَالَ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ» رواه البخاري في الصحيح.

ومعنى «لاَ تَغْضَبْ»، قيل: اجتنب الغضب.

كيف أجتنب الغضب والغضب صفة انفعالي؟ قالوا: يعني اجتنب أسباب الغضب.

وَقَالَ بعض أهل العلم: بل معنى «لاَ تَغْضَبْ»: لا تفعل شيئًا عند الغضب، الغضب صفة انفعالية تصيب الإنسان، لكن أنت لا تفعل شيئًا إذا غضبت، فيكون هذَا الحديث متفقًا مع الحديث الَّذِي معنا.

وَقَالَ بعض أهل العلم: بل هو أن يُدرِّب نفسه عَلَى الحِلم، ومَن درَّب نفسه عَلَى الحِلم، صار حليمًا. بعض النَّاس غضوب، وهكذا نشأ، لكن لو درَّب نفسه عَلَى الحِلم وأخذ نفسه شيئًا فشيئًا، سيجد أن صفة الغضب تخف عنده شيئًا فشيئًا.

وكل هذِه المعاني صحيحة؛ «لاَ تَغْضَبْ» يعني: اجتنب أسباب الغضب، لا تُدخِل نفسك في أمور تُغضبك، هذَا يقال له مثل ما يقول الأطباء للمصاب بمرض الحساسية: اجتنب ما يُثير الحساسية عندك، هم يقولون: يعني كل إنسان طبيب نفسه في هذِه الأمور؛ بعض النَّاس الموز يثير عليه حساسية،

بعض النَّاس السمك، كذلك أن تعرف نفسك ما الَّذِي يُغضبك أكثر، تجنبه بقدر الإمكان. وَأَيْضًا لا تفعل شيئًا عند الغضب. وَأَيْضًا حاول أن تعوِّد نفسك عَلَى عدم الغضب.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٨٢ - وَعَنْ اِبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اَلظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

١٤٨٣ - وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ: «اِتَّقُوا اَلظُّلْمَ، فَإِنَّ اَلظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا اَلشُّحَّ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

(الشَّرْحُ)

(وَعَنْ اِبْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اَلظُّلْمُ») ما هو الظُّلْم؟ الظُّلْم أَيُّهَا الإخوة: عدم إعطاء الحق الواجب لصاحبه، هذَا الظُّلْم، وليس الظُّلْم: عدم التسوية، كما أنه ليس العدل: التسوية -دائمًا-، ولذلك يا إخوة الشِّرْك أعظم الظُّلْم، لماذا؟ لأن الله التَّوحِيْد، فلم يُعطِ هذَا العبد ربه حقه، فكان ظالمًا أشر الظُّلْم.

فَالظُّلْم: ألا تُعطي صاحب الحق الواجب حقه.

الآن يا إخوة، الَّذِي يقسم الميراث بين البنات والأولاد بالسوية، هل عدَلَ أو ظَلَم؟ ظلم؛ لأنه لم يُعطِ الحق الواجب لصاحبه، وَإِنَّمَا العدل: أن يُعطي الذِّكْر مثل حظ الأنثيين، كما قسم الله عَزَّوَجَلَّ، وحُكم الله هو العدل المُطْلَق.

ولذلك يا إخوة يقول العلماء: إذا كان عند الإنسان أبناء، فإنَّ الواجب أن يعدل بينهم في العطية، وألا يظلم واحدًا، كيف يعدل بينهم في العطية؟ إن كان مِمَّا يتفاوتون فيه، فيعطي كل واحد ما يستحق.

رجل عنده ابنان، أَحَدُهُمَا نحيف يحتاج نصف خبز، وآخر ما شاء الله مليان، يحتاج ثلاثة أقراص خبز. ليس العدل أن يعطي هذَا نصف ويعطي هذَا نصفًا، العدل: أن يعطي هذَا نصفًا ويعطي هذَا ثلاثة أقراص خبز.

شخص عنده طفل في الابتدائية وعنده شاب في الجامعة، العدل: أن يعطي الشاب في الجامعة من المال ما يحتاج إليه، ويعطي الطفل في الابتدائية ما يحتاج إليه. أما إذا كانوا يتساوون فيه، فَلَا بُدَّ من العدل بِالتَّسَاوِي.

«اَلظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ» قَالَ بعض أهل العلم: هذَا عَلَى ظاهره، فإنَّ الظالم يُظلَم طريقه يوم القيامة بحيث لا يهتدي كسائر المؤمنين. المؤمنون يوم القيامة يرزقهم الله نورًا يسعى بين أيديهم يهتدون به إِلَى الجَنَّة، أما الظالم فيكون في ظلام يوم القيامة -وَالعِيَاذُ بِاللهِ-.

وَقَالَ بعض أهل العلم: بل المقصود بالظلمات هنا: الشدائد، يعني أنه يكون في شدة عظيمة يوم القيامة، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾ [طه: ١١١]، فيكون خائبًا وفي شدة يوم القيامة، وفي هذَا تنفيرٌ من الظُّلْم.

وَلَا شَكَّ أنَّ الظُّلْم من كبائر الذنوب، ولذلك النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما بعث معاذًا إِلَى اليمن، قَالَ: «وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ» وَهذَا الحديث في الصحيحين.

والظالمون يُفلسون يوم القيامة، ولذلك النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا» وَهذَا ظلم، «وَقَذَفَ هَذَا» وَهذَا ظلم، «وَأَكَلَ مَالَ هَذَا» وَهذَا ظلم، «وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا» كل هذَا ظلم، «فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» رواه بهذا اللَّفْظ مسلم في الصحيح، ورواه البخاري بلفظٍ قريبٍ من هذَا.

قَالَ: (وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ: «اِتَّقُوا اَلظُّلْمَ») أي: اجتنبوا الظُّلْم كله. وَالظُّلْم يا إخوة؛ إِمَّا بِالشِّرْكِ، وَإِمَّا بالمعصية، وَإِمَّا بظلم النَّاس، كل هذَا من الظُّلْم يجب علينا أن نجتنبه، فإنَّ الله حرَّمه عَلَى نفسه، وجعله بيننا محرَّمًا، «فَإِنَّ اَلظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا اَلشُّحَّ» أي: احذروا الشُّح.

- ما هو الشُّح؟

✍ الشُّح قَالَ بعض أهل العلم: هو أشد البخل، هو نوع من البخل وهو أشد البخل. وَقَالَ بعض أهل العلم: الشُّح هو الحرص عَلَى ما ليس عند الإنسان، والبخل: الحرص عَلَى ما عنده؛ يعني الشحيح يبخل بما ليس عنده، وربما جاء للكريم وعاب عليه كرمه. الكريم أعطى عاملًا عنده شيئًا، يأتي شخص يقول له: لماذا تعطيه؟ تخسر أموالك وَهذَا ما يستاهل. هذَا شحيح، هذَا بخِل بما ليس عنده، والبخيل: هو الَّذِي يبخل بما عنده.

والشُّح صفة ذميمة، وليس من صفات الأخيار، ولذلك جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي جَوْفِ عَبْدٍ أَبَدًا» يعني: مَن جاهد في سبيل الله الجهاد المشروع، فأصابه الغبار، فإنه يأمن دخول جهنم، ثُمَّ قَالَ: «وَلَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدًا» رواه النسائي وصححه الألباني.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» أي: احذروه، فإنه إذا فشا فيكم قد يكون سببًا لهلاككم كما أهلك الأمم قبلكم.

- طيب، كيف أهلك الأمم قبلنا؟

✍ بيَّن لنا ذلك النَّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ففي حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ، أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا».

الشُّح جعلهم يبخلون، وجعلهم يقطعون، وَهذَا ظاهر يا إخوة؛ الشحيح تجد أنه ما يحب أنَّ النَّاس يزورونه، ولذلك لا يزور النَّاس، فيقطع حَتَّى أقاربه، ويخيَّل إليه أنَّ كل مَن زاره يريد شيئًا منه، «وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ» والفجور: هو الخروج عن الحق «فَفَجَرُوا» من أجل المال. وَهذِه الأمور الثلاثة يا إخوة مع الشِّرْك هي أسباب هلاك الأمم.

*** أسباب هلاك الأمم أربعة:**

١. الإشراك بالله.

٢. والبخل.

٣. وقطيعة الأرحام.

٤. والفجور.

فَهذِه إذا وُجِدت في أمة كانت سببًا في هلاكها.

وَهذَا فيه بيان أنَّ الشُّحّ خزي في الآخرة، وسببٌ للعقوبة في الدنيا، الشُّحّ خزيٌ في الآخرة لأنه ذنبٌ عظيم، وسببٌ للعقوبة في الدنيا.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٨٤ - وَعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ اَلشِّرْكُ اَلْأَصْغَرُ: اَلرِّيَاءُ» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ.

(الشَّرْحُ)

نعم، وصححه الألباني.

(**وَعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ»**)

أي: عَلَى أمته «**اَلشِّرْكُ اَلْأَصْغَرُ**» فدلَّ عَلَى أنَّ الشِّرْك فيه أكبر، وفيه أصغر. وَالشِّرْك الأكبر يُخرِج من الملة، وَالشِّرْك الأصغر لا يُخرِج من الملة، لكنه أعظم من بقية الذنوب. أعظم الذنوب عَلَى الإطلاق: الشِّرْك الأكبر، ثُمَّ دونه الشِّرْك الأصغر، ثُمَّ دونه البدع، ثُمَّ دونها الكبائر، ثُمَّ دونها الصغائر.

هذِه مراتب الذنوب: الصغائر، ثُمَّ الكبائر، ثُمَّ البدع، ثُمَّ الشِّرْك الأصغر، ثُمَّ الشِّرْك الأكبر.

هذَا الحديث دليل عَلَى أنَّ هناك شركًا أصغر، وفسَّره النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هنا بـ «**اَلرِّيَاءُ**»، وَهذَا تفسير ببعضه، وَإِلَّا فَالشِّرْك الأصغر أكثر من الرياء.

والعلماء ضبطوا الشِّرْك الأصغر، وذكرناه في دروسنا عَلَى شرح التَّوحِيْد، وضابطه:

- أنه كل شركٍ سُمِّي في النصوص شركًا ودلَّ الدليل عَلَى أنه لا يُخرِج من الملة، «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**»، هذَا شرك أصغر.

- أو كان وسيلةً إِلَى الشِّرْك الأكبر، فما كان وسيلةً إِلَى الشِّرْك الأكبر فهو شرك أصغر.

لكن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسَّره هنا بـ«الرِّيَاءُ»، فسمى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرياء: الشِّرْك الأصغر، وسماه أَيْضًا: شرك السرائر، كما في حديث محمود بن لبيد أَيْضًا، أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَشِرْكَ السَّرَائِرِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا شِرْكُ السَّرَائِرِ؟ قَالَ: «يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ جَاهِدًا لِمَا يَرَىٰ مِنْ نَظَرِ النَّاسِ إِلَيْهِ» رواه ابن خزيمة، وحسَّنه الألباني.

وسماه أَيْضًا النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشِّرْك الخفي.

إذًا النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ سماه الشِّرْك الأصغر، وسماه شرك السرائر، وسماه الشِّرْك الخفي في حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟» قالوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَالَ: «الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَىٰ مِنْ نَظَرِ الرَّجُل إليه» رواه ابن ماجه، وحسَّنه الألباني.

والرياء ما معناه؟ أن يُظهِر العبد العمل الصالح أمام النَّاس ليحمدوه، يعني: ليمدَح بهذا العمل الصالح. ليس الرياء أن تُظهِر العمل الصالح، قد يكون إظهار العمل الصالح واجبًا مثل صلاة الجماعة، وقد تظهِر الصدقة أمام النَّاس لتشجعهم عَلَى الصدقة، هذَا ليس رياءً؛ الرياء: أن تُظهِر العمل الصالح أمام النَّاس بقصدٍ فاسد، وهو أن يحمدك النَّاس بهذا، أن يمدحك النَّاس بهذا، من أجل نظر النَّاس، تريد مدح النَّاس.

لو مثلًا دخلت المسجد، فرأيت شيخك جالسًا وأنت تريد تزكية من الشيخ، فلما رأيت الشيخ جالسًا، دخلت ... من أجل نظر الشيخ إليك. جمعت هنا بين مصيبتين: الرياء، وإرادة الدنيا بِالصَّلَاةِ؛ لأنك راءيت الشيخ لنظر الشيخ إليك ليمدحك، وأردت منه التزكية، وَهذِه من إرادة الدنيا -وَالعِيَاذُ باللهِ-.

رجل يريد أن يخطب بنت رجل، فجاء إِلَى المسجد الَّذِي يصلي فيه هذَا الرجل، وجاء قبل الأذان وجالس في الصف اَلْأَوَّل، والعادة يجيء عند الإقامة، وجلس في الصف اَلْأَوَّل حَتَّى إذا دخل الرجل

هذَا والد البنت يراه في الصف اَلْأَوَّل، وعندما رأى الرجل دخل، قام واقف. هذَا جمع بين المصيبتين؛ الرياء، وأراد بِالصَّلَاةِ الدنيا -وَالعِيَاذُ باللهِ-.

والعلماء يقولون: غلبة الرياء عَلَى الإنسان لا تكون من مؤمن. أن يكون عمل الإنسان كله رياءً إِلَّا قليلًا، هذَا ما يكون إِلَّا من المنافقين؛ يصلي رياءً، يصوم رياءً، يحج رياءً، يتصدق رياءً، لا يذكر الله إِلَّا قليلًا، هذَا لا يصدر من مؤمن، أما يسير الرياء الَّذِي يقع أحيانًا في بعض العمل، فَهذَا شركٌ أصغر.

والرياء عاقبته وخيمة؛ فإنَّ الله يفضح صاحبه يوم القيامة؛ «مَنْ رَاءَىٰ رَاءَىٰ اللهُ بِهِ، وَمَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ».

وقد قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في هذَا الحديث الَّذِي معنا: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ» قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَىٰ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً» رواه أحمد في الصحيح.

فَهذَا يدل عَلَى عِظم شأن الرياء، نعوذ بالله من ذلك.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُٱللَّهُ:

١٤٨٥ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «آيَةُ اَلْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: «إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

١٤٨٦ - وَلَهُمَا: مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اَللهِ بْنِ عَمْرٍو: «وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ».

(الشَّرْحُ)

نعم، قوله: (وَلَهُمَا: مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اَللهِ بْنِ عَمْرٍو: «وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ») يشير إِلَى حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ».

يقول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «آيَةُ المُنَافِقِ»، آية يعني: علامة.

- **طيب يا إخوة، يقول لي قائل منكم:** لماذا أفرد النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «آيَةُ» وهي ثلاثة؟ لماذا لم يقل: آيات المنافق ثلاث؟

✍ **قَالَ العلماء:** إشارة إِلَى أن آية النِّفَاق: اجتماعها، أن تجتمع الثلاث. وفي حديث ابن عمرو تصبح أربع، فمَن اجتمعت فيه الأربع، فَهذِه علامة عَلَى النِّفَاق.

«آيَةُ المُنَافِقِ»، مَن هو المنافق؟ الأصل في المنافق أنه الَّذِي يظهِر الإسلام ويبطن الكفر، فهل معنى هذَا: أنَّ مَن اجتمعت فيه هذِه الأربع يكون منافقًا مظهِرًا للإسلام ومبطنًا للكفر؟

✍ الجواب: لا؛ وَإِنَّمَا هذَا كما يقول العلماء: النِّفَاق العملي.

والمقصود: أنَّ هذِه الأربع لا تكاد تجتمع في المؤمن، وَإِنَّمَا تجتمع في المنافق، فإذا اجتمعت في المؤمن، فَهذَا نفاقٌ عملي، لا يخرج به من الإيمان، لكنه عَلَى خطرٍ شديد يُشبه المنافقين، أصبح يشبه المنافقين.

قَالَ العلماء: هذِه الصفات الأربع تشبه النِّفَاق من وجهٍ آخر، كيف؟ يقولون: «إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ»، الكاذب يُظهِر خلاف ما يبطن، يقول بلسانه خلاف ما في قلبه، وَهذَا مثل النِّفَاق، «وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ» فَهذَا يعِد النَّاس بشيء وهو في قلبه أنه لن يفي، يقترض من شخص مالًا ويقول: سأرد الدين بعد شهر، وهو في قلبه يقول: ابحث عني بعدها. هذَا أظهر خلاف ما يبطن. «وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» يظهر للنَّاسِ الأمانة وهو خوَّان، «وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» في الخصومة كما سيأتي إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

فالراجح من تفسير أهل العلم في تفسير الحديث: أنَّ هذَا في النِّفَاق العملي الَّذِي لا يُخرِج من الملة.

«إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ» الكذب يا إخوة: هو الإخبار بخلاف الواقع، ومنه: الإخبار بما لا يعلم الإنسان أنه صدْق، هذَا من الكذب، وَهذَا نقع فيه كثيرًا الآن يا إخوة، في هذِه وسائل التواصل والإشاعات الَّتِي تأتينا، بعضنا يُرسل الَّذِي يأتيه، يقول: والعهدة عَلَى الناقل، أو يقول: واللهُ أَعْلَمُ. هذَا من الكذب.

من الكذب أن تُحدِّث بما لم تعلم أنه صدق؛ فقد جاء عن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قَالَ: «كَفَىٰ بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» رواه مسلم في الصحيح.

روى مسلم في الصحيح، أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَفَىٰ بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» أي: لا يميز فيحدِّث بما لم يعلم أنه صدق، فَهذَا من الكذب -وَالعِيَاذُ بالله-، ولذلك يا إخوة علينا الحذر مِمَّا يُنقَل لنا، لاسيما ما يسبب الفتن بين الإخوة في البلاد، يسبب القلاقل، علينا أن نحذر، الإنسان يجب أن يتبين في كلامه فلا يتحدث إِلَّا بصدق، ولا يتحدث بِالصِّدْقِ إِلَّا إذا كان فيه خير.

انتبهوا يا إخوة! لا يتحدث الإنسان المسلم إِلَّا بصدق، ما لم يعلم صدقه، لا يتحدث به. وإذا تحدث بِالصِّدْقِ، إِنَّمَا يتحدث به إذا كان في حديثه خير.

قد أكون أنا وأخي في محبة، وتأتي أنت وتسمع مني كلمة في أخي، قلت كلمة في المجلس، فسمعتها أنت، إذا قلتها، هذَا صدق، لكن المؤمن لا يكتفي في أن يكون الكلام صدقًا، بل لَا بُدَّ أن ينظر في كلامه هل هو يؤدي إِلَى خير أو لا. فإذا كان لا يؤدي إِلَى خير، صمت وسكت، وإذا كان يؤدي إِلَى خير، تكلم.

«وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ» الوعد: هو الإخبار بإيصال خيرٍ أو إبرام فِعْل في المستقبل.

تقول لي مثلًا: أقرضني مائة دينار، فأقول لك: في آخر الشهر أقرضك مائة دينار. هذَا وعد؛ لأني أخبرتك بإيصال هذَا الخير إليك في آخر الشهر.

أو إبرام فعل؛ تقول: أجِّرني هذَا البيت، فأقول: أؤجرك البيت بعد شهرين. ما هو: أجَّرتك، أؤجرك، فَهذَا وعد؛ لأنك أخبرت بإبرام الإجارة بعد شهرين.

«وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ» أخلف يعني: لم يفِ. والتحقيق أَيُّهَا الإخوة: أنَّ المراد بالوعد هنا هو الوعد الَّذِي يجب الوفاء به.

- ما هو الوعد الَّذِي يجب الوفاء به؟

✍ هو ما أدخل إخلافه الموعود به في الضرر؛ قلت لي: أجِّرني بيتك، فقلت: أؤجرك بعد ثلاثة أشهر. فأنت لرغبتك في البيت وفي جواري مثلًا ما استأجرت، بعد ثلاثة أشهر جئتني، فقلت: لا، أنا

ما أبغى أؤجرك. من غير عذر، أخلفت الوعد، أدخلتك في الضرر؛ لأني لو قلت لك من أول شيء: أنا لا أؤجر. ذهبت واستأجرت، فَهذَا الوعد يجب الوفاء به.

أما ما لا يُدخِل في الضرر، فالوفاء به مستحب عند جمهور العلماء، الوعد بأمرٍ لا يُدخِل في الضرر، الوفاء به مستحب.

قلت لك مثلًا: سأعطيك مائة دينار في آخر الشهر، ثُمَّ لم أفِ. الوفاء مستحب، ولا أكون ارتكبت إثمًا.

إذًا الوعد الَّذِي يكون إخلافه علامة عَلَى النِّفَاق، هو الوعد الَّذِي يجب الوفاء به، وهو الَّذِي يكون إخلافه مدخلًا الضرر عَلَى الموعود به.

«وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» وَهذَا ظاهر.

«وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» أي: في الخصومة يخرج عن الحق ويجادل بالباطل.

فَهذِه الأمور الأربعة إذا اجتمعت في إنسان، كان شبيهًا بالمنافقين شبهًا عظيمًا، وكان منافقًا نفاقًا عمليًّا. وإذا وُجِدت واحدة منهن فيه، كانت فيه خصلةٌ من النِّفَاق.

لعلنا نقف هنا ونكمل غدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، واللهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ

المجلس (٧)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمَّان الأكملَانِ عَلَىٰ المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ؛ أَمَّا بَعْدُ:

فمعاشر الفضلاء! نواصل شرحنا لكتاب الجامع من "بلوغ المرام"، للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ، سائلًا ربي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يفقهنا في دينه، وأن يشرح صدورنا وييسر أمورنا، فيتفضل الشيخ رفاعي يقرأ لنا وَفَّقَهُ اللهُ.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ وحده، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ مَن لا نبي بعده، وَبَعْد:

فقَالَ الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٨٧ - وَعَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سِبَابُ اَلْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(الشَّرْحُ)

نعم، لازالت الأحاديث عن التَّرْهِيْب من مساوئ الأخلاق، وقد أورد الحافظ هذَا الحديث العظيم (عَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سِبَابُ اَلْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

السِّباب: هو الشَّتْم وإلحاق العيب بِالنَّاسِ بالألفاظ. السَّب: أن تُلحق العيب بإنسان بالكلام، سواء كان ذلك يتعلق في دينه، كأن تقول له: يا فاسق، وهو ليس كذلك، أو يتعلق بجسده، أو يتعلق بأهله، أو نحو ذلك.

«سِبَابُ اَلْمُسْلِمِ فُسُوقٌ» ومعنى فسوق: أنه معصية، فالفسوق: هو الخروج من حد الطَّاعَة إِلَى حد المعصية، فالأصل في المسلم أنه من أهل الطاعات، فإذا فعل ذنبًا فإنه يكون خرج عن الحد الأصلي الَّذِي هو عليه إِلَى حد المعصية.

«وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» قتاله أي: مقاتلته، وإذا كانت مقاتلته بهذا القبح، فقتله أقبح. إذا كانت المقاتلة وهي القتال في ذاته بهذا القبح، فقتله أقبح من هذَا، «وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» الكفر في اللُّغَة: هو السَّتر والتغطية، وليس المراد بالكفر هنا الكفر المخرج من الملة بإجماع أهل السُّنَّة، فإنَّ القتل بغير حق كبيرة من كبائر الذنوب، لا تُخرِج من الدين، وَإِنَّمَا المراد هنا:

- إِمَّا أنَّ المقصود: أنه من باب كفر النعمة، وذلك أنَّ الله أنعم عَلَى الإنسان فجعله مسلمًا طائعًا، فيكفر هذِه النعمة بقتاله لأخيه.

- وَإِمَّا أنَّ المراد: أنه من خصال الكفر. قتال المسلمين من خصال الكفار، فهو خصلة من خصال الكفر، فمَن قاتل المسلمين فقد أشبه الكفار في هذِه الخصلة.

وسباب المسلم بغير حق، حرامٌ بإجماع المسلمين، وهو ينافي مقتضى الأخوة الإسلامية، وقد قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» والحديث في الصحيحين.

ومعنى ذلك: أنَّ مقتضى الإسلام ومقتضى الأخوة الإسلامية، أن يسلم المسلمون من أخيهم المسلم، من لسانه ومن يده، فسباب المسلمين ينافي مقتضى الأخوة الإسلامية.

والحديث يدل عَلَى أنَّ سباب المسلم يُخرِج المسلم من العدالة إِلَى الفسق، فيوصَف بكونه فاسقًا، فمن جوارح العدالة، من قوادح العدالة: أن يُعرَف الرجل بسباب المسلمين بغير حقٍّ، وقتل المسلم بغير حق كبيرة من كبائر الذنوب.

وقد قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الكَبَائِرُ: الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ» رواه البخاري في الصحيح.

والدخول في حد قتل المسلم يُدخِل القاتل في الضيق الشديد، ولذلك قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يَزَالَ المُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا» رواه البخاري في الصحيح.

«لَنْ يَزَالَ المُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ» مهما وقع منه من ذنوب، ما دام أنه عَلَى دين فإنه لا يزال في فسحة «مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا»، فإذا أصاب دمًا حرامًا، أدخل نفسه في الضيق.

وفي الحديث الآخر: «لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ مُعْنِقًا صَالِحًا، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا، فَإِذَا أَصَابَ دَمًا حَرَامًا بَلَّحَ».

«لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ مُعْنِقًا» يعني: طويل العنق، وَهذِه كناية عن شرفه، «صَالِحًا» أي: مكسرًا من الأعمال الصالحة «مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا، فَإِذَا أَصَابَ دَمًا حَرَامًا بَلَّحَ» أي: انقطع من الخيرات.

وَهذَا يوجب عَلَى المسلم أن يحذر حذرًا شديدًا من قتل المسلم بغير حق، أو أن يعين أحدًا عَلَى أن يقتل مسلمًا بغير حقٍّ ولو بموعظة في غير مكانها.

مَن وجد مثلًا حاكمًا ظالمًا متساهلًا في القتل، فحدَّثه بحديث الخوارج، فقد ظلم نفسه؛ لأنه بهذا يُعينه عَلَى قتل النَّاس؛ لأنه عُرِف بظلمه وتساهله. أما الحاكم إذا خرج عليه الخوارج، فيُحدَّث بحديث الخوارج وما شُرِع فيهم، هذَا من الدين والنصح، لكن إذا وُجِد إنسان عُرِف بِالظُّلْم والتساهل في قتل النَّاس، فمن إعانته عَلَى القتل أن يُحدَّث بما يزيده تساهلًا في قتل النَّاس.

ولذلك أنا أقول لطلاب العلم: احذر وكن عَلَى بصيرة في مسألة القتل، ولا تكن قاتلًا ولا متسببًا في قتل مسلم بغير حق.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٨٨ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(الشَّرْحُ)

اللَّهُ أَكْبَرُ! ما أعظم أحاديث النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكيف تعالج النفوس!

يقول النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ»، «إِيَّاكُمْ» أي: أحذركم، وَالظَّنَّ: هو الأمر المحتمِل الذي لم يقم دليلٌ على ثبوته، والمراد به هنا: سوء الظن بالمسلمين، أي: أحذركم سوء الظن بالمسلم،

ومفهومه: الأمر بإحسان الظن بالمسلم ما وُجِد إِلَى ذلك السبيل، فيُحمَل المسلم عَلَى أحسن الوجوه ما لم يوجد ما يكذِّب ذلك.

✍ الأصل: أنَّا نحسن الظَّنّ بالمسلم، ونحمل المسلم عَلَى أحسن الوجوه المحتملة ما لم يوجد ما يكذِّب ذلك ويدل عَلَى خلاف الوجه الحسن.

والمراد بقول النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ»: التحذير من ترتيب القول أو العمل على سوء الظن، فإنه حرام. أما وجود الظن في القلب، فهذا انفعالٌ لا يملكه الإنسان، فلا يتعلق به التكليف، وَإِنَّمَا الَّذِي يتعلق به التَّكْلِيْف: أن تتكلم بسوء ظنك الَّذِي لم يقم عليه دليل. أسأت الظَّنّ بمسلم، إذا كان الأمر في قلبك، لا تؤاخَذ بهذا، لكن أن تتكلم بهذا عند النَّاس أو ترتب عَلَى ذلك بُغضًا أو هجرًا أو نحو ذلك، فَهذَا هو الَّذِي نهى عنه النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

ولذلك قَالَ سفيان رَحِمَهُ اللَّهُ: "**الظَّنُّ ظَنَّانِ: فَظَنٌّ إِثْمٌ، وَظَنٌّ لَيْسَ بِإِثْمٍ، فَأَمَّا الظَّنُّ الَّذِي هُوَ إِثْمٌ فَالَّذِي يَظُنُّ ظَنًّا وَيَتَكَلَّمُ بِهِ، وَأَمَّا الظَّنُّ الَّذِي لَيْسَ بِإِثْمٍ فَالَّذِي يَظُنُّ وَلَا يَتَكَلَّمُ بِهِ**" أي: لا يرتب عَلَى ظنه كلامًا ولا فعلًا. ذكره التِّرْمِذِيّ عنه بعد روايته لهذا الحديث الَّذِي معنا.

والله عَزَّوَجَلَّ أمرنا أن نجتنب كثيرًا من الظَّنّ؛ لأن بعض الظَّنّ إثم، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢]، سُبْحَانَ اللَّهِ! انظر إِلَى الحكم، وانظر إِلَى العلة.

الحُكم: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ﴾، والعلة: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ﴾؛ فلأجل أنَّ بعض الظَّنّ إثم، أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ أن نجتنب كثيرًا من الظَّنّ. ما قَالَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: اجتنبوا بعض الظَّنّ فإنَّ بعض الظَّنّ إثم، قَالَ: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢].

وأما حديث: «**احْتَرِسُوا مِنَ النَّاسِ بِسُوءِ الظَّنِّ**» الذي يردده بعض الناس، ويبرر لنفسه أنه يسيء الظَّنّ بالمسلمين، ويقول: جاء في الحديث «**احْتَرِسُوا مِنَ النَّاسِ بِسُوءِ الظَّنِّ**»، هذَا الحديث رواه الطبراني، ولكنه ضعيفٌ جدًّا كما بيَّنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

يقول النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ اَلظَّنَّ أَكْذَبُ اَلْحَدِيثِ**»، ما العلاقة بين الظن والكذب؟

يقول العلماء: إنَّ الظن السيئ إذا أظهره صاحبه وتكلم به من غير بينة تسنده وتُثبته، كان كذبًا، بل من شر الكذب، لماذا من شر الكذب؟ قالوا: لأنه يجمع شرين؛ أنه خلاف الواقع، وأنَّ فيه إضرارًا بمن أُسيئ الظن به، لأنه سيتكلم في عِرضه ويُلحِق به هذا العيب الذي ظنه فيه، فهو أكذب الحديث.

قال العلماء أَيْضًا: إنَّ إظهار سوء الظَّنّ قد يدفع المظنون به أن يفعل ما قيل فيه. إذا أسأت الظَّنّ بأخيك ونشرت هذَا وانتشر هذَا بين النَّاس أنه يقول كذا أو يفعل كذا أو يذهب مع كذا، قد يدفعه هذَا إلَى أن يفعل هذَا.

ولذلك جاء عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**إِنَّكَ إِذَا اتَّبَعتَ الرِّيبَةَ فِي النَّاس أَفْسَدْتَهُم**» رواه البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني.

يقول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّكَ إِذَا اتَّبَعتَ الرِّيبَةَ فِي النَّاس**» يعني: اتبعت الظَّنّ السيئ في النَّاس فإنك تفسد النَّاس، كيف تفسد النَّاس؟

قَالَ العلماء: إذا أظهرت هذَا ونشرته، قد يجعل هذَا النَّاس يفعلون ما تقول، فتكون سببًا في إفساد النَّاس.

ولذلك المؤمن الحريص الخائف عَلَى نفسه لا يتبع سوء الظَّنّ؛ لا يتكلم به، ولا يُرتب عليه عملًا.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٨٩ - وَعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ، وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(الشَّرْحُ)

هذَا اللَّفْظ الَّذِي ذكره الحافظ لمسلم في الصحيح، ورواه البخاري بلفظٍ قريب، حيث رواه بلفظ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ**».

وانظروا يا إخوة في هذَا الحديث: «**مَا مِنْ عَبْدٍ**»، ما: نافية، و "**مِنْ**" إذا دخلت عَلَى النكرة في سياق النفي، أكَّدت العموم بحيث لا يُستثنى منه شيء.

إذا قلت: لا رجل في الدار، رجل: نكرة في سياق النفي، يصح أن أقول: إِلَّا زيدًا، فأستثنى، لكن إذا قلت: "**ما مِن رجل في الدار**" لا يصح أن أستثني؛ لأن "**مِن**" تؤكد العموم إذا دخلت عَلَى النكرة، «**مَا مِنْ عَبْدٍ**»: «**عَبْدٍ**» نكرة في سياق النفي، وقد سبقته «**مِنْ**»، فيقتضي هذَا العموم، كل عبد، سواء كان ذكرًا أو أنثى، أميرًا، حاكمًا، قاضيًا، مديرًا، موظفًا، والدًا، عاملًا، كلهم يدخلون في هذَا.

«**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اَللهُ رَعِيَّةً**» أي: يجعل الله له رعاية أحدٍ من النَّاس ولو كان واحدًا، «**يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ، وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ**»، «**غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ**» أي: لم ينصح لهم، ولم يفعل الأصلح لهم، ولم يأمرهم بما فيه خيرهم.

وَهذَا الحديث يا إخوة -كَمَا قُلْنَا- ليس خاصًّا بالحكام؛ بل يشمل الحكام، ويشمل القضاة، ويشمل نُظَّار الأوقاف، ويشمل الأوصياء عَلَى الأيتام، ويشمل الوالدين، ويشمل المدراء، ويشمل الموظفين، وهو يدل عَلَى أنَّ مِن أعظم فرائض الدين: أن ينصح مَن وُلِّي عَلَى أحد مَن تحت ولايته، ولمن تحت ولايته، وأنَّ غش الرعية من كبائر الذنوب، ولذلك قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِلَّا حَرَّمَ اَللهُ عَلَيْهِ اَلْجَنَّةَ**»، وليس المقصود: أنه لا يدخل الجَنَّة أبدًا، وَإِنَّمَا المقصود: أنه لا يدخل الجَنَّة ابتداءً، وقد يطول مكثه في النَّار -وَالعِيَاذُ باللهِ-.

ولذلك وضع العلماء قاعدة، فقالوا: "**التَّصَرُّف عَلَىٰ الرعية منوطٌ بالمصلحة**"، أنت أَيُّهَا الوالد لك قوتك في بيتك، لكن تصرفك في أسرتك ليس مبنيًّا عَلَى هواك، ولا عَلَى رأيك، ولا عَلَى مشتهاك، الواجب أن تتصرف لهم بالأصلح، أصلح ما يكون للرعية من الممكن يجب أن تفعله، حَتَّى قَالَ العلماء: "**لا يجوز له أن يفعل الصالح مع وجود الأصلح والقدرة عليه**".

تقدّم لابنتك رجلان، أَحَدُهُمَا صالح وهو ابن عم، وَالآخَر أصلح وهو بعيد، لا يجوز لك أن تجامل عَلَى حساب ابنتك وتقول: أبناء عمومتي. يجب أن تفعل الأصلح للبنت، وأن تختار لها الأصلح.

وَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيَّن عموم الرعاية في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**» متفقٌ عليه.

ولذلك يا إخوة الإسلام دينٌ جاء بكل خير، حفِظ للرعية حقوقهم، وحفِظ للرعاة حقوقهم، وأهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة يضعون كل شيء في موضعه، ولذلك ذَكَرت مرارًا: أنَّ بعض شيوخنا يقول: "**نحن إذا دخلنا عَلَىٰ الحكام، كنا للرعية، وإذا قابلنا الرعية، كنا للحكام**"؛ لأنهم ما ينظرون إِلَى الجماهيرية ولا يريدون البطولات، يريدون الخير، يريدون الحق، فإذا دخلوا عَلَى الحاكم، ذكَّروه بما يجب عليه في شأن الرعية والنصح لهم والرعاية لهم، وإذا قابلوا النَّاس ذكَّروهم بما يجب عليهم من السمع وَالطَّاعَة وعدم الخروج، وَهذَا هو الوارد في النصوص؛ النصح للراعي، والنصح للرعية.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٩٠ - وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا **قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اَللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا، فَشَقَّ عَلَيْهِ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ**» **أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.**

(الشَّرْحُ)

هذَا الحديث العظيم تمامه في صحيح مسلم: «**وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ**».

(**وَعَنْ عَائِشَةَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا **قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اَللَّهُمَّ**») أي: يا الله «**مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا**» ولو قليلًا، أي ولاية، «**فَشَقَّ عَلَيْهِ**» أي: صعَّب عليهم وأعنتهم وأوقعهم في الشِّدة، «**فَاشْقُقْ عَلَيْهِ**» والجزاء من جنس العمل، فَالنَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو عَلَى مَن ولي شيئًا من أمور المسلمين فشقَّ عليهم، أن يشق الله عليه.

✍ **فالواجب عَلَى مَن تولى أمر المسلمين** ولاية عامة كالحاكم، أو خاصة؛ كالوزراء والمدراء والموظفين والآباء: أن ييسر عليهم في غير حرام، ويرفق بهم.

وعندما بعث النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذًا وأبا موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا إِلَى اليمن، قَالَ: «**يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا**» متفقٌ عليه.

ولا تصلح الولاية إلَّا بهذا؛ «يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا» فأمرهما بالتيسير، ونهاهم عن التعسير، «وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا» قرِّبا النَّاس من الخير، قرِّبا مَن تحت الولاية من الخير، «وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا»، هذَا الحديث في الصحيحين خطة يسير عليها مَن ولاه الله ولاية.

ويحرُم الإعنات بالمسلمين؛ الموظف الَّذِي جعل الله له ولاية عَلَى المعاملات، يجب عليه أن ينجز المعاملة، ويحرم عليه إذا جاءه المراجع أن يقول من غير حقٍّ: راجعنا غدًا، فضلًا عن أن يقول: راجعنا بعد أسبوع. لأنه بهذا يشق عَلَى هذَا المسلم، وَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «اَللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا، فَشَقَّ عَلَيْهِ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ».

ولذلك لا ينبغي للإنسان إذا كانت له قوة وولاية أن يغتر بولايته، سواء كان موظفًا، مديرًا، وزيرًا، حاكمًا، بل يتذكر قدرة الله عليه، وليجعل هذَا الحديث نصب عينيه، وليحرص عَلَى التيسير عَلَى النَّاس في غير حرام ما أمكنه، وليحذر تمام الحذر من أن يشق عَلَى النَّاس مع قدرته عَلَى التيسير.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٩١ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَتَجَنَّبِ اَلْوَجْهَ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(الشَّرْحُ)

نعم، هذَا لفظ البخاري: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَتَجَنَّبِ اَلْوَجْهَ»، ولفظ مسلم: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ».

ما معنى: «إِذَا قَاتَلَ»؟ يعني: إذا ضرب ضربًا مأذونًا له فيه؛ كالسيد يضرب عبده ليؤدبه، والوالد يضرب ولده ليؤدبه، والزوج يضرب امرأته إن نشزت ولم ينفع معها الوعظ ولا الهجر ليؤدبها، وهذا الضرب المأذون فيه شرطه: أن يكون لمصلحة المضروب، لا للانتقام؛ بعض الآباء إذا غضب من الزوجة، ضرب الأبناء، وقال: أبرِّد قلبي. حرام، ما يجوز، و «مَنْ ضَرَبَ سَوْطًا ظُلْمًا اقْتُصَّ مِنْهُ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ» كما ثبت بذلك الحديث الصحيح، فَلَا بُدَّ أن يكون لمصلحة المضروب، وألا يكون جارحًا، ما يجرح الجلد ولا يكسر العظم، وألا يكون مهينًا.

بعض الآباء -هداني الله وإياهم- جاء به في وسط إخوانه وضربه أمام إخوانه، فيكون ألم الإهانة في نفسه أعظم من ألم الضرب، وَهذَا لا يجوز، لَا بُدَّ أن يكون الضرب المأذون فيه لمصلحة المضروب، وألا يكون جارحًا، وألا يكون مهينًا.

وهنا فيه أدب يتعلق بهذا الضرب: إذا ضرب أحدكم أخاه ضربًا مأذونًا فيه، ما الَّذِي جعلنا نفسر «إِذَا قَاتَلَ» بـ "إذا ضرب"؟ أنَّ هذا من محتملات الكلام، وأنه جاء في رواية عند مسلم: «إذا ضرب أحدكم أخاه»، ولأن قتال المسلم لا يجوز، فالمقصود بالقتال هنا: الضرب.

«فَلْيَتَجَنَّبِ الْوَجْهَ» أي: لا يلطمه على وجهه، ووجه الإنسان محلٌ للإكرام، ولذلك يا إخوة لا يُهان الوجه ولو بالكلام، معنا في الحديث النَّهْي عن إهانة الوجه باللطم.

وجاء عن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: «لَا تَقُولُوا: قَبَّحَ اللهُ وَجْهَهُ» رواه البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني.

وجاء في رواية عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا تَقُولُوا: قَبَّحَ اللهُ وَجْهَكَ وَمَن أشبه وجهك» وحسَّنه الألباني.

فالوجه محل للإكرام، لا يُهان بالفعل، ولا يُهان بِاللَّفْظِ، وَهذَا أدبٌ عظيم.

وإكرام الوجه يا إخوة يشمل حَتَّى الدواب، ولذلك جاء الحديث، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدَابَّةٍ قَدْ وسِمَ يُدَخن مَنْخِراه" كما تعرفون الوسم: الكي بِالنَّارِ، فَهذِه الدَّابَّة وُسِمت في وجهها ومُرَّ بها مباشرة أمام النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرأى أثر النَّار، وَقَالَ جابر: "يُدَخن مَنْخِراه"، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَعن اللهُ مَنْ فَعَل هَذَا». وَهذَا يدل عَلَى أنَّ هذَا من الكبائر؛ فإنَّ اللَّعْن عَلَى شيء يدل عَلَى أنه من الكبائر، «لَعن اللهُ مَنْ فَعَل هَذَا، لَا يَسِمَنَّ أحدٌ الوَجْهَ وَلَا يَضْربنَّه» رواه البخاري في الأدب المفرد، وصححه الألباني.

فَقَالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَسِمَنَّ أحدٌ الوَجْهَ وَلَا يَضْربنَّه»، فَحَتَّى الدَّابَّة لا تُلطَم في وجهها، فالوجه مطلقًا محلٌ للإكرام كما دلت عليه سنة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وبعض النَّاس اليوم أحلى شيء عنده الكف؛ إن زعل عَلَى الولد عطاه عَلَى وجهه، وَهذَا لا يجوز ومنهي عنه عَلَى ما سمعنا.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٩٢ - وَعَنْهُ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اَللهِ! أَوْصِنِي. فَقَالَ: «لَا تَغْضَبْ»، فَرَدَّدَ مِرَارًا. قَالَ: «لَا تَغْضَبْ» أَخْرَجَهُ اَلْبُخَارِيُّ.

(الشَّرْحُ)

نعم، وقد تقدم معنا بيان هذَا، وبيَّنا معنى «لَا تَغْضَبْ»، وقلنا: إنَّ بعض أهل العلم قال: معنى «لَا تَغْضَبْ» أي: ابتعد عن أسباب الغضب، فاجتنب أسباب الغضب.

وقال بعض أهل العلم: معنى «لَا تَغْضَبْ»: لا ترتب فِعْلك عَلَى الغضب، ولا قولك عَلَى الغضب، فإذا غضبت فاسكن واصمت إِلَى أن يهدأ الغضب.

وَقَالَ بعض أهل العلم: معنى «لَا تَغْضَبْ»: درِّب نفسك عَلَى عدم الغضب.

وقلت: كلها معاني صحيحة، وتقدم بيان هذَا.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٩٣ - وَعَنْ خَوْلَةَ اَلْأَنْصَارِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ رِجَالاً يتخوَّضون فِي مَالِ اَللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمْ اَلنَّارُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ» أَخْرَجَهُ اَلْبُخَارِيُّ.

(الشَّرْحُ)

هذَا الحديث العظيم في صحيح البخاري، قَالَ فيه النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ رِجَالاً» لا مفهوم له؛ لأنه خرج مخرج الغالب، فيدخل في ذلك النساء أَيْضًا.

«إِنَّ رِجَالاً يتخوَّضون» أصل الخوض هو المشي في الماء، وأصبح يُطلق بمعنى: التَّصَرُّف في الشَّيْء. والمقصود هنا أَيُّهَا الإخوة: التَّصَرُّف في المال أخذًا بما تشتهيه النَّفْس، وعدم التَّحَرُّز، مثل ما يقول بعض العامة: الحلال ما حلَّ في الجيب. هذَا تخوُّض -وَالعِيَاذُ باللهِ-.

وكذلك في الإعطاء وَالتَّصَرُّف؛ أن يتصرف الإنسان في ماله بما يشتهيه من غير نظرٍ إِلَى كون ذلك حرامًا أو حلالًا.

ومال الله، قَالَ: «يتخوَّضون فِي مَالِ اَللهِ»، المال كله لله، الله خلقه، والله أعطاه، وإن شاء سبله، فالمال كله لله، ﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣]، فالمال كله مال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

والحديث دليل عَلَى أنه يجب عَلَى المسلم أن يأخذ المال من حِلِّه، وأن يتحرز عن الحرام، وأن أخذ المال بغير حِلِّه ومن غير حِلِّه كبيرة من كبائر الذنوب. أن يأخذ الإنسان الأموال من غير تحرز وتحري للحلال، كبيرة من كبائر الذنوب.

- ما الدليل عَلَى أنها كبيرة من كبائر الذنوب؟

✍ أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توعَّد عَلَى هذَا بِالنَّارِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَلَهُمْ اَلنَّارُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ».

وجاء في حديث خولة أنها قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، مَنْ أَصَابَهُ بِحَقِّهِ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَرُبَّ مُتَخَوِّضٍ فِيمَا شَاءَتْ بِهِ نَفْسُهُ مِنْ مَالِ اللهِ وَرَسُولِهِ لَيْسَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا النَّارُ» رواه الإمام أحمد وَالتِّرْمِذِيّ، وصححه الألباني.

انظروا يا إخوة، هذِه الحديث يفسر لفظ حديث خولة الَّذِي أورده الحافظ ابن حجر.

يقول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، مَنْ أَصَابَهُ بِحَقِّهِ بُورِكَ لَهُ فِيهِ»، فمن أسباب البركة في المال: أن تأخذه بالحلال، «وَرُبَّ مُتَخَوِّضٍ فِيمَا شَاءَتْ بِهِ نَفْسُهُ» يعني: يتبع هواه وما تشاء نفسه، ولا ينظر إِلَى الحلال والحرام، «مِنْ مَالِ اللهِ وَرَسُولِهِ لَيْسَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا النَّارُ».

ويدخل في ذلك -كما نص عليه العلماء- دخولًا أوليًّا مَن كان مؤتمنًا عَلَى مال عام، بمختلف الطبقات؛ كالحاكم، ووزير المالية، والمدير بالنسبة للعهدة الَّتِي عنده، وكل مَن اؤتمن عَلَى مال عام،

وناظر الأوقاف ووزارة الأوقاف، ثُمَّ يليهم مَن كان مؤتمنًا عَلَى مال غيره؛ كالموظف، ووصي اليتيم، والزوجة عَلَى مال زوجها، ثُمَّ يليهم مَن كان مؤتمنًا عَلَى ماله.

أول مَن يدخل في الحديث: مَن كان مؤتمنًا عَلَى مال عام، ثُمَّ مَن كان مؤتمنًا عَلَى مال غيره، ثُمَّ مَن كان مؤتمنًا عَلَى ماله هو.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٩٤ - وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، **عَنْ اَلنَّبِيِّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **-فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ- أنه قَالَ: «يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ اَلظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَّالَمُوا» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.**

(الشَّرْحُ)

وقد تقدم الكلام يا أحبة عن الظُّلْم، وأنَّ الظُّلْم ظلمات يوم القيامة، نعوذ بالله من ذلك.

والحافظ ابن حجر أورد هذَا الحديث فيما يتعلق بالتظالم بين العِباد: (**وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، **عَنْ اَلنَّبِيِّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **-فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ- أنه قَالَ: «يَا عِبَادِي!»**) وَهذَا كما قَالَ العلماء: خطابٌ لترقيق القلوب وتقريب النفوس.

«**يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ اَلظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي**» فالله حَكَمٌ عدل، وقد حرَّم الظُّلْم عَلَى نفسه، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ [آل عمران: ١٨٢]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، فالله عَزَّوَجَلَّ لا يظلم أحدًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

«**وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا**» فحرَّم الله الظُّلْم بين النَّاس، وَالظُّلْم حرامٌ عَلَى كل أحد لكل أحد، لا يجوز لأحد أن يظلم أحدًا أبدًا، يقول العلماء: وَهذِه من الأحكام الَّتِي لم يُستثنَ منها شيء.

من الأحكام الَّتِي لم يُستثنَ منها شيء: أنَّ الظُّلْم حرام مطلقًا، حرام من كل أحد لكل أحد؛ فلا يجوز للحاكم أن يظلم الرعية، ولا يجوز للقاضي أن يظلم المتخاصمين، ولا يجوز للمدير أن يظلم موظفيه، ولا يجوز للوالد أن يظلم أولاده، ولا يجوز للمسلم أن يظلم الكافر، والعكس كذلك في

الجميع، فَالظُّلْم حرامٌ مطلقًا عَلَى كل أحد، ولكل أحد، وقد قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: «إِنِّي حَرَّمْتُ اَلظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَّالَمُوا»، فأكد التَّحْرِيْم.

وقول الله عَزَّوَجَلَّ هنا: «فَلَا تَظَّالَمُوا» يعني: لا تتبادلوا الظُّلْم. ومعناه أَيُّهَا الإخوة: أنَّ الظُّلْم لا يُعاقَب به، مَن ظلمك، لا يجوز أن تظلمه، وَإِنَّمَا لك أن تنتصف، أما الظُّلْم فلا يجوز، الظُّلْم لا يُعاقَب به. نعم أباح الله لك أن تعاقب عَلَى السَّيِّئَة بسيئة مثلها، إِلَّا أنَّ هناك سيئات محرمة في ذاته لا يجوز لك أن تعاقب بها؛ فمن ظلمك، لا يجوز أن تظلمه، وَإِنَّمَا لك أن تنتصف منه.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٩٥ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا اَلْغِيبَةُ؟»، قَالُوا: اَللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اِغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَقَدْ بَهَتَّهُ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

(الشَّرْحُ)

نعم، وَالَّذِي في صحيح مسلم: «وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ».

علِم الصَّحَابَة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِم بشدة تحريم الغيبة من القرآن وَالسُّنَّة، كما قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]، وَهذَا يا إخوة فيه بيان شدة تحريم الغيبة، وأنَّ الغيبة من كبائر الذنوب؛ لأن أكل لحم الميتة من الكبائر، فكيف بأكل لحم الإنسان الميت؟! لَا شَكَّ أنه أعظم من أكل لحم الميتة.

الشاة إذا ماتت، أكل لحمها لغير ضرورة من كبائر الذنوب، فكيف بأكل المسلم إذا مات؟! والغيبة شبَّهها الله بأكل لحم الميت -وَالعِيَاذُ باللهِ-.

وجاء في حديث جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا جلوسًا مَعَ النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَارْتَفَعَتْ رِيحٌ خَبِيثَةٌ مُنْتِنَةٌ، فَقَالَ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ؟ هَذِهِ رِيحُ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الْمُؤْمِنِينَ».

لقبح فعلهم، خرجت منهم ريحٌ حسية منتنة، وَالَّذِينَ كانوا يغتابون المؤمنين في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم المنافقون، فخرجت هذِه الريح المنتنة الخبيثة منهم.

وَهذَا يدل يا إخوة عَلَى أنَّ الغيبة تفسد جسد الإنسان حسًّا، الإنسان كثير الغيبة يفسد جسده، وقد تخرج منه رائحة خبيثة، وقد يُصاب برائحة خبيثة تخرج من جسده.

بعض النَّاس يشتكي، يقول يعني مثلًا: إنَّ فمه تخرج منه رائحة خبيثة، وقد راجع الأطباء، قالوا: ما فيك شيء، كشفوا عَلَى الأسنان، كشفوا عَلَى اللثة ما وجدا شيئًا. قد يعود ذلك -وَالعِيَاذُ باللهِ- إلَى غيبته للنَّاسِ، فيكون ذلك سبب هذِه الرائحة الخبيثة الَّتِي تخرج من فمه.

وجاء عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بأقوام لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ**» رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني.

فَهذَا فيه بيان -وَالعِيَاذُ باللهِ- كيف يُعذَّب المغتابون في النَّار، فإنه تُجعَل لهم أظفار من نحاس ويخمشون بها وجوههم، يُقطعون بها وجوههم -وَالعِيَاذُ باللهِ- وصدورهم، نعوذ بالله من سوء الحال.

وهنا أراد النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُعلمهم معنى الغيبة بهذا الأسلوب الحكيم، كأن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: عرفتم حكم الغيبة، فما هي الغيبة؟ «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟**»، قَالُوا: اَللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

طبعًا يا إخوة هم عرب، ويعرفون معنى الغيبة في اللُّغَة العربية، لكن عرفوا أنَّ المراد المعنى الشرعي، فقالوا: اَللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**».

«**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**» هذَا أخذ منه بعض أهل العلم: أنَّ الغيبة تشمل الحاضر والغائب؛ لأن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**»، لكن الَّذِي عليه الجمهور: أنَّ الغيبة خاصة بالغائب أخذًا من لفظها، وَهذَا الراجح. فذِكر المسلم أخاه بما يكره، إن كان في حضرته، فَهذَا سبٌّ، وسباب المسلم فسوق.

بعض النَّاس ظن أنه ما دام أنَّ الغيبة أن تذكر أخاك في غيبته بما يكره، أنه يجوز أنك تذكره بما يكره وهو حاضر. وَهذَا ليس كذلك، بل ذِكر المسلم أخاه بما يكره في حضرته، سبٌّ، إن كان الكلام فيه. وإن كان في غيبته، فَهذِه الغيبة.

«ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»:

- بلفظٍ؛ كذاب، غشاش، غدار، قصير.

- أو بإشارةٍ؛ فلان أبو عبد الله، غيبة.

والكلمة الواحدة من الغيبة شرها عظيم، لما غارت أم المؤمنين عَلَى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت: "حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ أَنَّهَا كذا" يعني قصيرة، وَالَّذِي دفعها لهذا الغيرة، كأنها رأت النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعني مال إليها أو ذَكَرَها بشيء، وأمهات المؤمنين يغرن عَلَى الرسول. قَالَ: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً، لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ»، كلمة واحدة، فكيف بكثرة الغيبة -وَالعِيَاذُ باللهِ-.

(قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اِغْتَبْتَهُ») هذِه الغيبة، «وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَقَدْ بَهَتَّهُ»، والبُهتان: أقبح الكذب.

- إذًا ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ مِمَّا هو فيه، في حضرته، سباب.

- وذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ مِمَّا هو فيه، في غيبته، غيبة.

- وذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ مِمَّا ليس فيه، فهو بهان، سواء كان حاضرًا أو غائبًا، وهو أقبح الكذب.

وقد استثنى العلماء من تحريم الغيبة ما تقتضيه المصلحة الشَّرْعِيَّة، قَالَ العلماء: إذا كانت المصلحة الشَّرْعِيَّة تقتضي أن يُذكَر الغائب بما يكرهه مِمَّا هو فيه، فإنَّ هذَا جائز؛ كالمتظلِّم. إنسان ظُلِم، أُذِن له أن يذكره ظالمه بما ظلمه به، ولا يزيد. فلان ظلمني في كذا، فلان أخذ مني كذا، فلان كذب علي في كذا، لكن لو قَالَ: فلان كذب علي في كذا، وَهذَا غشاش ومن عادته الكذب، هذَا اعتدى. وكالاستفتاء؛ إذا احتاج فهْم السؤال أن يُذكَر الغائب بما يكره، أو كان الحكم يُرتَّب عليه.

ولذلك لما جاءت هند بنت عتبة إِلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وَوَلَدِي، إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ، فَقَالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ، بِالْمَعْرُوفِ» ولم ينكر عليها؛ لأنها هنا أرادت أن تبيِّن أنه عنده ولكن لا يعطيها ما يكفيها.

وكذلك عند الاستعانة عَلَى تغيير المنكر؛ لو رأيت منكرًا وأنت لا تستطيع أن تغيره، لكن تعرف رجلًا يستطيع أن يُغيره.

مثلًا -وَالعِيَاذُ باللهِ-: لو أنك رأيت شابًا يُدخِل امرأةً أجنبية إِلَى بيته، وأنت ما تستطيع أن تدخل البيت، وكان والده رجلًا حكيمًا، فاتصلت به، وقلت: ترى ابنك فلان أدخل الآن امرأة أجنبية في البيت. أنت هنا ذكرته بما يكره في غيبته، لكن هنا لتغيير المنكر، لمصلحة شرعية، فَهذَا جائز.

وكذلك النصح للمسلم؛ جاءك إنسان قد خطب رجل ابنته، وَقَالَ: يا فلان، أنت تعرف فلان وأهله. فالواجب أن تنصحه وتذكر ما فيه. ومن الورع المحرَّم أن تتورع عن ذِكر ما فيه.

ولذلك لما جاءت فاطمة بنت قيس للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تستشيره فيمن خطبها، قَالَ: «أَمَّا أَبُو الْجَهْمِ فَلَا يَضَعُ الْعَصَا عَنْ عَاتِقِه، وَأَمَّا مُعَاوِيَة فَصُعْلُوك لَا مَال لَهُ».

ذَكَرَ أبا الجهم بما فيه، «فَلَا يَضَعُ الْعَصَا عَنْ عَاتِقِه» قَالَ بعض العلماء: أنه كان ضرَّابًا للنساء، وَقَالَ بعض أهل العلم: أنه كثير السفر. المرأة لا تأنس بزوجها إذا كان كثير السفر، «وَأَمَّا مُعَاوِيَة فَصُعْلُوك» صعلوك يعني: فقير «لَا مَال لَهُ، انْكِحِي أُسَامَةَ».

وإذا كان هذَا في النصح للفرد، فما بالك بالنصح للأُمَّةِ؟!

المبتدع الَّذِي ينشر بدعته، ذِكره بما يكره فيما يتعلق ببدعته ليس من الغيبة، من الجهاد في سبيل الله ومن النصح الواجب، الفاسق المعروف بالفسق ذكره بما يكره ليس من الغيبة، وَإِنَّمَا من النصح للأُمَّةِ.

كذلك ذَكَرَ العلماء أنه يستثنى التَّعْرِيْف؛ إذا عُرِف شخص بصفة هو يكرهها، لكن أصبح يُعرَف بها، مثل: الأعمى، والأعمش، ومثل: ذي اليدين، ومثل: ذي الأذنين، وقد قالها النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومثل: ذي البطن، وقد قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لأحد النَّاس: "**يا ذا البطن**"، هذَا إذا كان للتَّعْرِيْفِ أو للنداء الَّذِي يُعرَف به الإنسان، فَهذَا لا بأس به.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٩٦ - وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اَللهِ إِخْوَانًا، اَلْمُسْلِمُ أَخُو اَلْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، اَلتَّقْوَىٰ هَا هُنَا، وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ، بِحَسْبِ اِمْرِئٍ مِنْ اَلشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ اَلْمُسْلِمَ، كُلُّ اَلْمُسْلِمِ عَلَىٰ اَلْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

(الشَّرْحُ)

كثير من عبارات هذَا الحديث يا إخوة جاءت عند البخاري أَيْضًا، فجاء عند البخاري: «**وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**».

وجاء عنده أَيْضًا: «**وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ**».

وجاء عنده من حديث ابن عمر: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ**».

فكثير من عبارات هذَا الحديث الَّذِي أخرجه مسلم وردت عند البخاري.

وَلَا شَكَّ أَيُّهَا الإخوة أنَّ الإسلام دين الأخوة، يأمر بها ويحث عليها، ولذا جاء في هذَا الحديث: «**وَكُونُوا عِبَادَ اَللهِ إِخْوَانًا**»، فالمسلمون جميعًا أخوة، تجمعهم أخوة الإسلام، لا يحتاجون إِلَى جماعة تُحَزِّبهم، مَن دخل فيها كان من الإخوان، ومَن لم يدخل فيها لم يكن من الإخوان. المسلمون إخوان، إخوة، تجمعهم أخوة الإسلام، ولا يجوز إنشاء الجماعات الَّتِي تُحَزِّبهم وتفرقهم.

وَهذَا الحديث فيه منع أمور تؤدي إِلَى إفساد الأخوة، وفيه بيان لبعض مقتضيات الأخوة.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَحَاسَدُوا**» وقد تقدم الكلام عن الحسد، لكن هنا يا إخوة الحظوا أنَّ النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا تَحَاسَدُوا**» أي: لا تتبادلوا الحسد، فالحسد لا تجوز العقوبة به؛ مَن حسدك وعلِمت أنه حسدك، لا يجوز لك أن تحسده، ما تقول: العين بالعين والبادي أظلم، ما تقول: جزاء سيئة سيئة مثلها. هنا الحسد قبيحٌ في ذاته لا يُعاقَب به، فلا يُقابَل الحسد بالحسد.

«وَلَا تَنَاجَشُوا» التَّنَاجُش: تفاعل من طرفين، فعُلِم أَيْضًا أنه لا يُعاقَب به. لو أنَّ شخصًا ورطك في سعر سلعة، لا يجوز أن تورطه في سعر سلعة أخرى.

والنجش له صورتان عند أهل العلم:

⇦ **الصورة الأولى**: الزيادة في ثمن السلعة من غير رغبة في شرائها، وَإِنَّمَا يريد أن ينفع البائع أو يضر المشتري.

دخل في حراج السيارات فوجد سيارةً تباع ووجد شخصًا لا يحبه يريد أن يشتريها، فدخل وأخذ يزيد في السعر عليه، هو لا يريد أن يشتريها، لكن الشخص الَّذِي لا يحبه يريد أن يشتريها، فأخذ يزيد في السعر ليضر به، أو من أجل نفع مَن يحب كما يفعل الشريطية في الحراج. إذا جاء شخص يبيع السيارة، إذا كان الَّذِي سيشتريها من أصحابهم، أنزلوا في قيمتها وأظهروا عيبها، وَهذِه كوم خردة، هذِه ما تنفع بشيء، هذِه كذا، هذَا كذا، حَتَّى يشتريها صاحبهم بسعر أقل. هذَا صد النجش، والنجش: هو أن يرفعوا في سعر السلعة لينفعوا صاحبهم.

⇦ **والصورة الثانية**: مدح السلعة بما ليس فيها، من النجش، سواء كان المادح البائع أو غيره.

مدح السلعة بما ليس فيها؛ يأتي المشتري للبائع، فيقول له البائع: هذِه السلعة أصلية، وكذا وكذا، وما أحد يشتكي منها. وكل هذَا ليس فيها، هذَا نجش.

أو مثلًا: يأتي شخص يرى مشتري سيشتري من البائع سلعة، وهو يعرف البائع، يقول: ما شاء الله، تريد تشتري هذِه السيارة؟ والله هذِه السيارة نوعية طيبة، أنا اشتريت واحدة مثلها، وطيبة، وفيها كذا، وموفرة للبنزين، وهي ليست كذلك. هذَا يدخل في النجش، وهو حرام.

«وَلَا تَبَاغَضُوا» أي: لا تفعلوا ما يؤدي إِلَى البغضاء بينكم، ولا ترتبوا عَلَى البغضاء من أجل الدنيا شيئًا.

لك جار وعرفت منه أنه يكره أن تقرب سيارتك من بيته، فلا تفعل هذَا، أبعد سيارتك عن بيته، ولو كان من حقك؛ لأن إيقافك سيارتك بجوار بيته أو قريبًا من بيته يؤدي إِلَى البغضاء بينكما، ولا ترتب شيئًا عَلَى البغضاء من أجل الدنيا.

أما البُغْض نفسه، فهو انفعال لا يملكه الإنسان، فلا يتعلق به التَّكْلِيْف، إِلَّا أن يكون البُغض لله، فَهذَا عملٌ صالح يؤجر عليه الإنسان.

«وَلَا تَدَابَرُوا» أي: لا تتقاطعوا، كما فسر النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحديث: «يَلْتَقِيَانِ: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا» هذَا التَّدَابُر.

ومن أعظم أسباب حصول ما تقدم جميعًا: التنافس في الدنيا، التزاحم في الدنيا؛ التزاحم في الدنيا يجعل النَّاس يتحاسدون، ويجعل النَّاس يتدابرون، ويجعل النَّاس يتباغضون.

ولذلك جاء في حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: «إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟».

ما معنى «إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ» أي: جرت الأموال في أيديكم، فملكتم الدنانير والدراهم، «أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟». قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللهُ" نستقيم عَلَى أمر الله، فقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ».

«تَتَنَافَسُونَ» عَلَى الدنيا، فإذا تنافستم تحاسدتم، وإذا تحاسدتم تباغضتم وتدابرتم.

فمن أعظم أسباب وقوع ما نهى عن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هنا: التنافس في أمور الدنيا والتزاحم عَلَى أمور الدنيا.

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ» أي: يحرم عَلَى المسلم أن يبيع عَلَى بيع أخيه، وله صور:

➢ **الصورة الأولىٰ**: إذا اشترى المسلم سلعةً من أخيه، وتم العقد، أي: الإيجاب والقبول ولا زالا في مجلس العقد.

اشترى إنسان من أخيه كتابًا وتم الإيجاب والقبول ولا زالا في مجلس العقد، فجاء آخر قَالَ له: بكم اشتريته منه؟ قَالَ: بعشرة. قَالَ: لا، أنا أبيعك بثمانية. هذَا حرام.

➢ **الصورة الثانية**: أن يكون المشتري قد اشترى السلعة ولا زال في مدة الخيار.

قَالَ: أشتري منك السيارة بخمسة آلاف بشرط أن يكون لي الخيار ثلاثة أيام، قَالَ: قبلت. وباعه. أخذ السيارة، وهو في مدة الخيار جاءه شخص قَالَ: ما شاء الله، اشتريت هذِه السيارة؟ قَالَ: إي، الحَمْدُ للهِ، وأنا بالخيار ثلاثة أيام. قَالَ: أنا أبيعك أحسن منها، ردها، ما دمت في الخيار ردها وأنا أبيعك أحسن منها. هذَا لا يجوز وحرام.

➢ **الصورة الثالثة**: وكذلك إذا ركن المشتري إِلَى البائع، ولم يبقَ إِلَّا عقد البيع.

انتهى من السوم وركن خلاص يريد أن يشتري، بقي الإيجاب والقبول، لا يجوز لمسلم أن يبيع هنا عَلَى بيع أخيه.

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**» في هذَا دلالة عَلَى أنَّ الَّذِي تقدم يفسد الأخوة، لماذا نهى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن كل ما تقدم؟ لأنه يفسد الأخوة.

«**وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**» هذَا تعليل لِما تقدم.

«**اَلْمُسْلِمُ أَخُو اَلْمُسْلِمِ**» هذَا تمهيد لما سيأتي، ومعنى ذلك: أنَّ ما سيأتي من مقتضى الأخوة.

«**اَلْمُسْلِمُ أَخُو اَلْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ**» تقدم الكلام عن الظُّلْم، «**وَلَا يَخْذُلُهُ**» أي: لا يترك نصرته في الموضع الَّذِي يحتاج فيه إِلَى النصرة، فإن كان مظلومًا، كان نصرته برفع الظُّلْم عنه، وأعظم ذلك: النصرة المُتَعَلِّقَة بالدين.

أخوك قَالَ كلامًا هو حق، فتمالؤ عليه أهل الباطل وصاروا يرمونه ويتكلمون عليه. يجب أن تنصره هنا ما دمت قادرًا.

وإن كان مظلومًا، فنصره بمنعه من الظُّلْم، كما قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «**تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ**».

«**وَلَا يَحْقِرُهُ**» أي: لا يحتقره ولا يتكبر عليه، ولا يحقِّره ولا يصغِّره أمام النَّاس.

انتبهوا! لا يحتقره بمعنى: لا يتكبر عليه، «**وَلَا يَحْقِرُهُ**» يعني: لا يصغِّره أمام النَّاس، مهما علت مكانة الإنسان لا يحتقر أخاه المسلم مهما كان، ولا يُحقِّر أخاه المسلم مهما كان، التَّقْوَى هاهُنا.

إذا لعلنا نقف، نكمل هذَا الحديث وما بعده إِنْ شَاءَ اللَّهُ بعد الصَّلَاة، أسأل الله عَزَّوَجَلَّ لي ولكم التَّوْفِيْق، واللهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ

المجلس (٨)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتمَّان الأكملَانِ عَلَىٰ المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ؛ أَمَّا بَعْدُ:

فمعاشر الفضلاء! نواصل شرحنا لكتاب الجامع من بلوغ المرام.

وكنَّا قبل الصَّلَاة نشرح حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا**» هذَا الحديث العظيم الَّذِي يحتاجه كلّ مسلم، وكنَّا قد فرغنا من شرح كثيرٍ من عباراته، وبقي معنا أن نشرح قول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («**التَّقْوَىٰ هَا هُنَا**» - **وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ**-).

وَالتَّقْوَى تقدَّم بيان معناها، وَهذَا الحديث يدلُّ عَلَى أنَّ أصل التَّقْوَى في القلب، كما أنَّ أصل الإيمان في القلب، ويتفرَّع عن ذلك أمورٌ تظهر عَلَى الجوارح هي من التَّقْوَى ومن الإيمان.

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ**» سُبْحَانَ اللَّهِ! تأملوا معي يا إخوة كيف أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**وَلَا يَحْقِرُهُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**التَّقْوَىٰ هَا هُنَا**»، ثُمَّ قَالَ: «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ**»، فوسَّط قوله: «**التَّقْوَىٰ ها هُنَا**» بين نهيه عن تحقير المسلم وقوله: «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ**»؛ وفي هذَا بيانٌ عظيم أنَّ تقوى المسلم تمنعه من تحقير أخاه المسلم، وأنَّ الأخ المسلم المتَّقِي يُمنع تحقيره.

- لماذا لا يُحقَّر المسلم؟

✍ لأنه يحمل التَّقْوَى في قلبه.

- ولماذا لا يُحَقِّر المسلم أخاه المسلم؟

✍ لأنه يحمل التَّقْوَى في قلبه.

«بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ» وفي هذَا بيانٌ عظيم إِلَى أنَّ تحقير المسلم من أعظم الشر، ومن أعظم الذنوب.

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ» حُرمة المسلم أَيُّهَا الإخوة عَلَى المسلم عظيمة جِدًّا، وكلُّ المسلم عَلَى أخيه المسلم حرام، وفي خطبة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجة الوداع في يوم النحر قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: «أيُّ يومٍ هذَا؟» فسكت الصَّحَابَة رِضْوَانُ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِم، وسكت النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى ظنوا أنه سيسميه بغير اسمه، سيسميه باسمٍ آخر، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟» قالوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، فسكت الصَّحَابَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وسكت النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى ظنوا أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه سيسميه بغير اسمه، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَيْسَ بذِي الحَجَّةِ؟»، قالوا: بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُم بَينكم حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا» والحديث في الصحيحين.

فانظروا كيف أنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعل حرمة المسلم عَلَى المسلم كحرمة هذِه الأمور الثلاثة مجتمعة: حرمة يوم النحر، وحرمة شهر ذي الحجة، وحرمة البلد الحرام؛ ولذلك قَالَ بعض أهل العلم: "**حرمة المسلم أعظم حرمةٍ في الدنيا**"، أعظم حرمة عَلَى وجه الدنيا هي حرمة المسلم.

وفي هذَا بيانٌ عظيم لحرمة المسلم عَلَى المسلم، وفي هذَا زاجرٌ للمسلم من أن يجرؤ عَلَى عرض أخيه، أو مال أخيه، أو الطعن في دين أخيه بغير حقٍّ.

(المتن)

قَالَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٩٧ - وَعَنْ قُطْبَةَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَهْوَاءِ، وَالْأَدْوَاءِ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَاللَّفْظِ لَهُ.

(الشَّرْحُ)

(عَنْ قُطْبَةَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَهْوَاءِ، وَالْأَدْوَاءِ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَاللَّفْظِ لَهُ) قَالَ الحاكم: "صحيح عَلَىٰ شرط مسلم".

أما الَّذِي عند التِّرْمِذِيّ؛ ففيه: أن النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَهْوَاءِ»، وصححه الألباني.

وعند ابن حِبَّان: «اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَهْوَاءِ، والأَسْوَاءِ، وَالْأَدْوَاءِ»، وصححه الألباني.

ﷺ الأخلاق أَيُّهَا الفضلاء منها محمودٌ ممدوحٌ صاحبه، ومنها مُنكرٌ مذمومٌ صاحبه، وقد كان النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعيذ بالله من منكرات الأخلاق، ويسأل الله أن ينجبه إيَّاها، ويسأل الله أن يرزقه حُسْن الأخلاق، فكان النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعائه يأتي بالأمرين: يسأل الله أن يجنبه سيء الأخلاق، ويسأل الله أن يرزقه حسن الأخلاق.

فكان النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «اللَّهُمَّ حَسَّنْتَ خَلْقِي، فَحَسِّنْ خُلُقِي» رواه أحمد وابن حِبَّان، وصححه الألباني.

ومن دعاء النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعاء الاستفتاح: «وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ؛ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا؛ لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ» والحديث في "صحيح مسلم".

إذًا يُشرع للمسلم أن يسأل الله أن يرزقه حُسْن الخُلُق، وأن يسأل الله أن يجنبه سيء الأخلاق.

ﷺ «اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ» منكرات الأعمال يا إخوة ما يُنكر شرعًا أو يُستقبح عُرفًا.

- ما يُنكر شرعًا؛ إِمَّا ترك واجب، أو فعل حرام، إِمَّا أنه ترك واجبٍ، أو فعل حرام؛ هذَا الَّذِي يُنكر شرعًا.

- وما يُستقبح عرفًا؛ يعني: ما جرى عرف النَّاس عَلَى أنه قبيح، فإنَّ العرف معتبرٌ شرعًا، والمشروع للإنسان: أن يوافق عرف بلده ما لم يخالف الشرع.

فالمستقبح شرعًا مثلًا أو المنكر شرعًا: أن يلبس الإنسان مثلًا ثوبًا طويلًا، فيكون مُسبِلًا، هذَا مُنكر شرعًا.

مُستقبح عرفًا: لو كان في العرف مثلًا يستقبح النَّاس أن يلبس الإنسان ثوبًا أخضرًا، بلون أخضر؛ فإنه هنا يتجنب ذلك، مع أنه ليس حرامًا في ذاته، لكنه مستقبحٌ عرفًا.

يعني: لو جرت عادة أهل البلد أنَّ طالب العلم يقبُح أن يمشي كاشفًا رأسه، فهنا يُشرع لطالب العلم أن يغطي رأسه، فَهذَا المقصود بمنكرات الأعمال: ما يُنكر شرعًا، أو يُستقبح عرفًا.

ﷺ ومنكرات «الْأَهْوَاءِ»، الأهواء جمع هوى، ومن اتبع الهوى، ولم يتقيَّد بشرع الله فقد غوى، ومن المُهلِكات: أن يتبع الإنسان هواه، وقد قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث ابن عمر: «ثلاثٌ مُهلِكات: شُحٌّ مُطَاعٌ، وهَوًى مُتَّبع، وإعجابُ المرء بنفسه»، من أُصيب بهذه الثلاث؛ فقد أُصيب في مقتل.

- «شُحٌّ مُطَاع»: هو شحيح بخيل حريص، ويطيع شُحَّه.
- «وهوًى مُتَّبع»: فهو يتّبع هواه.
- «وإعجاب المرء بنفسه».

هذِه مهلكات.

«وَالْأَدْوَاءِ» جمع داء، والداء هو المرض، والمسلم يُشرَع له أن يجتنب المرض، وأن يفعل الأسباب الَّتِي يسلم بها من المرض، وإذا أصابه المرض؛ فالمشروع له: أن يصبر؛ لأنَّ في المرض كفَّارة لذنوبه.

ومنكرات الأدواء هي الأمراض الكبرى، كالجذام، والطاعون، والسرطان الآن -أسأل الله أن يجيرني وَإِيَّاكُمْ وكل مسلم-، فمنكرات الأدواء هي الأمراض الكبرى، ففي هذَا: أنَّ الإنسان يسأل الله أن يسلّمه في دينه، أو في بدنه، أو في ماله.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٤٩٨ - وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُمَارِ أَخَاكَ، وَلَا تُمَازِحْهُ، وَلَا تَعِدْهُ مَوْعِدًا فَتُخْلِفَهُ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ فِيهِ ضَعْفٌ.

(الشَّرْحُ)

قَالَ التِّرْمِذِيّ: "**هذَا حديث غريب**"، وضعَّفه الألباني، ف الحديث ضعيف الإسناد.

قَالَ ابن عباسٍ: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تُمَارِ أَخَاكَ» أي: لا تجادل أخاك جدالًا بالأسوأ، أو يؤدِّي إِلَى السوء، أما الجدال بِالَّتِي هي أحسن لبيان الحق؛ فَهذَا مشروع.

فمعنى: «لَا تُمَارِ أَخَاكَ»:

- لا تجادل أخاك بالأسوأ، لا تجادل بِالسَّبَّابِ، وَإِنَّمَا جادل بالحجَّة والبرهان.
- ولا تجادل أخاك جدالًا يؤدِّي إِلَى الأسوأ، فإذا كنت تجادل أخاك، فرأيت أنَّ هذَا الجدال سيؤدي إِلَى تنافر القلوب؛ فقِف، ولو كنت محقًّا.
- وَالثَّالِث: لا تجادل أخاك بجهلٍ، إذا لم تكن عالمًا فلا تجادل.

* وَأَمَّا الجدال بِالَّتِي هي أحسن لبيان الحق؛ فَهذَا مشروع.

ومن أقبح الجدال المنهي عنه: المراء في القرآن، والمراء في أمور الدين بغير علمٍ سابق، أن يجادل الإنسان في أمور الدين بغير علمٍ سابق، بعض النَّاس يجلسون في المجلس، فيقول أحدهم: أنه ورد في

السُّنَّة كذا، فيقول واحد آخر: ما أظن، هو ما عنده علم، ما أظن! ما يمكن! الظَّاهِر: أن المراد كذا والمعنى كذا؛ وهو ما عنده علم، هذَا من أقبح المراء المنهي عنه؛ ولذا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ**» رواه أبو داود وصححه الألباني.

- ما المراد بالمراء في القرآن؟

✍ **المقصود**: أنَّ الإنسان يتكلَّم في القرآن بغير علم؛ ولذلك جاء عند ابن حِبَّان: أن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كفْرٌ، مَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ فَاعْمَلُوا بِهِ، وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ، فردُّوهُ إِلَىٰ عَالِمِهِ**»، ومعنى: «**كُفْرٌ**»: أنه من خصال الكفَّار، أنهم يجادلون في القرآن بغير علم.

وترك المراء إذا كان لا يؤدي إِلَى خير من أخلاق المؤمنين، من أخلاق أهل الجَنَّة؛ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا**» رواه أبو داود، وحسنه الألباني، «**أَنَا زَعِيمٌ**» أنا ضامنٌ «**بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ**» يعني: في أطراف الجَنَّة، في أوائل الجَنَّة، «**لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ**» إذا كان المراء لا يؤدِّي إِلَى خير «**وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا**».

ومن جميل كلام أهل العلم: "**المراء بِالَّتِي هي أحسن خيرٌ ما كان لله، فإن انتقل إِلَىٰ الانتصار للنَّفْسِ؛ كان شرًّا**"، يعني: أنت قد تماري أخاك وتجادل أخاك بِالَّتِي هي أحسن لوجه الله، ثُمَّ أثناء النقاش تصبح تريد أن تنتصر لنفسك؛ هنا اسكت واترك، أو رأيت أنَّ النقاش سيؤدِّي إِلَى شر؛ إِمَّا أنَّ أخاك سيكابر ويترك الحق، وَإِمَّا أنَّ القلوب ستتنافر؛ فهنا يُترك هذَا المراء.

«**وَلَا تُمَازِحْهُ**» أي: لا تمازح أخاك، أي: لا تمازحه مزاحًا بكذب، أو مزاحًا يسبِّب الخوف، أو مزاحًا يسبب النُّفرة، لا تمازح أخاك مزاحًا بكذب، أو مزاحًا يسبب الخوف، أو مزاحًا يسبب النفرة، وأحيانًا يكون المزاح يجمع الثلاثة.

➢ بعض النَّاس الآن مثلًا يتصل عَلَى زميله، ويقول: أخوك وقع له حادث في المستشفى، وهو ما وقع له حادث، لكن كما يقولون: "**مقلب**".

كان هنا رجل من الأعراب اسمه زاهر، كان يأتي للنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بالبادية بالأَقِط وما يؤتى به من البادية، وإذا أراد أن يرجع النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعطيه مِمَّا في المدينة، فكان النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول عن زاهر هذَا: «**زاهر باديتنا ونحن حاضرته**»، «**زاهر باديتنا**» لأنه يأتيهم بما في البادية، «**ونحن حاضرته**» لأنهم يعطونه مِمَّا في الحضر، فجاء وكان زاهر هذَا ذميمًا، ليس جميلًا، فجاء النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا ووجده يبيع في السوق، فجاء من خلفه فضمه، فَقَالَ زاهر: اتركني، من هذَا فتركه النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالتفت فإذا به النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخذ يضع ظهره عَلَى صدر النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من يشتري هذَا العبد؟**» يمازحه، «**من يشتري هذَا العبد؟**» قَالَ: "**إذًا يَا رَسُولَ اللهِ تجدني كاسدًا**" لأنه ذميم، قَالَ: «**إنَّك عند الله لست كاسدًا**».

فَالنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يمازح أصحابه، ولكنه مزاحٌ حسن، فالمزاح الحسن الَّذِي يطيِّب القلوب ويقرِّب النفوس سنة.

أما المزاح بالكذب، والمزاح الَّذِي يخيف، والمزاح الَّذِي ينفِّر؛ فَهذَا منهيٌّ عنه.

قَالَ: «**وَلَا تَعِدْهُ مَوْعِدًا فَتُخْلِفَهُ**» وَهذَا تقدَّم الكلام عنه في إخلاف الموعد.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٤٩٩ - وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خَصْلَتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ: الْبُخْلُ، وَسُوءُ الْخُلُقِ**». **أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَفِي سَنَدِهِ ضَعْفٌ.**

(الشَّرْحُ)

قَالَ التِّرْمِذِيّ: "**هذَا حديثٌ غريب**"، وضعَّفه الألباني في كلامه عن سنن التِّرْمِذِيّ، لكنه في "**صحيح التَّرْغِيْب وَالتَّرْهِيْب**" قَالَ: "**صحيحٌ لغيره**"، ولكن يتحرَّر لي وجه كون الشيخ جعله صحيحًا لغيره بعد البحث، وَالَّذِي أحال إليه الشيخ في "**السلسلة الصحيحة**" حديثٌ آخر، وَالَّذِي يظهر لي - واللهُ أَعْلَمُ-: أنَّ هذَا الحديث بهذا اللَّفْظ ضعيف.

وما فيه قد تقدَّم الكلام عنه: البخل، وسوء الخلق.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٥٠٠ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا، فَعَلَىٰ الْبَادِئِ، مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

(الشَّرْحُ)

ومعنى هذَا الحديث يا إخوة: أنه يجوز لمن سبَّه أحدٌ أن يجازيه بمثله، مِمَّا يجوز السَّبّ به، أما ما لا يجوز السَّبّ به؛ فلا تجوز المقابلة.

أعوذ بالله! أعوذ بالله! لو أنَّ مسلمًا قَالَ لمسلم: يا زاني! فلا يجوز له أن يرد عليه فيقول: أنت زاني، القذف لا تجوز فيه المقابلة، أو مثلًا: لو أنَّ مسلمًا قَالَ لمسلمٍ: يا كافر! ما يجوز أن يقابله ويقول: بل أنت الكافر.

ولكن يجوز مقابلة السَّبّ بِالسَّبِّ في الجملة، من غير اعتداء، ويكون اسم السَّابِّ، بل اسم السِّباب كله الصادر من الاثنين: «عَلَىٰ الْبَادِئِ»، أعوذ بالله! البادي يتحمَّل إثم الاثنين، ما لم يعتدِ الرَّادّ، كيف يعتدي؟ قَالَ العلماء: يعتدي بأمرين:

- إِمَّا بأن يُقابل سبَّه بما لا يجوز أن يقابله به، مثلما قلنا: أن يقول مثلًا: يا كافر! فيقول له: يا كافر! أو يسب أمواته، قَالَ له مثلًا: أبو بخيل، قَالَ: بل أبوك أنت البخيل، وأبوه ميت، وسبَّ الأموات كما سيأتينا لا يجوز، سبُّ الأموات لا يجوز، هذَا اعتداء.

- والأمر الْثَّانِي: أن يزيد في الرَّدِّ، قَالَ له: أنت بخيل، قَالَ: بل أنت البخيل وأمك وأعمامك وأخوالك! هذَا تجاوز، فيكون اعتدى، فإذا اعتدى؛ تحمَّل إثم السَّبّ الَّذِي سبَّه هو.

فلذلك قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا» من سبابٍ «فَعَلَىٰ الْبَادِئِ» الإثم عَلَى البادي «مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ»، فإن اعتدى؛ تحمَّل إثم سبِّه لأخيه.

ومع قولنا: بأنه يجوز للمسلم إذا سبَّه أحد أن يقابل السَّبّ بِالسَّبِّ بالقيود الَّتِي ذكرناها، إِلَّا أنَّ الأفضل للمسلم: ألَّا يقابل السِّباب بسباب، فإنه إذا قَالَ السَّبّ بِالسَّبِّ؛ ينفخ الشيطان بينهما حَتَّى يعتدي.

وقد جاء عن عياض بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: "**يَا رَسُولَ اللهِ! الرَّجُلُ يَشْتُمُنِي مِنْ قَوْمِي**" رجل من قومي ويشتمني، "**وَهُوَ دُونِي**" أقل مني من قومي ويشتمني، "**أَعَلَيَّ مِنْ بَأْسٍ أَنْ أَنْتَصِرَ مِنْهُ؟**" فأرد عليه؛ فقَالَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُسْتَبَّانِ شَيْطَانَانِ يَتَهَاتَرَانِ وَيَتَكَاذَبَانِ**» رواه أحمد وابن حِبَّان، وصححه الألباني.

والمراد بالحديث يا إخوة: أنَّك إذا دخلت في السِّباب، ولو كان في ردِّ السَّبّ بمثله؛ ينفخ الشيطان، وغالبًا لا يسلم الإنسان من الاعتداء، فيلحقه الإثم؛ ولذلك الأحسن والأفضل للمسلم: ألَّا يرد السَّبّ بسبٍّ مثله.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥٠١ - وَعَنْ أَبِي صِرْمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ ضَارَّ مُسْلِمًا؛ ضَارَّهُ اللهُ، وَمَنْ شَاقَّ مُسلِمًا؛ شَقَّ اللهُ عَلَيْهِ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ.

(الشَّرْحُ)

وكذلك أَيْضًا رواه ابن ماجه، وحسَّنه الألباني، ورواه الحاكم، وَقَالَ: "**صحيح عَلَىٰ شرط مسلم**"، ووافقه الذهبي، الحديث ثابت.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ ضَارَّ مُسْلِمًا**» أي: أدخل الضرر عليه بغير حقٍّ، أَضَرَّهُ اللَّهُ؛ فانتصر الله للمسلم، وأضرَّ بمن ضارَّه "**والجزاء من جنس العمل**".

ونقول: أدخل الضرر عَلَى المسلم بغير حق، أما إذا تصرّف الإنسان بحق، فترتب عَلَى ذلك ضرر بالغير من غير أن يكون ذلك مقصودًا؛ فَهذَا لا يؤاخذ به الإنسان.

يعني: بنيت مثلًا بيتك، فترتب عَلَى ذلك أنَّك منعت جارك من رؤية الشارع؛ لأنه كان يرى الشارع لأنَّ القطعة غير مبنيَّة، لمَّا بنيت بيتك الَّذِي يحول بينه وبين الشارع، أنت صحيح منعته من

رؤية الشارع، وَهذَا يرى أنه ضرر، لكن هذَا بحقٍّ، أنت فعلت حقًّا، هذَا لا يدخل معنا، وَإِنَّمَا الَّذِي يدخل معنا: أنْ تُدخِل الضرر عَلَى المسلم بغير حقٍّ.

«وَمَنْ شَاقَّ مُسَلِّمًا»: ما معنى «مَنْ شَاقَّ مُسَلِّمًا»؟ أي: أتعبه وأعنته وأدخله في الحرج بغير حقٍّ؛ «شَقَّ اللهُ عَلَيْهِ» الموظَّف الَّذِي يأتيه صاحب المعاملة ويقول له: راجعني غدًا، والمعاملة جاهزة، وليس في النظام ما يقتضي أن يؤخره، لكن هكذا يريد؛ هذَا شقَّ عَلَى المسلم، وفعل هذَا الحرام، ويدخل في هذِه الدعوة.

بعض الموظفين -هدانا الله وإياهم- يتساهلون في هذَا الباب تساهلًا عظيمًا، أنا أذكر أني جئت إِلَى موظف في محكمة أراجعه في أمر يتعلَّق بوقف، فأسأله عن الملف، فقلت: يا أخي الملف كذا، قَالَ: ما تشوفني مشغول؟! قلت له: يا أخي والله ما رأيت مشغولًا، ما شغله؟ ماسك دبوس مسمار ويدق هكذا عَلَى الطاولة! قَالَ: ما شوفتني مشغول؟ قلت: والله يا أخي ما شوفتك مشغولًا، ما يريد أن يعمل، هذَا ظلم، وإدخال المشقة عَلَى النَّاس يترتب عَلَى ذلك أن يشقّ الله عَلَى من شاقَّ عَلَى النَّاس.

ولذلك يجب عَلَى الإنسان أن يحذر من هذَا حذرًا شديدًا.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٥٠٢ - وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ.

١٥٠٣ - وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -رَفَعَهُ-: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانُ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ». وَحَسَّنَهُ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ، وَرَجَّحَ الدَّارَقُطْنِيُّ وَقْفَهُ.

(الشَّرْحُ)

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (قَالَ: «إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ)، وصححه الألباني أَيْضًا، ورواه ابن حِبَّان وصححه.

وَأَمَّا حديث ابن مسعود؛ فقد صححه الألباني أَيْضًا مرفوعًا.

قَالَ: «إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ» وَهذِه من الصفات، فربنا سُبْحَانَهُ يحبّ، وربنا سُبْحَانَهُ يُبغِض، عَلَى ما يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

«إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ» من هو الفاحش؟ هو الَّذِي يقول القول القبيح، أو يفعل الفعل القبيح.

والفُحْش ليس من أخلاق المؤمنين، "**لم يكن النَّبِيّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" فاحشًا كما عند البخاري.

«الْبَذِيءَ» هو بذيء اللسان، الَّذِي يقول الكلام القبيح المؤذي، بذيء اللسان، دائمًا يتكلَّم بكلامٍ قبيحٍ مؤذي، كما يقول بعض العامة: "**لسانه متبرِّئ منه**"، فَهذَا البذيء، الله عَزَّوَجَلَّ يُبغِض الفاحش البذيء، وَهذَا يجعل المؤمن يحرص عَلَى ألَّا يكون فاحشًا ولا يكون بذيئًا.

وَالطَّعَّان في قول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ» هو السَّبَّاب، الَّذِي يطعن في أنساب النَّاس، أو ديانتهم، أو أعراضهم بغير حقٍّ، الطَّعَّان هو السَّبَّاب الَّذِي يطعن في أنساب النَّاس بغير حقٍّ، أو يطعن في ديانتهم بغير حقٍّ، أو يطعن في أعراضهم بغير حقٍّ.

و«اللَّعَّانُ» الَّذِي يُكثِر اللَّعْن، وَاللَّعْن هو الطَّرد والإبعاد من رحمة الله، ولي اللَّعْن من أخلاق المؤمنين ومن صفات المؤمنين، إلَّا إذا اقتضى المقام الشرعي ذلك، كأن كان الشخص لا ينزجر عن فعل المنكر إلَّا إذا لُعِن، فهنا يكون لمصلحة شرعية.

قَالَ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه مسلم.

يا إخوة! المؤمنون يشفعون يوم القيامة، وقد يشفع الرجل الواحد لأقوامٍ كثيرين، رجل واحد يوم القيامة يشفع لأقوم أكثر من بني تميم، ولكن يُحرَم بعض المؤمنين من الشَّفَاعَة يوم القيامة، ومنهم: اللَّعَانين الَّذِينَ يُكثِرون اللَّعْن -وَالعِيَاذُ باللهِ-.

ومن لعن من ليس أهلًا؛ رجعت اللعنة عليه، يا إخوة! لو لعن الإنسان دابَّة وهي ليست أهلًا؛ رجع عليه، فكيف إذا لعن مسلمًا؟ يقول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ»، «مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ» يعني: ليس للَّعْنِ بأهل «رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ» رواه التِّرْمِذِيّ وأبو داود، وصححه الألباني.

وَاللَّعْن بغير حقٍّ جرمٌ شديد، وذنبٌ عظيم، ولذلك قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَعَنَ مُؤمنًا؛ فهوَ كَقَتْلِه»، «مَنْ لَعَنَ مُسلِمًا؛ فهوَ كَقَتْلِه» أي: أنَّه في الإثم كقتل المسلم عمدًا بغير حق، وَهذَا يدلُّ عَلَى أنَّ اللَّعْن بغير حقٍّ من كبائر الذنوب.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥٠٤ - وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَىٰ مَا قَدَّمُوا». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

(الشَّرْحُ)

الأموات يا إخوة قد صاروا إِلَى ما قدَّموا من الأعمال، فلا يُذكرون إِلَّا بخيرٍ، إن ذكرت الأموات؛ فاذكرهم بخير، وَإِلَّا فاسكت، سواء كان الأموات أمواتك، أو كانوا أموات غيرك من النَّاس، فالأموات لا يُذكرون إِلَّا بخيرٍ.

وقد جاء في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: "**ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَالِكٌ**" أي: ميت "**بِسُوءٍ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَذْكُرُوا هَلْكَاكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ»**"، يعني: لا تذكروا أمواتكم إِلَّا بخير، رواه النسائي، وصححه الألباني.

- **طيب يقول قائل**: لماذا نُهي عن سبِّ الأموات؟

✍ **نقول**: ذُكر في النصوص علتان:

العلة الأولىٰ: أنهم قد أفضوا إِلَى ما قدَّموا، واللهُ أَعْلَمُ بحالهم عند الله.

والعلة الثانية: أنَّ في سبِّ الأموات أذًى للأحياء، فالميت له ابن، له بنت، له أعمام، له أخوال، إذا سُبَّ يتأذَّى الأحياء؛ ولذلك جاء في حديث المغيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لَا تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ فَتُؤْذُوا الأَحْيَاءَ**» رواه التِّرْمِذِيّ، وصحَّحه الألباني.

حَتَّى لو كان الميت في نظر المتكلِّم يستحق السَّبّ؛ فإنه مادام أنه مات فإنه لا يُسَب؛ ولذلك جاء عن أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها سألت عن رجلٍ كان فيه من الشر ما فيه، فقالت: "**مَا فَعَلَ فُلَانٌ لَعَنَهُ اللهُ؟**

قالوا: قدْ مَات. قَالَتْ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ. قالوا: ما لكِ لعنتيه، ثُمَّ قلتِ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، قالت: إنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهىٰ عن سبِّ الأموات"، فكانت أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ترى أنَّ هذَا من شرِّه يستحق اللَّعْن، لكن لمَّا أُخبرت أنه مات؛ قالت: "أَسْتَغْفِرُ اللهَ" مِمَّا قالت؛ لأنها قالت بعدما مات، لأنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن سبِّ الأموات.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥٠٥ - وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(الشَّرْحُ)

هذَا الحديث العظيم قَالَ فيه النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ».

والقتَّات يا إخوة هو النَّمَّام، الَّذِي يمشي بين النَّاس ويسعى بين النَّاس بالحديث من أجل الإفساد.

- ما هي النَّمِيْمَة؟

✍ نقل الحديث بين النَّاس عَلَى وجه السِّعاية بينهم والإفساد.

النَّمِيْمَة من كبائر الذنوب، فإذا كان الإنسان يسعى بين النَّاس بنقل الكلام للإفساد بينهم، إن كان صادقًا في الكلام الَّذِي ينقله؛ فهو نمَّام، وإن كان كاذبًا؛ فهو نمَّامٌ كذَّاب، فيجمع مصيبتين؛ ولذلك الإنسان يا إخوة يراقب قلبه إذا أراد أن ينقل الكلام، فنقل الكلام بين النَّاس بقصد الإفساد بينهم كبيرة من كبائر الذنوب، ولذلك قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ»، وإذا كان هذَا في الَّذِي يسعى بِالنَّمِيْمَةِ بين العامَّة، فما بالك بِالَّذِي يسعى بِالنَّمِيْمَةِ بين طُلَّاب العلم؟ الَّذِينَ هم صفوة مجتمع المسلمين، فينقل الكلام بينهم عَلَى سبيل الإفساد، وقد يتظاهر بالنصح، واللهُ أَعْلَمُ بما في قلبه، فكيف بِالَّذِي ينقل الكلام بين الشيخ وطلابه عَلَى سبيل الإفساد وقصد الإفساد، لجعل الشيخ يكره بعد طلابه؟ لَا شَكَّ أنَّ الأمر أعظم جرمًا.

وَالنَّمِيْمَة يا إخوة من كبائر الذنوب بالإجماع، أجمع العلماء عَلَى عَدِّ النَّمِيْمَة من الكبائر، وهي سببٌ لعذاب القبر، وسببٌ لدخول النَّار.

فمعنى قول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ» أنه يدخل النَّار، وإن كان لا يُخلَّد فيها ما دام مؤمنًا، ولا يمشي بِالنَّمِيْمَةِ من فيه خير، النَّمِيْمَة صفة الأشرار؛ ولذلك جاء في حديث أسماء بنت زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟» أي: بشرار المسلمين؛ لأنَّ شرار النَّاس هم الكفار.

«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟» قالوا: بلى، قَالَ: «الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ» رواه الإمام أحمد والبخاري في "الأدب المفرد"، وحسَّنه الألباني.

النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ» يا معاشر المسلمين؟ قالوا: بلى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ» لأنَّ النَّمَّام يُفسِد بين المتحابِّين، «الْبَاغُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ» أي: القاصدون المشقة للبرآء، بإلصاق ما ليس فيهم بهم، فمن العيوب العظيمة والجرائم الكبيرة: أن يمشي الإنسان بين النَّاس بِالنَّمِيْمَةِ.

وقلنا: إنَّ ضابطها: أن ينقل الكلام بين النَّاس بقصد الإفساد بينهم، والسَّعي في إفساد ما بين الأحبَّة في الحب في الله، وابتغاء المشقة للبرآء؛ ولذلك طالب العلم ينبغي عليه أن يحذر من تلبيس إبليس، فإنَّ إبليس قد يغشه، ويظهر له النَّمِيْمَة كأنها نصيحة، فيجب قبل أن ينقل الكلام أن يراجعه مرارًا، وأن يراجع قصده مرارًا، فإن ظهر له حُسن قصدٍ وصلاح أمرٍ، وأنَّ نقل الكلام هذَا فيه خير؛ أقدم بعد المراجعة والتأني، وإن لم يظهر له ذلك؛ أمسك، ولا ينقل الكلام بين النَّاس.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥٠٦ - وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ؛ كَفَّ اللهُ عَنْهُ عَذَابَهُ». أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ».

١٥٠٧ - وَلَهُ شَاهِدٌ: مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ عِنْدَ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا.

(الشَّرْحُ)

(عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ؛ كَفَّ اللهُ عَنْهُ عَذَابَهُ». أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ») ورواه أبو يعلى أَيْضًا، وصحَّحه الألباني.

وقد تقدَّم الكلام عَلَى فضيلة الغضب، وفي هذَا زيادة هنا، وعَلَى فضيلة كظم الغيظ وكفِّ الغضب، وفي هذَا زيادة هنا: أنَّ «مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ؛ كَفَّ اللهُ عَنْهُ عَذَابَهُ»، وَهذَا مُطلق العذاب في الدنيا، والعذاب في الآخرة.

ومعنى ذلك يا إخوة: أنَّ الإنسان قد يستحقُّ عذاب الله بفعلٍ فعله، لكنه يكظم غيظه، ويكفّ غضبه، فيكفَّ الله عنه العذاب.

وجاء في الحديث: «مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ؛ سَتَرَ اللهُ عَورَتَهُ» رواه الطبراني، وصححه الألباني.

يا إخوة! كفُّ الغضب أجره عظيم، «مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ» ولم ينفذ ما يقتضيه الغضب؛ خيَّره الله يوم القيامة بين الحور العين، يختار منهنَّ ما شاء، وضاعف ثوابه، وكفَّ عنه عذابه، وستره في الدنيا.

✍ والقاعدة عند أهل العلم يا إخوة: "**أنه إذا خفَّ الوازع الطَّبْعِي؛ عُظِّم الوازع الشرعي**"، الإنسان يا إخوة الَّذِي يمنعه عن الشر وازعان:

- وازع طَبْعِي في نفسه.
- ووازع شرعي.

فإذا ضَعُف الوازع الطَّبْعي؛ فإنَّ الشرع يضاعف في الوازع الشرعي حَتَّى ينتهي الإنسان، لَا شَكَّ يا إخوة أنَّ الإنسان إذا غضب الوازع الطَّبْعي سيضعف؛ لأنَّ النَّفْس تطلب الانتقام، فضوعف الثواب من أجل كبح النَّفْس، فعُظِّم الوازع الشرعي هنا.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٥٠٨ - وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ خِبٌّ، وَلَا بَخِيلٌ، وَلَا سَيِّئُ الْمَلَكَةِ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَفَرَّقَهُ حَدِيثَيْنِ، وَفِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ.**

(الشَّرْحُ)

ورواه الإمام أحمد بتمامه، ورواه التِّرْمِذِيّ مُفرَّقًا عَلَى حديثين:

- «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ خِبٌّ، وَلَا بَخِيلٌ» حديث.

- «وَلَا يَدْخُلُ سَيِّئُ الْمَلَكَةِ» حديثٌ آخر عند التِّرْمِذِيّ.

أما الإمام أحمد في "**المسند**" فرواه كما هو هنا: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ خِبٌّ، وَلَا بَخِيلٌ، وَلَا سَيِّئُ الْمَلَكَةِ»، لكن الحديث كما قَالَ الحافظ: "**في إسناده ضعف**"، وقد ضعَّفه الألباني، فالحديث ضعيف.

«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ خِبٌّ» الخِبُّ يا إخوة هو الخدَّاع المكَّار الغشَّاش، الَّذِي يخدع النَّاس، ويمكر بِالنَّاسِ، ويغش النَّاس؛ وَلَا شَكَّ أنَّ هذَا حرام.

والبخيل؛ تقدَّم معنا.

و«سَيِّئُ الْمَلَكَةِ» هو خبيث النَّفْس، الَّذِي يتصف بعدم الرحمة، يتصف بحسب النَّاس، لا يحبّ الخير للنَّاسِ؛ هذَا سيء الملكة، خبيث النَّفْس، فنفسه خبيثة -وَالعِيَاذُ باللهِ-.

وَلَا شَكَّ أنَّ هذَا حرام، وإن كان الحديث ضعيفًا، إِلَّا أنَّ الأَدِلَّة دلَّت عَلَى حرمة هذِه الصفات الَّتِي ذكرناها.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٥٠٩ - وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ تَسَمَّعَ حَدِيثَ قَوْمٍ، وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ؛ صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ الْآنُكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» يَعْنِي: الرَّصَاصَ. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.**

(الشَّرْحُ)

(عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَسَمَّعَ») أي: قصد السماع وتكلَّف، أما لو كان الإنسان جالسًا في مجلس، والنا ستحدثون بصوتٍ عالٍ فسمع، هذَا سمع ولم يتسمَّع، وَإِنَّمَا التَّسَمُّع: أن يتكلَّف هذَا. «مَنْ تَسَمَّعَ» أي: تكلَّف السماع، وقصد السماع.

بعض النَّاس -وَالعِيَاذُ باللهِ- قد يمر بشقة جاره، ويسمع صوتًا في البيت يأتي يقترب من الباب، قد يكون مجموعة من الطلاب يعيشون في سكن متقارب، فأحدهم يسمع أخاه يتحدَّث بالتليفون، ربما سمع إثمًا في الكلام، يأتي ضع أذنه عند الباب حَتَّى يرى ماذا يقول هذَا لينقله، قد يكون اثنان يتحدثان فيما بينهما، فيأتي إنسان من خلفهما من أجل أن يسمع ما يقولان، كلّ هذَا حرام.

«مَنْ تَسَمَّعَ حَدِيثَ قَوْمٍ، وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ» يعني: لم يستأذن، وجد اثنين يتناجيان في المجلس، فدخل عليهما ولم يستأذن؛ «صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ الْآنُكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» «الْآنُكُ» يا إخوة هو الرَّصاص الصَّافي المُذاب الحارّ، يُصبُّ في أذنيه يوم القيامة -وَالعِيَاذُ باللهِ-، وَهذَا يدل عَلَى أنَّ هذَا من كبائر الذنوب: أن يتسمّع الإنسان كلام النَّاس وهم له كارهون، لا يريد أن يسمعه أحد، والقرائن تدل عَلَى هذَا.

إنسان أخذ شخصًا وانتحى به جانبًا، هذَا يدل عَلَى أنهم لا يريدون أن يسمعهم أحد، فَالَّذِي يأتي ويتسمَّع؛ هذَا فعل هذَا الحرام -وَالعِيَاذُ باللهِ-.

قَالَ العلماء: "**ويستثنىٰ من ذلك: إذا وُجدت ريبةٌ لها أسبابها**"، فإنه يجوز لولي الأمر أو من ينيبه أن يتسمَّع، يعني: وُجدت ريبة وقرائن أنَّ هناك شرًّا يُحاك، فيجوز لولي الأمر أن يتسمَّع، أو ينيب من يتسمَّع من أجل تحقيق الأمر لدرء الفساد.

ولذلك لمَّا جاء خبر ابن صائد في المدينة، وشكَّ بعض النَّاس أنه الدَّجَّال، في زمن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ تخبَّأ له النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين النخل ليسمع كلامه ليستبين أمره، فهنا ظهرت ريبة من ابن صائد أو ابن الصَّيَّاد، اقتضت أن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تخبَّأ له بين النخل ليسمع كلامه ليعرف حاله، فَهذَا جائز.

- ولذلك سُئلت مرةً: ما حكم عمل رجال المباحث، وهم من رجال الأمن في البلدان؟

✍ فقلت: أمَّا إذا لم تكن هناك ريبة؛ فالتنصت عَلَى النَّاس حرام، لا للمباحث ولا لغير المباحث، أما إذا وُجدت الريبة الَّتِي لها أسبابها المعلومة؛ فالتنصت لمنع الفساد العام مشروع، وفعله النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنفسه.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٥١٠ - وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طُوبَىٰ لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ». أَخْرَجَهُ الْبَزَّارُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

(الشَّرْحُ)

قَالَ الحافظ: عن أنسٍ أن النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: («طُوبَىٰ لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ». أَخْرَجَهُ الْبَزَّارُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ) وضعَّفه الألباني.

والحديث له شواهد، لكنها جميعًا ضعيفة؛ ولذلك يظهر واللهُ أَعْلَمُ: أنَّ الحديث ضعيف، ولا يرتقي إِلَى درجة الحسن، وإن كان الحافظ قد حسنه، ومعناه صحيح.

«طُوبَىٰ» وهي الجَنَّة، «لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ» كل إنسان له عيب، فالموفَّق من اشتغل بنفسه عن تصيُّد عيوب النَّاس، أما أن يُنكِر الإنسان عَلَى أصحاب المنكر؛ فَهذَا ليس من الاشتغال بعيوب النَّاس؛ هذَا مطلوبٌ شرعًا، بعض النَّاس يقول: أنا مليء بالذنوب، كيف أنكر عَلَى النَّاس؟

إذا رأيت منكرًا، وأنت تستطيع أن تنكره؛ وجب عليك أن تنكره، وليس هذَا من الاشتغال بعيوب النَّاس، كشف أهل البدع، وكشف مكرهم بِالنَّاسِ، وخداعهم للنَّاسِ لنشر الباطل بين النَّاس، ليس من الاشتغال بعيوب النَّاس، هذَا من النَّصِيْحَة للمؤمنين، ولكن من أهله بصدقٍ وإنصاف.

الاشتغال بكشف عيوب أهل البدع، وبيان مكرهم بِالنَّاسِ مشروع، ومن أعظم شعائر الدين، ولكن من أهله، أما من لم يكن من أهله؛ فقد اشتغل بما لا يعنيه، يبلغنا أن بعض الإخوة يُسلِم يدخل في الإسلام، وأول أمر يشتغل به: النظر في أهل البدع؛ ليس من أهله، يكفيه أن يُقال له: لا تستمع لأهل البدع، لا تستمع لفلان، يُعلَّم وَالحَمْدُ للهِ، أما يشتغل بنقد النَّاس، وجرح النَّاس، وهو مسلم قبل شهر ولا قبل شهرين!

* يقول لي أحد الشيوخ في دولة من الدول: دعوت أحد الإخوة إِلَى الإسلام، فأسلم وعرَّفته بِالسَّلَفِيَّةِ، ما مضى عليه ثلاثة أشهر إِلَّا وهو كاتبٌ وريقات في إخراجي من السَّلَفِيَّة!

هذَا ليس أهلًا، أما اشتغال أهل العلم والمشايخ وأهل الفضل بكشف أهل البدع؛ هذَا من الجهاد في سبيل الله، هم ما يجدون شيئًا من الدنيا بهذا، بل يُحرمون أشياء من الدنيا بسبب هذَا، لكنه جهاد في سبيل الله، وبصدق، لا بظنون وأوهام لا مكان لها.

* في بلدٍ من البلدان هناك شبابٌ سلفيون أقحاح، فيه من تكلَّم فيهم، لماذا؟ قَالَ: لأنهم صغار، ما ندري، يمكن أن ينقلبوا! سُبْحَانَ اللَّهِ! كيف يمكن أن ينقلب؟! أُناس عَلَى الجادَّة؛ فَالحَمْدُ للهِ.

بالعدل وَالصِّدْق والإنصاف كما يفعل مشايخنا الَّذِينَ حملوا راية الجرح والتعديل، وكشفوا أهل البدع، ونشروا الهُدى وَالسُّنَّة، هم أهلٌ وبعدلٍ وصدقٍ وإنصافٍ؛ ولذلك لا يتعجَّلون.

* أحد المشايخ يقول لي: "**صبرت عَلَىٰ رجلٍ أكثر من عشر سنوات، وأنا أناصحه فيما بيني وبينه، فلمَّا أبىٰ وظهر أمره، وأصبح يضر النَّاس؛ اضطررت أن أتكلم فيه**"، بالعلم والعدل، أمَّا أنَّ الإنسان يُدخِل نفسه في ما ليس له، وينشغل بعيوب النَّاس عن الدَّعْوَة؛ فلا تجد له دعوةً في التَّوحِيْد أصلًا، ولا إِلَى السُّنَّة، والأصل يا إخوة: أنَّ الأصل عندنا هو التَّوحِيْد وَالسُّنَّة، وما عدا ذلك وسائل لحفظ التَّوحِيْد وَالسُّنَّة، أن تجد إنسانًا يشتغل بعيوب النَّاس، ولا يلتفت إِلَى عيبه، ولا يجتهد في الدَّعْوَة؛ هذَا أمر يحتاج إِلَى علاج.

ولذلك نحن بين طرفين: طرف بارد، لا يريد نُصرة السُّنَّة، ولا يريد كشف أهل البدع، ولا يريد أن يُتكلَّم في أهل البدع بالحق والإنصاف من أهله، وطرف متعجل ليس من أهل الشَّأن، ويريد أن يتقدَّم، ويتكلَّم بغير بصيرة؛ وكلا الطرفين عَلَى انحراف.

✍ **والصواب**: ما عليه أهل العلم قديمًا وحديثًا، من كشف أهل البدع، وبيان عيوبهم، بما يحتاجه المسلمون، بإنصافٍ؛ وللك أهل العلم تجد أنهم لا يتكلمون، مثلًا إذا تكلموا في رجلٍ من أهل البدع، لا يتكلمون في ماله؛ هذَا ما له علاقة، لا يتكلمون في زوجته؛ هذَا ما له علاقة، يتكلمون فيما يتعلَّق بحفظ الدين فَقَطْ، وبعدلٍ وإنصافٍ.

فـ«طُوبَىٰ لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبَهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ» عَلَى الوجه الصحيح الَّذِي تدلُّ عليه الأَدِلَّة.

ولعلنا نقف هنا، ونكمل غدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، واللهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ

المجلس (٩)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمَّان الأكملَانِ عَلَىٰ المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ؛ أَمَّا بَعْدُ:

فأيها الفضلاء! نواصل شرح (كتاب الجامع) من "بلوغ المرام" للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

ولا زلنا نقرأ الأحاديث في (بَاب الرَّهَبِ مِنْ مَسَاوِئِ الْأَخْلَاقِ)، فيتفضل الشيخ رفاعي وَفَّقَهُ اللهُ يقرأ لنا.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ وحده، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ من لا نبي بعده؛ وَبَعْدُ:

فقَالَ الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٥١١ - وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَعَاظَمَ فِي نَفْسِهِ، وَاخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ». أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ.

(الشَّرْحُ)

هذَا الحديث رواه الإمام أحمد، وَهذَا اللَّفْظ المذكور هنا أقرب إِلَى رواية الإمام أحمد، أما الحاكم فلفظ الحديث عنده: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَتَعَاظَمُ فِي نَفْسِهِ وَيَخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ إِلَّا لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ» وصححه الحاكم والذهبي.

إِذًا هذَا الحديث رواه الإمام أحمد، ورواه الحاكم، وَاللَّفْظ الَّذِي ذكره الحافظ أقرب إِلَى رواية الإمام أحمد، وقد صححه الحاكم، وصححه الشيخ ناصر الألباني.

قَالَ: قَالَ رسو ل الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَنْ تَعَاظَمَ فِي نَفْسِهِ» أي: تكبَّر في نفسه، «وَاخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ» أي: مشى مشية المتكبر المعجب بنفسه؛ «لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ» أي: يلقى الله يوم القيامة وهو عليه غضبان، وربنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ يغضب، ويشتد غضبه، فغضب الله يتفاوت، والغضب لله صفة عَلَى ما يليق بجلال ربنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

والتواضع من أخلاق المؤمنين، يقول النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّىٰ لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ» وسيأتي هذَا الحديث إِنْ شَاءَ اللَّهُ، والحديث راه مسلم.

والكبرُ من شرِّ الأخلاق، من شرها صفةً، ومن شرها عقوبةً، وقد قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ؛ كَبَّهُ اللهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فِي النَّارِ» رواه أحمد، وحسَّنه الألباني.

أعوذ بالله يا إخوة! من كان في قلبه شيءٌ يسير من الكبر؛ يكون ذلك سببًا في دخوله النَّار، فكيف بمن يعظم الكبر في نفسه، ويشتد الكبر في نفسه؟

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» رواه مسلم في الصحيح، «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ» وَهذَا أقل ما توزَن به الأشياء وتُمَثَّل به الأشياء «مِنْ كِبْرٍ»، فكيف بمن زاد كبره عَلَى هذَا -وَالعِيَاذُ باللهِ-؟ ولذلك المؤمن يخاف من مصير المتكبر، فيدرِّب نفسه، ويعوِّد نفسه عَلَى التواضع.

«لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ» لماذا؟ قَالَ العلماء؟ لأنه نازَع الله رداءه في الدنيا، فرداء الله هو الكبرياء، فإذا تكبَّر؛ فقد نازَع الله رداءه، فيلقى الله يوم القيامة وهو عليه غضبان.

قَالَ العلماء: في هذَا الحديث جمع النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ طرفي الكبر؛ لأنَّ الكبر له طرفان: أحدهما في القلب، وَالثَّانِي في الأعمال، فَالنَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في هذَا الحديث جمع الأمرين:

- «مَنْ تَعَاظَمَ فِي نَفْسِهِ» هذَا الكبر الَّذِي في القلب.
- «وَاخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ» هذَا الكبر الَّذِي هو في الأعمال.

وكلاهما مذمومٌ، مُحرَّمٌ، من كبائر الذنوب -وَالعِيَاذُ باللهِ-.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٥١٢ - وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ.

(الشَّرْحُ)

التِّرْمِذِيّ قَالَ: "هذا حديثٌ غريب"، وضعَّفه الألباني، ورواه أبو يعلى والبيهقي بلفظ: «التَّأَنِّي مِنَ اللهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»، وبدراسة إسناد الحديث يظهر -واللهُ أَعْلَمُ- أن الحديث حَسَن.

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْعَجَلَةُ» العجلة يا إخوة: طلب الشَّيْء قبل وقته، وهي مذمومة، ولا تُنتِج خيرًا، وَإِنَّمَا تُنتج الشر إِمَّا في الحال أو المآل، إِلَّا في أعمال الآخرة، فإنَّ العجلة في أعمال الآخرة بمعنى: المسابقة والمسارعة، وهي محمودة، ولذلك قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا عَمَلَ الْآخِرَةِ».

«التُّؤَدَةُ» أي: التأني «فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ» رواه أبو داود، وصححه الألباني.

في رواية الحاكم: «التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ خَيْرٌ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ» فدلَّ ذلك يا إخوة عَلَى أنَّ العجلة في كل شيء مذمومة، وتقود إِلَى الشر، إِلَّا في عمل الآخرة؛ فإنَّ المسارعة والمسابقة بعمل الآخرة مطلوبة ومحمودة وتؤدي على خير.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»، وفي الرواية الأخرى: «التَّأَنِّي مِنَ اللهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ».

قَالَ العلماء: «التَّأَنِّي مِنَ اللهِ» لأنَ الله هو الَّذِي يأمر بالأناة، «وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ» لأنَّ الشيطان هو الَّذِي يحثّ عليها، الشيطان يحث الإنسان عَلَى العجلة، من أجل أن يوقعه في الشر، وَهذَا يدل عَلَى أنَّ العجلة مذمومة من جهة فعلها، وجالبة للشر من حيث أثرها، فإنَّ أثر العجلة عَلَى العبد الشر؛ إِمَّا في الحال، وَإِمَّا في المآل.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٥١٣ - وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الشُّؤْمُ: سُوءُ الْخُلُقِ». أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَفِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ.

(الشَّرْحُ)

وضعَّفه الألباني، والحديث ضعيف.

قَالَ: (وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الشُّؤْمُ: سُوءُ الْخُلُقِ»).

«الشُّؤْمُ» يا إخوة هو ضد البركة، «الشُّؤْمُ: سُوءُ الْخُلُقِ» والمقصود: أنَّ سوء الخُلُق من أعظم أسباب حصول الشر للإنسان، من أعظم أسباب حصول الشر للإنسان: أن يكون سيء الخُلُق، فإنَّ سوء الخُلُق يبغضه الله، ويُبعد صاحبه، ويبغضه النَّاس، فيأتيه الشر من كل مكان، أعني: سيء الخُلُق يأتيه الشر من كل مكان، فَهذَا المقصود بهذه الجملة: «الشُّؤْمُ: سُوءُ الْخُلُقِ».

من أعظم أسباب جلب الشر للإنسان: سوء الخُلُق -وَالعِيَاذُ باللهِ-.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٥١٤ - وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُفَعَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

(الشَّرْحُ)

الله المستعان!

هذَا الحديث عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ روته أم الدرداء عن أبي الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّعَّانِينَ» جمع لعَّان، وهو الَّذِي يُكثِر من اللَّعْن، «لَا يَكُونُونَ شُفَعَاءَ» أي: لا يكونون من المؤمنين الَّذِينَ يشفعون يوم القيامة، فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يأذن للمؤمنين يوم القيامة في أن يشفعوا للمذنبين الَّذِينَ دخلوا النَّار، المؤمنون يوم القيامة يا إخوة إذا اجتازوا الصراط وأمنوا من النَّار،

ذكروا إخوانهم الَّذِينَ في النَّار، وقالوا: يا ربنا إخواننا، كنوا يصلون معنا، ويصومون معنا؛ فيأذن الله عَزَّوَجَلَّ لهم في إخراجهم من النَّار.

ومن هنا قَالَ العلماء: هذِه من بركات مجالسة الصَّالِحِيْنَ، فإنَّ العبد إذا كان يجالس الصَّالِحِيْنَ، ويصلي معهم، ويصوم معهم، لو أنه بذنبه استحق دخول النَّار، فدخل النَّار؛ فإنَّ هؤلاء الصَّالِحِيْنَ يشفعون له، ويخرجونه من النَّار، الله عَزَّوَجَلَّ يحرِّم أجساد هؤلاء الشفعاء عَلَى النَّار، ويأمرهم بدخول النَّار، وإخراج من يعرفون في النَّار، لكن اللَّعَّانين -وَالعِيَاذُ باللهِ- يُحرمون من هذِه المنزلة، فلا يكونون شفعاء يوم القيامة.

«وَلَا» يكونون «شُهَدَاءَ» أي: لا يكونون يوم القيامة من الشهداء عَلَى الأمم السابقة؛ لأنَّ أمة مُحَمَّد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من علوم منزلتها أنَّ أمة مُحَمَّد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تشهد عَلَى الأمم السابقة بأنَّ الأنبياء قد بلّغوهم رسالة ربهم، ولكن اللَّعَّانين يحرمهم الله من هذِه المنزلة، فلا يكونون شهداء أَيْضًا يوم القيامة.

قَالَ العلماء: ويؤخذ من هذَا أَيْضًا: أنَّ من عُرف بكثرة اللَّعْن في الدنيا لا تُقبل شهادته في الدنيا، فلو أنَّ شخصا جاء بشاهد إِلَى القاضي، وعلم القاضي أنه من النَّاس الَّذِينَ يُكثِرون من اللَّعْن يرد شهادته، ولا يقبل شهادته؛ لأنه لمَّا أسقط الله شهادته يوم القيامة؛ دلَّ ذلك عَلَى أنَّ شهادته لا تُقبل.

✍ **والمقصود** -أَيُّهَا الإخوة-: أنَّ الَّذِي يُكثِر اللَّعْن لا يرضى الله عنه يوم القيامة، ولا يرفع منزلته يوم القيامة، لماذا نقول: لا يرضى الله عنه؟ لأنَّ الله يوم القيامة إِنَّمَا يأذن بِالشَّفَاعَة أو يأذن في الشَّفَاعَة لمن رضي عنه، تعرفون شروط الشَّفَاعَة يوم القيامة؟ ثلاثة:

- ✓ رضا الله عن الشَّافِع.
- ✓ وإذن الله للشَّافِع.
- ✓ ورضا الله عن المشفوع له.

فكونه لا يشفع، معنى ذلك: أنَّ الله لا يرضى عنه يوم القيامة -وَالعِيَاذُ باللهِ-، وكثرة اللَّعْن يا إخوة ليست من صفات المفلحين، وفي حديث ابن عمر قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا»، «لَا يَنْبَغِي» أي: لا يكون ولا يصلح «لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا» رواه مسلمٌ في الصحيح.

وَاللَّعْن من حيث حكمه تقدَّم بيانه، وأنَّ الأصل في اللَّعْن التَّحْرِيْم، لكن اللَّعْن العام الَّذِي ورد في النصوص للتنفير وَالتَّحْذِيْر يجوز للمسلم أن يُطلِقه: «لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا»، يجوز للمسلم أن يقول: «لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا»، لكنه ليس لعنًا لمعينٍ، وَإِنَّمَا بالصفة.

أمَّا لعن المعيَّن؛ فالأصل تحريمه، إِلَّا إذا وُجدت المصلحة الشَّرْعِيَّة، بحيث علمنا أنَّ هذَا المُعيَّن لا يترك جرمه إِلَّا إذا لعنَّاه، وهو يفعل ما ورد به اللَّعْن، مثل -وَالعِيَاذُ باللهِ- يأكل الرِّبَا، وعلمنا أنَّ هذَا الا يترك أكل الرِّبَا إذا قلنا له: لعنة الله، فهنا عَلَى الصحيح من أقوال أهل العلم: يجوز هذَا، وَإِلَّا فالأصل منعه.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٥١٥ - وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ؛ لَمْ يَمُتْ حَتَّىٰ يَعْمَلَهُ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَسَنَدُهُ مُنْقَطِعٌ.

(الشَّرْحُ)

(عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ؛ لَمْ يَمُتْ حَتَّىٰ يَعْمَلَهُ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَسَنَدُهُ مُنْقَطِعٌ) قَالَ التِّرْمِذِيّ: "**حسنٌ غريب، وليس إسناده بمتصل**"، وَقَالَ الألباني: "**موضوع**"، ومعنى موضوع يعني: أنه مكذوب، وعدَّه ابن الجوزي في الموضوعات.

«مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ» أي: نسب أخاه إِلَى العيب، ونسبه إِلَى العار «بِذَنْبٍ» قَالَ العلماء: بذنبٍ قد تاب منه، إذا عيره بذنبه قد تاب منه، كان يأكل الرِّبَا وتاب إِلَى الله، فبعد أن تاب يأتي مسلم يعلم أنه قد تاب ويقول له: يا آكل الرِّبَا! أصلًا أنت من آكلي الرِّبَا! وكذلك إذا لم يجاهِر بذنبه، إذا كان المذنب لم يجاهر بذنبه، فجاء مسلم اطلع عَلَى ذنبه الَّذِي لم يجاهر به؛ فعيره وعابه به، وكذلك إذا كان تعييره للمذنب بذنبه من باب الشماتة، وقد جاء في حديث واثلة بن الأسقع قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ فَيَرْحَمَهُ اللهُ وَيَبْتَلِيكَ»، والحديث رواه التِّرْمِذِيّ، لكن في إسناده ضعف.

فسَّر العلماء: قول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ» بثلاثة أمور:

- أن يعيره بذنبٍ قد تاب منه.
- والأمر الْثَّانِي: أن يعيره بذنبٍ لم يجاهِر به.
- والأمر الْثَّالِث: أن يعيره بأي ذنبٍ عَلَى سبيل الشماتة.

قَالَ: «مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ؛ لَمْ يَمُتْ حَتَّىٰ يَعْمَلَهُ» أي: أنَّه -وَالعِيَاذُ باللهِ- يُبتلى بهذا الذنب، لكن الحديث ضعيف كما سمعنا.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥١٦ - وَعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ: قَالَ: قَالَ رَسُــولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ، فَيَكْذِبُ؛ لِيَضْحَكَ بِهِ الْقَوْمُ، وَيْلٌ لَهُ، ثُمَّ وَيْلٌ لَهُ». أَخْرَجَهُ الثَّلَاثَةُ، وَإِسْنَادُهُ قَوِيٌّ..

(الشَّرْحُ)

(عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ، فَيَكْذِبُ؛ لِيَضْحَكَ بِهِ الْقَوْمُ، وَيْلٌ لَهُ، ثُمَّ وَيْلٌ لَهُ») قَالَ: (أَخْرَجَهُ الثَّلَاثَةُ، وَإِسْنَادُهُ قَوِيٌّ) روا أبو داود وَالتِّرْمِذِيّ والإمام أحمد، وسكت عنه أبو داود، "**وما سكت عنه أبو داود؛ فهو عنده صالح**" هذِه هي القاعدة، وحسَّنه التِّرْمِذِيّ، وحسَّنه الألباني، فالحديث ثابت.

قَالَ: «وَيْلٌ» والويل هو الْدُّعَاء عليه بالهلاك، وَقَالَ العلماء: هو دعاءٌ عليه بدخول النَّار، أو إخبارٌ بدخوله النَّار؛ لأنَّ «وَيْلٌ» وادٍ في جهنَّم.

«وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ، فَيَكْذِبُ؛ لِيَضْحَكَ بِهِ الْقَوْمُ» سواء كذب عَلَى معيَّن، فيقول: فلان جارنا، يعني سقط عَلَى وجهه بطريقةٍ معينة مضحكة يصفها، وهو ما وقع، أو عَلَى قوم من غير تعيين، فيقول مثلًا: المصريون يفعلون كذا، ويكذب عليهم ليضحك النَّاس، أو الكويتيون يفعلون كذا ويكذب

عليهم ليضحك النَّاس، وقد يحدث في البلد الواحد أنه يُكذَب عَلَى قوم من أهل البلد من أجل الإضحاك؛ كل هذَا يدخل في الحديث.

«**وَيْلٌ لَهُ، ثُمَّ وَيْلٌ لَهُ**» وَهذَا يدل عَلَى أنَّ هذَا الكذب من كبائر الذنوب؛ لأنه توعد عليه بِالنَّارِ.

والحديث يدل يا إخوة عَلَى بطلان قول بعض النَّاس: "**هذِه كذبة بيضاء**"، ويجعلون من الحديث الكاذب أسود وأبيض، ويقولون: الكذب منه كذب أبيض، وهو الَّذِي لا يكون فيه ضرر بِالنَّاسِ، ومنه كذب أسود، وهو الَّذِي يضر النَّاس، وَهذَا الحديث يرد ذلك.

فَهذَا الحديث ليس فيه ضرر، أعني: الكذب هنا في هذَا الحديث ليس فيه ضرر، وَإِنَّمَا لإضحاك النَّاس، ومع ذلك تُوعد عليه بِالنَّارِ، ولا يُستثنى من تحريم الكذب شيء إِلَّا ثلاثة فَقَطْ:

۞ الكذب للإصلاح بين النَّاس، أن تعرف أخوين لك متخاصمين، فتأتي لهذا الأخ وتقول: والله فلان فلان يحبك، ويتمنى أن يصطلح معك، ويقول: أنا في قلق منذ أن خاصمت أخي، وهو ما قَالَ، ثُمَّ يذهب إِلَى الْثَّانِي ويقول: فلان يحبك، وزعلان أنه متخاصم معك، ويريد الصلح معك، وهو ما قَالَ؛ هذَا ليس كذَّابًا، ليس الكذَّاب الَّذِي يُصلِح بين النَّاس فينمي خيرًا.

۞ والأمر الْثَّانِي: كذب أحد الزوجين عَلَى الآخر ليصلح الحياة، ولا يفوِّت حقًّا، مثل: أن يقول الرجل لامرأته مثلًا: أنت عندي أجمل النساء، وهو ربما ما يراها جميلة، يا أخي يقول: أنتِ عندي أجمل النساء، أو تطلب المرأة من زوجها أن يُحضر لها شيئًا من السوق، وهو لا يستطيع أن يحضره، أو لا يريد أن يحضره، وهو ليس من الحقوق، فيقو لها مثلًا: لم أجده في السوق، أو يقول: ما عندي في الرصيد ما يكفي، وهو يكذب؛ لأنه هنا يريد أن يصلح حياته وبيته، لأنه لو قَالَ لها: ما آتيك بهذا الشَّيْء، ربما غضبت، وربما يعني وقع في البيت شيءٌ من المشاكل.

* ولكن يا إخوة القاعدة عند أهل العلم: "**أنَّ الكذب بين الزوجين في الحقوق لا يجوز**" أن يكذب عليها ليفوت عليها حقها في النَّفَقَة، فيقول لها مثلًا: يعني هذَا الشهر خُصم عليَّ في الوظيفة نصف الراتب، من أجل أن يُسقِط نصف نفقتها الواجبة؛ هذَا ما يجوز، أما الكذب لإصلاح الحياة بين الزوجين، ولا يفوِّت حقًّا؛ فَهذَا جائز، من الزوجة عَلَى زوجها، ومن الزوج عَلَى زوجته.

وَأَمَّا الأمر الْثَّالِث فهو: الكذب في الحرب.

وما عدا ذلك فإنه لا يجوز.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٥١٧ - وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَفَّارَةُ مَنْ اغْتَبْتَهُ: أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُ».

رَوَاهُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ.

(الشَّرْحُ)

قَالَ العراقي: "**أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت، والحارث بن أبي أسامة في مسنده بسندٍ ضعيف**"، وضعَّفه الألباني.

(**عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ**: «**كَفَّارَةٌ**») الكفَّارة هي ما يستر الذنب، ويزيل أثره، «**كَفَّارَة مَنْ اغْتَبْتَهُ: أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُ**» يعني: أن تقول: اللّهمَّ اغفر له.

والحقيقة يا إخوة: أنَّ جميع الأحاديث في كفَّارة الغيبة إِمَّا ضعيفة أو موضوعة، يعني: جاء في بعض الأحاديث: «**كَفَّارَةُ مَنْ اغْتَبْتَهُ: أَنْ تذكره بخيرٍ**»، وَهذَا الحديث الَّذِي معنا أَيْضًا، كلها إِمَّا ضعيفة أو موضوعة؛ ولذلك قَالَ العلماء: "**الأصلُ في كفَّارة الغيبة: الاستحلال**"، أن تستحلّه.

طبعًا يا إخوة الغيبة يتعلَّق بها جانبان: حق الله، وحق المخلوق.

حق الله؛ كما تقدَّم معنا في التَّوبَة: أن يترك الذنب مخلصًا لله، نادمًا عَلَى ما وقع، عازمًا عَلَى ألّا يعود، هذَا لَا بُدَّ منه في الغيبة؛ لتعلُّق حق الله بها.

بالنسبة للمخلوق؛ قَالَ العلماء: "**الأصل: الاستحلال**" وأن يستحلّه؛ وذلك لحديث: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ ...**» الحديث، والحديث رواه البخاري.

لكن قَالَ جمعٌ من العلماء: "**من اغتاب إنسانًا، فعلم ذلك الإنسان أنه قد اغتابه، فَلَا بُدَّ من الاستحلال**"، حَتَّى تصح التَّوبَة، وَإِلَّا سيبقى حقه إِلَى يوم القيامة، وهناك يكون الوفاء من الحسنات، ليس هناك إِلَّا الحسنات والسيئات.

"**أما إذا لم يعلم أنه قد اغتابه؛ فإن أمِن الفتنة؛ فَلَا بُدَّ من الاستحلال**"، اغتبت إنسانًا في مجلس وهو لم يعلم أنك قد اغتبته، إذا أمنت الفتنة؛ فَلَا بُدَّ من الاستحلال، وَإِلَّا بقي الذنب عليك -وَالعِيَاذُ باللهِ-، أما إذا لم يأمن الفتنة، فإنَّه يكفيه مع إقلاعه عن الذنب، مخلصًا لله، وندمه عَلَى الَّذِي وقع، وعزمه عَلَى ألَّا يعود؛ يكفيه أن يذكر الرجل في المجالس الَّتِي اغتابه فيها بخير هو فيه، ما يكذب، يذكره بخيرٍ هو فيه.

ويستأنس بعض أهل العلم بقول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا**»، فيقولون: إذا اغتابه في مجلس، ولم يعلم أنه قد اغتابه، وخاف الفتنة، ما معنى خاف الفتنة؟ يعني: أولًا خاف أن يحزنه، وأن تحصل بينهما قطيعة، قد يكون الشخص صديقي، وضعفت يومًا واغتبته في المجلس، لو أخبرته أني اغتبته لأستحله من ذلك؛ سيحزن، وربما قاطعني، إذا كنت أعرف هذَا من حاله وأخلاقه؛ فإنه في هذِه الحال يكفي أن أُتبع سيئة الغيبة بحسنة ذِكره بخيرٍ هو فيه، والله غفورٌ رحيم.

وَهذَا يظهر لي -واللهُ أَعْلَمُ- أنه المتوجِّه؛ لأنَّ قواعد الشَّرِيْعَة تشهد لهذا.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥١٨ - وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَىٰ اللهِ: الْأَلَدُّ الْخَصِمُ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

(الشَّرْحُ)

(**عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَىٰ اللهِ: الْأَلَدُّ الْخَصِمُ**») قَالَ: (**أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ**) والحقيقة: أن الحديث أَيْضًا عند البخاري في الصحيح، بنفس اللَّفْظ، وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فالحديث مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، رواه البخاري ومسلم.

«**أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَىٰ اللهِ**» فالله يُبغِض -كَمَا تَقَدَّمَ معنا-، الله يحب، والله يُبغِض سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

«أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَىٰ اللهِ: الْأَلَدُّ» «الْأَلَدُّ» هو العسير في الخصومة، الشديد فيها، الَّذِي يدخل الخصومة من جميع الوجوه؛ لحرصه عَلَى غلبة خصمه، «الْأَلَدُّ» هو العسير الخصومة، الشديد فيها، الَّذِي يدخل الخصومة من جميع وجوهها؛ لحرصه عَلَى غلبة خصمه.

وَقَالَ بعض أهل العلم: «الْأَلَدُّ» هو كثير الخصومة، دائمًا في خصومة، يخاصم السائق، ويخاصم البقال، ويخاصم جيرانه، ويخاصم أولاده؛ كثير الخصومة، حَتَّى يُعرَف بالخصومة، وكلا المعنيين صحيح؛ فإنَّ الإسلام دين السماحة.

و«الْخَصِمُ» قالوا: الأصل: أنه الحاذق في خصومته، الَّذِي يغلب من خاصمه، هذَا «الخَصِمُ» الحاذق الماهر في خصومته، الَّذِي يغلب من خاصمه، لكن المراد به هنا: من يجادِل عن الباطل أو يجادِل بالباطل.

- «الْخَصِمُ» من يجادل عن الباطل، يعرف أنه عَلَى باطل، إِمَّا قبل الخصومة، وَإِلَّا في أثناء الخصومة، أحيانًا يا إخوة الإنسان يعرف من الأصل أنه عَلَى باطل، ويدخل في خصومة مع غيره، وهو يعلم أنه عَلَى باطل، وأحيانًا الإنسان يظن أنَّه عَلَى حق، فإذا دخل في الخصومة مع غيره؛ تبيَّن له أنه عَلَى باطل، كلاهما مذمومان، إذا استمرَّا عَلَى الخصومة.

- أو يجادل بالباطل؛ نعم هو عَلَى الحق، لكن حَتَّى يغلب خصمه يجادل بالباطل، ويأتي بأشياء باطلة، وبهذا يا إخوة نعرف حكم المحاماة:

* المحاماة إذا كانت لإحقاق الحق، ودفع الباطل، ونُصرة المظلوم بحججٍ صحيحة؛ فهي مشروعة، أما إذا كان المحامي يعلم أنه يدافع عن باطل، يعرف أنَّ موكله مجرم، ولكن يدافع عنه؛ هذَا لا يجوز، ويدخل في هذَا الحديث.

* وكذلك المحامي الَّذِي يستخدم الحجج الباطلة لتبرئة موكله، حَتَّى لو كان يعلم أنَّ موكله عَلَى حق، لكنه يستعمل الحِيَل الباطلة والحجج الباطلة؛ فإنَّ هذَا حرام، ويدخل -وَالعِيَاذُ باللهِ- فيمن يبغضهم الله، وهو «الْأَلَدُّ الْخَصِمُ».

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بَابُ التَّرْغِيبِ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ

(الشَّرْحُ)

بعد أن ذَكَرَ الشيخ الحافظ ابن حجر التَّخَلِّي عَن (مَسَاوِئِ الْأَخْلَاقِ) أعقب ذلك بِالتَّحِلِّي بـ (مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ)، والعلماء في التربية يقولون: ينبغي عَلَى المربي أن يستخدم الطريقتين: التَّخْلِية والتَّحْلِية، تخلية النفوس من الأخلاق الرديئة، وتحلية النفوس بالأخلاق الحسنة، والحافظ ابن حجر بدأ بالتَّخْلِية، وذكر (مَسَاوِئ الْأَخْلَاقِ)، ثُمَّ جاء بالتَّحلِية وذكر (مَكَارِم الْأَخْلَاقِ).

(بَابُ التَّرْغِيبِ) التَّرْغِيْب يا إخوة هو الحثُّ عَلَى الشَّيْء، والتطميع في فضله، أريد أن أرغّبك في الصَّدَقَة، معنى ذلك: أني أحثّك عَلَى الصَّدَقَة وأطمِّعك في فضل الصَّدَقَة.

و(مَكَارِم الْأَخْلَاقِ) هي الأخلاق الحسنة، والأخلاق الحسنة: كلّ خُلُقٍ أرشد إليه الشرع، أو جرى به العرف مِمَّا لا يخالف الشرع.

كلُّ خُلُقٍ أرشد إليه الشرع، أو جرى به العرف -يعني: جرى العرف بالعمل به-، مِمَّا لا يخالف الشرع، فَهذَا ضبط (مَكَارِم الْأَخْلَاقِ).

- كيف أعرف أنَّ هذَا الخُلُق كريم؟

✍ إِمَّا أن يأتي نصّ بالحثِّ عليه، سواء عَلَى سبيل الوجوب أو الاستحباب، وَإِمَّا أن يجري به عرف العقلاء، ويستملحونه، ويستحبونه، وهو لا يخالف الشرع، فيكون من الأخلاق الحسنة.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بَابُ التَّرْغِيبِ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

١٥١٩ - عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَىٰ الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ، وَيَتَحَرَّىٰ الصِّدْقَ، حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَىٰ الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَىٰ النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّىٰ الْكَذِبَ، حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(الشَّرْحُ)

هذَا الحديث العظيم في الصحيحين يقول فيه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ» أي: الزموا الصِّدْقَ، ويقول العلماء: هذِه الصيغة من صيغ الوجوب، بل من أعلى صيغ الوجوب، أن يُقال: "عليك بكذا"، أو "عليك كذا"، هذِه من أعلى صيغ الوجوب، فهنا النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوجب علينا الصِّدْق، وعلَّل هذَا:

فَقَالَ: «فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَىٰ الْبِرِّ»، «يَهْدِي» يعني: يدلُّ ويُرشِدُ ويقودُ «إِلَىٰ البِرِّ» البرُّ كلُّ خيرٍ، كل خير فهو بر؛ ولذلك الصِّدْق من مجامع الخيرات، يدل المسلم ويرشده ويقوده إِلَى كل خير.

«وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَىٰ الْجَنَّةِ» أي: وإنَّ البرَّ يقود إِلَى الجَنَّة.

* قَالَ العلماء: ويؤخذ من هذَا: أنَّ الصَّادق أقرب إِلَى الخيرات من غيره، من كان صدوق اللسان؛ فإنه أقرب إِلَى الخيرات من غيره من النَّاس؛ لأنَّ صدقه يهديه إِلَى البر، يعني: يهديه إِلَى الخيرات، فمن تحرَّى الصِّدْق؛ فمن باب أولى أن يصلِّي، من تحرَّى الصِّدْق؛ من باب أولى أن يصوم، لماذا؟ لأنَّ فعل الطاعات صدقٌ مع الله، فمن تحرَّى الصِّدْق مع النَّاس؛ فمن باب أولى أ ن يتحرَّى الصِّدْق مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

«وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ، وَيَتَحَرَّىٰ الصِّدْقَ» أي: يتكرَّر منه الصِّدْق «حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا» أي: حَتَّى يبلغ الغاية في الصِّدْق، ويوصَف عند الله بِالصِّدِّيْق، ومعنى ذلك: أنه إذا بلغ هذِه

المنزلة؛ فإنه لا يسقط عنها، إذا كان الإنسان يصدق يصدق يصدق، ويتحرَّى الصِّدْق، ويتحرَّى الصِّدْق؛ «يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا»، وإذا كُتب عند الله صِدِّيقًا؛ فإنه يبقى من أهل هذِه الصفة؛ لأنه كُتب عند الله هكذا.

«وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ» أي: أحذركم الكذب، وَهذَا تحريمٌ للكذب؛ «فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَىٰ الْفُجُورِ» قَالَ العلماء: الفجور الشرور، يعني: إنَّ الكذب يدلُّ ويرشد ويقود إِلَى الشرور، ومعنى ذلك: أنَّ كذوب اللسان قريبٌ إِلَى الشرور -وَالعِيَاذُ باللهِ-، فمن عُرف عليه الكذب وكثرة الكذب؛ فإنه لا يؤمن عَلَى شيءٍ، هو أقرب إِلَى الشر منه إِلَى الخير.

«وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَىٰ النَّارِ» إنَّ الفجور يقود إِلَى النَّار -وَالعِيَاذُ باللهِ-، «وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّىٰ الْكَذِبَ» أي: يقع منه الكذب ويتكرَّر منه الكذب؛ «حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا» أي: حَتَّى يبلغ في الكذب غايته، ويوصَف عند الله بأنه كذَّاب، فلا يسقط عن هذِه المرتبة.

وَالصِّدْق من صفات وأخلاق الأخيار، وقد جاء في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الَّذِي تقدَّم معنا أنه قيل لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ»، فصدوق اللسان من أفاضل النَّاس، وَالصِّدْق من صفات الأخيار.

وَأَمَّا الكذب فقد تقدَّم الكلام عليه فيما مضى من الأحاديث.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥٢٠ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(الشَّرْحُ)

هل هذَا الحديث هي أول مرة نسمعه في قراءة الكتاب؟ لا، تقدَّم معنا، والناظر منَّا لأول وهلة يتعجب ما مناسبة هذَا الحديث للتَّرْغِيْبِ في مكارم الأخلاق؟ هو تقدَّم في الرهب من مساوئ

الأخلاق، وَهذَا ظاهر، لكن ما مناسبة ذِكر الحافظ ابن حجر لهذا الحديث مرةً أخرى في التَّرْغِيْب في مكارم الأخلاق؟

✍ **أقول**: لعله -واللهُ أَعْلَمُ- أراد مفهوم المخالفة، وقد أشرنا إليه فيما تقدَّم، هنا: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ**» أي: إيَّاكم وسوء الظَّنّ، مفهوم المخالفة: الأمر بحُسن الظَّنّ بالمسلمين، وحمل المسلمين عَلَى أحسن الوجوه، ما لم يوجد ما يمنع من ذلك، من الأخلاق الكريمة والأخلاق الحسنة: أن تُحسِن الظَّنّ بالمسلمين، وأن تحمل المسلمين عَلَى أحسن الوجوه، ما لم يوجد ما يمنع من ذلك، ومن باب أولى: أن تُحسن الظَّنّ بأهلك، بأهل بيتك، أن تُحسن الظَّنّ بهم، وأن تحمل أقوالهم وأفعالهم عَلَى أحسن الوجوه، ما لم يوجد ما يمنع من ذلك، فَهذَا الَّذِي ظهر لي -واللهُ أَعْلَمُ- بِالتَّأَمُّلِ وجه ذِكر الحافظ ابن حجر للحديث في (**بَاب التَّرْغِيبِ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ**)، وقد تقدَّم الحديث في (**الرَّهَبِ مِنْ مَسَاوِئِ الْأَخْلَاقِ**).

(المتن)

قَالَ الْمُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٥٢١ - وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ**». **قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا؛ نَتَحَدَّثُ فِيهَا.**

قَالَ: «فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتُمْ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ». قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَىٰ، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(الشَّرْحُ)

(**عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ**») يعني: أحذركم الجلوس بالطرقات، وَهذِه الجملة تدل عَلَى التَّحْرِيْم، وقد قَالَ بهذا بعض أهل العلم: أنَّ النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أول الأمر حرَّم عليهم الجلوس في الطرقات.

فـ(**قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا لَنَا بُدٌّ**) طيب لماذا حرَّم عليهم الجلوس في الطرقات عَلَى هذَا، أو نهاهم عن الجلوس في الطرقات؟

✍ قالوا: لما يترتب عَلَى ذلك من التضييق عَلَى النَّاس، والأذى للنَّاسِ، وإطلاق النظر، وعدم القيام بالحقوق، لو أنَّ اَلرِّجَال وقفوا في الطريق وجلسوا في الطريق؛ فإن هذَا يضيِّق عَلَى النَّاس، المرأة لو أرادت أن تخرج ورأت اَلرِّجَال يقفون في الطريق؛ فإنها يضيق عليها الأمر، وقد لا تخرج مع حاجتها، وربما ضيقوا حَتَّى عَلَى السيارات مثلًا.

أَيْضًا فيه الأذى للنَّاسِ، إِمَّا باللسان: إذا مرَّ إنسان ربما آذوه، فأسمعوه كلمةً تؤذيه، أو بالنظر إليه، أو بغيبته، أو غير ذلك، ولعدم القيام بالحقوق، فقد يمر عليهم ويسلِّم مسلِّم ولا يردون السلام، فَحَتَّى يسلموا من هذَا؛ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ**».

(**قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا لَنَا بُدٌّ**) أي: لَا بُدَّ لنا منها، ولا نستغني عنها، طيب لماذا قَالَ الصَّحَابَة ذلك مع أن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ**»، ونحن نعلم من الصَّحَابَة أنهم يمتثلون الأمر ويجتنبون النَّهْي؟ يتمثلون الأمر، ويجتنبون إذا نُهوا، فلماذا قالوا هنا؟

بعض أهل العلم قَالَ: لأنهم فهموا أنَّ هذَا الكلام للإرشاد وليس للتَّحْرِيْم، وبعض أهل العلم قَالَ: بل هذَا التماسٌ منهم أن يُخفَّف الحكم، بسبب هذَا العذر، فـ(**قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا؛ نَتَحَدَّثُ فِيهَا**) وقديمًا كانت بيوت الصَّحَابَة صغيرة، بيت النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان صغيرًا، حَتَّى أنَّ حجرته الَّتِي ينام فيها مع عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لا تكفي لأن يصلي وهي نائمة في الغرفة، بل النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصلي، فإذا أراد أن يسجد لكزها برجله حَتَّى تكفّ رجليها حَتَّى يسجد! فكان ما عندهم إِلَّا أن يجلسوا في الطرقات ليتحدث بعضهم مع بعض.

فَقَالَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتُمْ**» يعني: فَأَمَّا إذا امتنعتم من عدم الجلوس في الطرقات؛ «**فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ**»، فدلَّ هذَا عَلَى أنَّ الكمال للمسلم: أن يجتنب الجلوس في الطرقات، فإنْ كان وَلَا بُدَّ من الجلوس؛ فإنَّ هذَا جائز بشرط أن يعطي الطريق حقه.

(**قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**غَضُّ الْبَصَرِ**») «**غَضُّ الْبَصَرِ**» يعني: خفض البصر، وعدم التحديق، وإتباع النظر للمارِّ في الطريق، «**غَضُّ الْبَصَرِ**» هو خفض البصر، وعدم التحديق في المارّ بالطريق، ويعظم الأمر إذا كان المارّ امرأة، وعدم إتباع النظر للمارِّ بالطريق.

«وَكَفُّ الْأَذَىٰ» أي: منع الأذى للمارّ، سواء بالنظر، بعض النَّاس يجلسون عَلَى الطريق وإذا مرَّ إنسان نظروا في يديه ماذا معه! وإذا كانت امرأة نظروا فيها، أو باللسان: بعض النَّاس إذا مررت بجوارهم يرمون عليك كلمة، بعض النَّاس بض الشباب -هداهم الله- إذا مررت بجوارهم مثلًا قالوا: "**يا مطوِّع!**"، أو نحو ذلك من أذى اللسان، أو تضييق الطريق؛ فإنه أذى.

«وَرَدُّ السَّلَامِ» تقدَّم معنا يا إخوة: أنَّ رد السلام واجب، وأنه يكفي عن الجماعة أن يرد عنهم واحد، وأنَّ ردهم جميعًا أفضل، فمن حق الطريق إذا مرَّ مارّ فسلَّم عليهم: أن يردوا عليه السَّلام.

«وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ» أي: الأمر بفعل الواجب لمن تركه، «وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ» أي: النَّهْي عن الحرام لمن فعله، فإذا رأوا فاعلًا للحرام نهوه، وإذا رأوا تاركًا للواجب أمروه.

زاد أبو داود في رواية: «وَإِرْشَادُ السَّبِيلِ» يعني: من حقِّ الطريق: إرشاد السبيل، وصحَّحها الألباني.

إذًا من حقِّ الطريق: لو مرَّ شخصٌ وسأل عن شيءٍ وهم يعرفون: أن يرشدوه إِلَى ما يريد، جاء شخص قَالَ: بيت فلان أين؟ وهم يعرفون بيت فلان؛ من حق الطريق: أن يرشدوه، أن يرشدوا السائل.

وفي رواية عند أبي داود: «وَتُغِيثُوا الْمَلْهُوفَ» وَأَيْضًا صححها الألباني، فعندنا أَيْضًا حق زائد، وهو: إغاثة الملهوف، أي: الَّذِي يستجير بهم من شيء، فلو كان شخصٌ جاءهم يجري ووراءه ناس يريدون ضربه، واستجار بهم؛ فمن حقه أن يجيروه، وأن يغيثوه.

وزاد ابن حِبَّان: «وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ» هذَا حق آخر، وصحَّحه الألباني، فإذا عطس عاطسٌ وهو مار، وحمد الله؛ فمن حق الطريق: أن يُشمِّت هؤلاء العاطس.

وزاد التِّرْمِذِيّ: «وَأَعِينُوا المَظْلُومَ» وصحَّحه الألباني.

فَهذِه كلها حقوقٌ للطريق: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَىٰ، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ»، وإرشاد السبيل، وإغاثة الملهوف، «وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ»، وإعانة الظلوم؛ تسعة، كلها حقوقٌ للطريق لمن جلس في الطريق، فمن جلس في الطريق؛ فَلَا بُدَّ من أن يؤدِّي هذِه الحقوق.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٥٢٢ - وَعَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا؛ يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(الشَّرْحُ)

(عَنْ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا») يعني: إذا أراد الله بعبده خيرًا؛ فإنه «يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»، ومعنى «يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» يعني: يفهمه، ويفتح له باب الفهم في الدين، وَهذَا شامل لكل الدين، هذَا الَّذِي ندرسه من الفقه في الدين، "شرح العقيدة الحموية" الَّذِي تدرسونه بعد العشاء من الفقه في الدين، فمن علامة إرادة الله عَزَّوَجَلَّ بعبده الخير: أن يسلكه في طريق فهم الدين، وأن يجعله من طلّاب العلم الَّذِينَ يسعون في فهم الدين.

ولذلك يا طالب العلم! مادام أنَّ الله أنعم عليك بأن تكون من طلاب العلم؛ فاحرِص عَلَى الإخلاص؛ فإنَّ الله أراد بك خيرًا، فلا تُرِد بنفسك سوءًا، الله أراد بك خيرًا، وعلامة هذِه الإرادة: أنه جعلك ممن يسلكون الطرق لفهم الدين؛ فلا تُرِد بنفسك الشر بعدم الإخلاص في طلب العلم، فإنَّ النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَىٰ بِهِ وَجْهُ اللهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا؛ لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» لم يجد رائحة الجَنَّة يوم القيامة، فإذا ظهر بهذه العلامة أنَّ ربك أراد بك خيرًا، فإيَّاك ثُمَّ إيَّاك أن تريد بنفسك شرًّا، فماذا أصنع؟ عليك بالإخلاص، واحمد الله، واشكر الله عَلَى هذِه النعمة.

يا إخوة! الهداية لفهم الدين ولطلب العلم؛ هذِه نعمة يختصُّ الله بها قلائل من عباده، كم أعداد النَّاس؟ ملايين من المسلمين، يقولون: مليار وثلاثمائة مليون، كم عدد طلاب العلم منهم؟ بالنسبة لهذا العدد كالشعرة البيضاء في الثور الأسود؛ إذًا إذا وجدت أنَّ الله هداك، وأنعم عليك، وجعلك من طلاب العلم؛ فاعرف عظيم نعمة الله عليك، واعلم أنَّ هذِه علامة عَلَى أنَّ الله أراد بك

الخير، فعضّ عليها بالنواجذ، وتمسَّك بها، ولا يجعلنّك قلة الرفيق تتكاسل في طلب العلم، وأخلِص لله عَزَّوَجَلَّ لتكن من المفلحين.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٥٢٣ - وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ.

(الشَّرْحُ)

وصحَّحه الألباني، وزاد التِّرْمِذِيّ: «وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ».

يقول النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ» وفي هذَا الحديث إثبات الميزان، وأنَّ الأعمال توزن يوم القيامة، فأعمال العِباد توزَن يوم القيامة، «أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ» وذلك لأنَّ حُسْن الخُلُق من أعظم الأعمال الصَّالحة، وحُسن الخُلُق هنا يا إخوة لفظٌ عام، فشمل كل خُلُقٍ حسنٍ، وحُسْن الخُلُق من الدين، ومن زاد عليك في حُسْن الخُلُق؛ زاد عليك في الدين.

ومن أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة: حُسْن الخُلُق، وَهذَا يدل عَلَى فضيلة حُسْن الخُلُق، وأنه من الأعمال الَّتِي يحبها الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه من الأعمال العظيمة الَّتِي تعظم درجتها.

ولذلك جاء في تمام الحديث: «وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ» أي: حُسْن خُلُقه، «دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ»، «صَاحِب» قَالَ العلماء: يعني: المداوم عَلَى الصوم، «وَالصَّلَاةِ» قَالَ العلماء: يعني المداوم عَلَى الصَّلَاة، أي: النَّافِلَة، فبحسن الخُلُق يبلغ الإنسان درجة كثير الصِّيَام كثير الصَّلَاة، وَهذَا تفسير لكون حُسْن الخُلُق ثقيلًا في الميزان؛ فإنه يبلغ في الفضل درجة الصائم القائم، قَالَ العلماء: "معًا"، ليس درجة الصائم، ودرجة القائم المصلي، لا، درجة الصائم والقائم معًا.

يعني: لو أنَّ رجلًا يُكثِر من الصِّيَام النَّفْل، ويُكثِر من صلاة النَّفْل؛ فإنَّ صاحب حُسْن الخُلُق يبلغ درجة هذَا، المداوم عَلَى الصِّيَام، المداوم عَلَى صلاة النَّافِلَة.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٥٢٤ - وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(الشَّرْحُ)

«الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ» شُعَبِ «الْإِيمَانِ»، والحياءُ خُلُقٌ معروفٌ، يبعث عَلَى اجتناب القبائح، ولا يمنع من الخير، الحياء هذَا الخُلُق يبعث صاحبه عَلَى أن يجتنب القبيح، لكنه لا يمنعه من الخير.

ولذلك يا إخوة! يخطئ بعض النَّاس فيحتاج إِلَى أن يسأل عالمًا عن أمرٍ لَا بُدَّ منه في الدين، فيقول: أستحي؛ هذَا ليس حياءً، الحياء لا يمنع من الخير، وَإِنَّمَا الحياء يمنع من القبيح؛ ولذلك يقول العلماء: هذَا خجل وليس حياءً، كون الإنسان مثلًا لا يسأل العالم مع حاجته؛ هذَا خجل وليس حياءً، أما الحياء فهو يحمل صاحبه عَلَى أن يجتنب القبيح، ولا يمنعه من الخير.

والحياء كُلُّه خير؛ فقد جاء في الحديث أن النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ» رواه أبو داود، وصحَّحه الألباني.

وَهذَا الحديث الَّذِي معنا له قصة؛ فقد مرَّ النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برجلين، وكان أحدهما يعظ أخاه في الحياء، كأنَّه رأى أنه من شدة حيائه أضرَّه الحياء، فكان يقول له: إنك لتستحي، إنك لتستحي، يعني: إنك تكثر الحياء، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْهُ فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ»، فدلَّ ذلك عَلَى عِظَم شأن الحياء، وأنَّ الحياء مأمور به، ولا يُنهى عنه، ولا يجلب إِلَّا خيرًا، وإن ظنَّ بعض النَّاس أنه قد يجلب شرًّا، فإنه لا يجلب إِلَّا خيرًا؛ ولذلك قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ»، ما فيه شيء مستثنى، «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ» فَهذَا يدلُّ عَلَى عِظَم شأن الحياء.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٥٢٥ - وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَىٰ: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ؛ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

(الشَّرْحُ)

هذَا الحديث صحيح في صحيح البخاري: (عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَىٰ») يعني: أنَّ هذَا قد جاء به الأنبياء السَّابِقُونَ، فهو مِمَّا اتفق عليه الأنبياء.

«إِذَا لَمْ تَسْتَحِ؛ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» ما معنى هذِه الجملة؟ قَالَ بعض أهل العلم: معناها: أنَّك إذا لم تستحِ من إظهار الشَّيْء، وكنت عَلَى فطرة سويَّة فافعله؛ لأنه جائز، يعني يقول العلماء: المؤمن وصاحب الفطرة السوية يستحي من إظهار الحرام، ويستحي من إظهار القبيح عرفًا، فإذا كنت مؤمنًا صاحب فطرة سويَّة، ولم تستحِ من إظهار الشَّيْء؛ فافعله لأنه ليس حرامًا ولا قبيحًا عرفًا.

وَقَالَ بعض أهل العلم: بل معنى هذَا: أنَّ من سقط عنه الحياء؛ فإنه لا يتورَّع عن الحرام، فإذا نزع عنه الحياء؛ تخبَّط في المحرَّمات لأنه لا يستحي من الله، ولا يستحي من النَّاس، فيفعل المحرَّمات، ويجاهر بها، وينتقل من حرامٍ إِلَى حرام -وَالعِيَاذُ باللهِ-، وَهذَا يدل عليه الواقع؛ فإنك سُبْحَانَ اللَّهِ! ترى الرجل الَّذِي لا يتصف بالحياء لا يبالي بترك الحرام، ويفعل الحرام كأنه يشرب الماء، وكذا المرأة إذا نُزع منها الحياء -وزينة المرأة: الحياء-؛ فإنك تجد أنها لا تبالي بالحرام.

ولذلك مِمَّا يقوله بعض أهل العلم من ملاحظته: إنَّ المرأة الَّتِي تكون ذات حياء، ثُمَّ تنزع حياءها؛ تكون أكثر فعلًا للقبائح من المرأة الكافرة!

ولذلك يا إخوة! المرأة المتسترة الَّتِي تذهب إِلَى الغرب مثلًا، وإذا ذهبت هناك نزعت عنها الحياء؛ تفعل من الأفعال ما لا تفعله الكافرات «إِذَا لَمْ تَسْتَحِ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»، فمن نزع عنه قناع الحياء؛ فعل ما شاء.

ولذلك يا إخوة! خُلُق الدين الإسلامي: الحياء، النَّبِيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ: الْحَيَاءُ»، قَالَ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقٌ» كل دين له خُلُق يظهر فيه، «وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ: الْحَيَاءُ» وَهذَا الحديث رواه ابن ماجه، وحسَّنه الألباني.

وَهذَا يدلنا يا إخوة عَلَى ضرورة أنْ نربي أنفسنا وأهلينا عَلَى الحياء، فإنَّ من فقد الحياء؛ فقد الخير، وفقد الوازع عن الشر، وأصبح يتقلَّب في الشر -وَالعِيَاذُ باللهِ-.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعلني وَإِيَّاكُمْ ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ولعلنا نقف هنا، ونرجع بعد صلاة المغرب إِنْ شَاءَ اللَّهُ، واللهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ

المجلس (١٠)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأتمَّان الأكملَانِ عَلَىٰ المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ؛ أَمَّا بَعْدُ:

فنواصل شرح (كتاب الجامع) من "بلوغ المرام" للحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عَزَّوَجَلَّ.

ولا زلنا نقرأ الأحاديث في (بَاب التَّرْغِيبِ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ)، فيتفضل الشيخ رفاعي وَفَّقَهُ اللهُ يقرأ لنا.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ وحده، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ من لا نبي بعده؛ وَبَعْدُ:

فقَالَ الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٥٢٦ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

(الشَّرْحُ)

هذَا الحديث الصحيح في صحيح مسلم (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المُؤْمِنُ الْقَوِيُّ») القويُّ في ماذا؟ لم يُقيَّد:

- فيدخل فيه: «المُؤْمِنُ الْقَوِيُّ» في دينه «خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ» في دينه.
- يدخل فيه: «المُؤْمِنُ الْقَوِيُّ» في جسده «خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ» في جسده.

➢ ويدخل فيه: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ» في أمانته «خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ» في أمانته، وهكذا.

«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ» وفي هذَا دلالة عَلَى أنه يُشرع للمؤمن أن يحرص عَلَى قوة جسده، فإنَّ المؤمن القوي في جسده أنفع للإسلام والمسلمين من المؤمن الضعيف في جسده، وإذا فعل الإنسان الأسباب؛ فكأنَّه حصَّل المراد، يعني: لو أن الإنسان فعل الأسباب لكي يكون قويًّا في جسده؛ فلم يحصل له هذَا؛ كأنه قد حصل، إذا فعلت ما عليك حصَّلت المقصود.

«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ» مادام أنه مؤمنٌ فالخير فيه، سواء كان ضعيفًا أو قويًّا، لكن القوي خيرٌ.

«احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ» أي: من مصلحة الدنيا والآخرة، احرص عَلَى تحصيل المصالح سواء كانت دنيوية، أو أخروية، ومعنى «احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ»: ابذل الأسباب المشروعة أو المباحة لتحصِّل المصلحة، ابذل الأسباب المشروعة حَتَّى تفوز بِالجَنَّةِ، فقد شرع الله لك أسبابًا لتنال دخول الجَنَّة بفضل الله، وَإِلَّا لن تدخل الجَنَّة بعملك، لكن عملك سببٌ لأن تنال فضل الله، فتدخل الجَنَّة، ابذل هذِه الأسباب المشروعة: افعل الفرائض، وافعل المستحبات، واترك المحرّمات، واحرص عَلَى أن تترك ما استطعت من المكروهات، وابذل الأسباب المباحة لتحصيل مصالحك في الدنيا، من شفاعة مثلًا، أو نحو ذلك.

هذَا معنى: «احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ»: افعل الأسباب؛ فإنَّ المصالح لا تُحصَّل بالتمني، ولا تُحصَّل بالقعود في البيت، وَإِنَّمَا كن كالطير، فالطير تغدو خماصًا في الصباح، وتعود بطانًا، وَالَّذِي رزقها هو الله «احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ».

«وَاسْتَعِنْ بِاللهِ» افعل الْسَّبَب، ولا تعلِّق قلبك به، وَإِنَّمَا عَلِّق قلبك بالله، واطلب العون من الله عَلَى جميع أمورك، يا إخوة! يُستعان بالله عَلَى أمور الدنيا وأمور الدين، تطلب العون من الله عَلَى مصالحك الدنيوية مع بذل الأسباب، ولكن تعلِّق قلبك بالله، تستعين بالله عَلَى أمورك الدِّيْنِيَّة، مع

بذل الأسباب، وقلبك من قبل فعل الأسباب، وأثناء فعل الأسباب، وبعد فعل الأسباب مُعلَّقٌ بالله؛ لأنَّ الأمر كله بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

إذًا المؤمن بين طرفين: طرف يفعل الأسباب ويتعلَّق بها، وطرف لا يفعل الأسباب، ويزعم أنه متوكِّل، وكلاهما أخطأ الطريق، والصواب: هو ما عليه المؤمن، وهو أنه يفعل الْسَّبَب، ويتوكَّل عَلَى الله، وقلبه مُعلَّقٌ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

«وَلَا تَعْجَزْ» إيَّاك والعجز، والعجز له صورتان:

الصورة الأولى: أن تترك الأسباب، فترك الأسباب عجزٌ، وكما يقول العلماء: ترك الأسباب جهلٌ بالشرع، وخلافٌ للعقل، الشرع أوجب علينا أن نفعل الأسباب، «احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ» هذَا فعل الْسَّبَب، والعقل يدل عَلَى ذلك؛ يا إخوة! لو أنَّ شخصًا جاء وَقَالَ: أسأل الله أن يرزقني الأولاد؛ قلنا له: تزوَّج، حَتَّى يرزقك الله الأولاد تزوَّج، قَالَ: لا، لو شاء الله أن يرزقني الأولاد سيرزقني بدون أن أتزوج! يُقال: هذَا مجنون ليس بعاقلٍ، فترك الأسباب عجزٌ وضعفٌ.

والصورة الثانية: أن يعتمد العبد عَلَى الأسباب، فَهذَا أَيْضًا عجز، الَّذِي يغترّ بنفسه وبفعله للأسباب، ويعتمد عليها؛ هذَا عاجزٌ في الحقيقة، ولا يسلم من العجز إِلَّا من فعل الْسَّبَب وتوكل عَلَى الله، وعلَّق قلبه بالله.

«وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ» مِمَّا يضرُّ ولا يسرّ، فعلت الأسباب، وأنت متوكل عَلَى الله، فخسرت، شاء الله أن تخسر، دخلت في تجارة، وفعلت الأسباب، وأنت متوكل عَلَى الله، شاء الله أن تخسر، شاء الله أن يبتليك ففقدت وظيفتك، إن أصابك شيءٌ مِمَّا يضرُّ ولا يسرّ؛ «فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا» لماذا يا إخوة؟

لأنَّ المؤمن عَلَى يقين، إذا وقع الشَّيْء أنه لو اجتمعت الإنس والجن عَلَى أن يدفعوه؛ لما استطاعوا، مادام أنه وقع؛ فأنت تعلم يقينًا أنَّ الله قد كتب أنه سيقع، ولو جمعت الجن كله والإنس كلهم، وقوة الأرض كلها؛ لما استطاعوا أن يدفعوا هذَا الشَّيْء، نحن نقول قبل الوقوع أنت لا تدري، فافعل

الأسباب، بعد الوقوع أنت متيقن أنَّ هذَا هو أمر الله عَزَّوَجَلَّ، فلا تقل: «فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا».

«وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ» أي: سَلِّم. يقول العلماء: بعد الوقوع فالمؤمن مُسَلِّمٌ لأمر الله.

«فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» مَتَى هذَا؟ قَالَ العلماء: إذا قالها عَلَى سبيل التدارك عَلَى القدر، يعني: يقول: لو أنِّي فعلت كذا وكذا؛ لرددت هذَا القدر، تفتح عمل الشيطان لأنَّ هذَا من عمل الشيطان، عدم التسليم لأمر الله الواقع هذَا من عمل الشيطان.

وكذلك إذا قالها عَلَى سبيل التَّأسُّفِ عَلَى الماضي، بعض النَّاس مثلًا إذا اشترى مثلًا سهمًا معينًا من شركة معينة، وخسرت هذِه الشركة قَالَ: أُفّ! لو أني اشتريت من سهم الشركة الفلانية كان ربحت؛ هذَا عَلَى سبيل التَّأسُّف الَّذِي وقع منه، أما إذا قالها عَلَى سبيل تمنِّي الخير، أو بيان الصواب، أو الاستفادة من الماضي؛ فَهذَا جائز.

- عَلَى سبيل تمنِّي الخير؛ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسُقِ الْهَدْيَ، وَلَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً» هذَا تمنِّي للخير، وليس استدراكًا عَلَى القدر، بل هو تسليم، وليس تأسُّفًا عَلَى الماضي، لكن تمنِّي للخير.

- كذلك لبيان الصواب؛ قدَّمت معاملة فرُفضت، فَقَالَ لك الموظف: لو أنَّك قدَّمت هذِه المعاملة عَلَى مكتب فلان؛ لما رُفضت، لكن أنت أخطأت الطريق، هنا لو يستعملها لبيان الصواب والتعليم؛ هذَا جائز، أو مثلًا يقول الإنسان: أنا خسرت هذِه المرة، طيب لو أني فعلت كذا، ولو أني فعلت كذا، ولو أني فعلت كذا، ماذا يحصل؟ فيحلِّل الماضي ليستفيد منه في المستقبل؛ هذَا جائز، وَإِنَّمَا الممنوع الَّذِي تفتح فيه «لَوْ» عمل الشيطان: أن يقول ذلك عَلَى سبيل الاستدراك عَلَى القدر، أو عَلَى سبيل التَّأسُّف والحزن عَلَى الماضي.

وَهذَا فيه بيان خُلُق المؤمنين؛ من الحرص عَلَى القوة فعل الأسباب، وَالتَّوَكُّل عَلَى الله من قبل ومن بعد، ومن عدم التَّأسُّف عَلَى الماضي.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٥٢٧ - وَعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّىٰ لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

(الشَّرْحُ)

وقد تقدَّم معنا مرارًا ذِكر التواضع، وقد ذكرنا هذَا الحديث أَيْضًا.

التواضع ضد الكبر، فالكبر هو التعالي عَلَى النَّاس، والتواضع هو التذلل للنَّاس، وليس المراد أن يصبح الإنسان ذليلًا، ولكن المراد: أن يخفض جناحه، فالتواضع ضد الكبر، والكبر هو التعالي والترفع عَلَى النَّاس، فالتواضع: ترك الترفع عَلَى النَّاس.

«**إِنَّ اللهَ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا**» وَهذَا أمر، فالتواضع في أصله وجنسه واجب، كما أنَّ الكبر حرام، «**حَتَّىٰ**» هذَا تعليل، إذا تواضعنا ماذا يكون؟ «**حَتَّىٰ لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ**» لو تواضع النَّاس؛ لانتفى البغي بينهم؛ لأنَّ البغي لا يكون إِلَّا من مترفع متكبر، فيبغي عَلَى الضعيف، أما إذا كان متواضعًا للضعيف؛ فإنه لن يبغي عليه.

«**وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ**» الفخر بالأحساب من صفة الجاهلية، ومنه في هذَا الزمان: الفخر بالجنسية، الآن بعض النَّاس يفخرون بجنسياتهم عَلَى غيرهم من النَّاس!

أن يعتزّ الإنسان ببلده؛ هذَا شيء ليس ممنوعًا شرعًا، لكن أن يفخر عَلَى النَّاس، وللأسف يا إخوة أنه في بعض البلدان يفخر بعض أهل البلد عَلَى بعض أهل البلد بنوع الجنسية، وَهذَا ليس من المشروع بين المؤمنين، أن تعتزّ بشأنك هذَا أمرٌ إليك، لكن أن تفخر عَلَى غيرك بالأحساب والأنساب والأموال، وغير ذلك؛ فَهذَا من صفات أهل الجاهلية.

- وما دواء الفخر؟

✍ التواضع، دواء الفخر بالأنساب، وبالأموال، وغير ذلك: التواضع، فمن تواضع؛ فإنه لا يبغي عَلَى أحد، ولا يفخر عَلَى أحد.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٥٢٨ - وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ بِالْغَيْبِ؛ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ.

١٥٢٩ - وَلِأَحْمَدَ، مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ نَحْوُهُ.

(الشَّرْحُ)

قَالَ: (وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ بِالْغَيْبِ؛ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ») قَالَ: (أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ)؛ قلتُ: ورواه أحمد، وصحَّحه الألباني.

قَالَ: (وَلِأَحْمَدَ، مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ نَحْوُهُ)، جاء عن أسماء بنت يزيد أنها قالت عن النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: «مَنْ ذَبَّ عَنْ لَحْمِ أَخِيهِ بِالغَيْبَةِ» أو «بِالْغِيبَةِ؛ كَانَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ» هذَا حديث أسماء الَّذِي أشار إليه الحافظ هنا.

قَالَ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ» يعني: إذا كان المسلم في مجلس فاغتاب مسلمٌ مسلمًا، فردَّ عن أخيه وعن عرضه «بِالْغَيْبِ»، «بِالْغَيْبِ» هذِه إشارة إِلَى الغِيْبَة؛ «رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وفي هذَا بيان أنَّ من أسباب النَّجَاة من النَّار: أن ينتصر المسلم لأخيه في غيبته، وأن يرد عن عرضه.

فلو أنَّ مسلمًا تكلَّم في مسلمٍ في مجلسٍ بأمرٍ ليس في أخينا، فقام واحد منَّا وَقَالَ: يا أخي اتّقِ الله، نحن نعرف الرجل، هذَا الكلام ليس فيه، مثلًا قَالَ: إنه كذَّاب، فقام أحد الإخوة وَقَالَ: يا أخي اتّقِ الله، نحن نعرف الرجل وعاملناه الرجل من أصدق النَّاس، اتّق الله، كيف تقول عليه هذَا؟

أو مثلًا: ذكره بما فيه مِمَّا لا يجوز، لأنه ذكرنا أنَّ الغيبة أحيانًا تجوز إذا كان فيها مصلحة شرعية، لكن إذا كان مِمَّا لا يجوز؛ فَقَالَ: فلان قصير ومتين كأنه كورة! وفعلًا هو هكذا في هيئته قصيرة ومتين؛ هذِه الغيبة لا تجوز بأي حال من الأحوال، فَقَالَ له: يا أخي اتّق الله، لا تذكر أخانا في غيبته؛ هذَا رد عن عرض أخيه، فهو موعود بأن يرد الله النَّار عن وجهه يوم القيامة.

وَهذَا يا إخوة فيه بيان عظيم شرف هذَا؛ قَالَ العلماء: إذا كان الإنسان في مجلس، واغتيب فيه مسلم عَلَى وجهٍ لا يجوز؛ فإنَّ له ثلاث درجات:

⇦ **الدرجة الأولىٰ**: أن يردّ عن عرض أخيه؛ وَهذِه درجة الكُمَّل من عباد الله.

⇦ **الدرجة الثانية**: أن يقوم ويخرج من المجلس؛ وَهذِه درجة المقتصدين، قام وسلم من المجلس.

⇦ **الدرجة الثالثة**: أن يبقى في المجلس ولا يرد عن عرض أخيه؛ وَهذَا عَلَى قسمين:

➢ فإن كان مُكرَهًا، ولا يستطيع أن يرد، وأنكر في قلبه؛ فَهذَا أضعف الإيمان، إن كان مُكرهًا عَلَى البقاء، لا يستطيع أن يخرج، ولا يستطيع أن يرد؛ إمَّا لضعفه، أو لأمرٍ ما في هذَا المجلس، وأنكر بقلبه؛ فَهذَا أضعف الإيمان.

➢ والقسم الْثَّانِي: ألَّا يكون مُكرهًا؛ فَهذَا يبوء بإثم المغتابين، الَّذِي يكون في مجلس الغيبة، ولا يرد عن عرض أخيه، ولا يخرج من المجلس، وليس مُكرهًا؛ فإنه يبوء بإثم المغتابين، هو مثلهم، مثل من اغتاب، ويحمل إثم الغيبة.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٥٣٠ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.**

(الشَّرْحُ)

اللَّهُ أَكْبَرُ! هذَا الحديث الصحيح المليء بالمبشرات والوعد الصادق.

(**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ**»)

الصَّدَقَة يا إخوة ما تُنقِص المال، لماذا؟

- قَالَ العلماء: أولًا: لأنَّ الله يزكِّي المال بهذا ويبارك فيه، يا إخوة ما اكتسب عبدٌ مالًا إلَّا وكان فيه شر، فإذا زكَّاه أو تصدَّق منه؛ ذهب شره، وبقي خيره، هذَا الوجه الْأَوَّل.

- قالوا أَيْضًا: لأنَّ الله يعوضه عمَّا أنفق، وَلَا شَكَّ أنَّ التعويض من الله سيكون أعظم مِمَّا أُنفق، فالله أكرم الأكرمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

يقول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث أبي الدرداء: «مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا وبِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ: اللهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَأَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا» رواه أحمد وابن حِبَّان وصحَّحه الألباني.

هذان الملكان مأموران بأمر الله، أن يدعوا بهذا الْدُّعَاء، وهو دعاءٌ مستجاب، فمن أنفق في سبيل الله؛ أخلف الله عليه.

ذُكر أنَّ أحد كبار التجار كان من المحسنين، وكان الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ لا يطلبه شيئًا، والشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ لم يطلب لنفسه قط، الشيخ ابن باز من آيات الله في هذِه الدنيا في حياته رَحِمَهُ اللَّهُ في الجود والكرم من أعجب النَّاس، فكان لا يطلب من هذَا التاجر شيئًا إِلَّا أعطاه التاجر مهما بلغ، ويقول هذَا التاجر: إنه ما أعطى الشيخ مبلغًا لله إِلَّا وعُوِّض خيرًا منه في خلال أربعة أيام؛ لأنه ينفق لله ويضع المال في موضعه في يد الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، فكان يعوَّض في تجارته أعظم مِمَّا أنفق.

فالمال لا تنقصه الصَّدَقَة، وَإِنَّمَا ينقصه الإمساك بدون صدقة «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ».

«وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا» ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، ومن أجره عَلَى الله: أنَّ الله يعزّه في الدنيا، من عفَا بعد أن تمكن من حقِّه، وكان قادرًا عَلَى أخذه؛ فعفا؛ فإنَّ أجره عَلَى الله، ومن أجره: أنَّ الله يجازيه بأن يعزّه في الدنيا، وكلما زاد عفوه؛ كلما زاد عزّه، ولذلك تلحظون: «وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ»، و«عَفْوٍ» هنا نكرة في سياق النَّفْي، فتعم كل عفو «إِلَّا عِزًّا»، ولكما زاد عفوًا؛ زاد عزًّا.

«وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ» الله، تواضع لله أي: تذلَّل لله، وزادت عبادته لله «إِلَّا رَفَعَهُ» الله، وتواضع لعباد الله من أجل الله، تواضع لله وتواضع لعباد الله من أجل الله، تواضع لعباد الله لا ليكسب الأصوات في الانتخابات، ولا لينال وظيفة، لا، تواضع لعباد الله لله؛ «إِلَّا رَفَعَهُ» الله، من تواضع لله؛ رفعه الله، من تواضع لعباد الله تقرُّبًا إِلَى الله بهذا التواضع؛ رفعه الله عَزَّوَجَلَّ، رفعه في الدنيا والآخرة، والله يرفع من شاء من عباده درجات؛ فَهذِه بشارات ووعود صادقة لَا بُدَّ منها.

ولذلك يا إخوة! من أراد زيادة المال؛ فعليه بالصَّدَقَة، ومن أراد العزَّ؛ فعليه بالعفو، ومن أراد الرفعة؛ فعليه بالتواضع.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٥٣١ - وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَّامٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ».

أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ.

(الشَّرْحُ)

ورواه ابن ماجه، والحاكم، وصحَّحه الحاكم والذهبي والألباني، أخرجه التِّرْمِذِيّ وصححه، ورواه ابن ماجه، والحاكم، وصحَّحه الحاكم والذهبي والألباني.

(**عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَّامٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**) قَالَ هذَا يا إخوة في أول مقدمه إِلَى المدينة، أول ما قدم المدينة اجتمع عليه النَّاس، فلمَّا انجفل عنه النَّاس، قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ**» و«**أَفْشُوا السَّلَامَ**» يعني: انشروه، وأظهروه، وسلِّموا عَلَى من عرفتم وعَلَى من لم تعرفوا، وقد تقدَّم الكلام عن السلام.

«**وَصِلُوا الْأَرْحَامَ**» صلوا أرحامكم، الأرحام -كَمَا تَقَدَّمَ معنا يا إخوة- هم القرابة من جهة الأب والأم، القرابة من جهة الأب أرحام، والقرابة من جهة الأم أرحام، وَأَمَّا أهل الزوجة؛ فهؤلاء لا يدخلون في الأرحام هنا، وإن كانت صلتهم من محاسن الأخلاق، يعني بعض النَّاس يسمون أهل الزوجة: الأرحام، فإذا تزوج الرجل من قوم قَالَ: أرحامي، هؤلاء لا يدخلون في الأرحام هنا، ولكن لَا شَكَّ أن صلتهم والإحسان إليهم من محاسن الأخلاق ومن حسن العشرة، ولكن المقصود بالأرحام هنا هم القرابة من جهة الأب ومن جهة الأم.

«صِلُوا الْأَرْحَامَ» قَالَ العلماء: الأرحام تختلف درجاتهم والصلة تختلف باختلاف الدرجة، صلتك لأبيك ليست كصلتك لعمك، وصلتك لعمك ليست كصلتك لابن عمك، بحسب درجاتهم تكون الصلة، فكلما عظمت القرابة؛ عظمت الصلة.

«وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ» وفي هذَا دلالة يا إخوة عَلَى أنَّ من أفضل الصدقات: إطعام الطعام، ولاسيما عند الحاجة.

«وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ» يعني: قوموا اَللَّيْل، وأحسن القيام عندما يغفل النَّاس، والعبادة وقت الغفلة وفي أماكن الغفلة أعظم أجرًا من العبادة في غيرها، انتبهوا يا إخوة لهذِه القضية! إذا كنت في مكان رأيت النَّاس فيه غافلين؛ فاجتهد في عبادة ولو بذِكر الله؛ لأنَّ أجر العبادة هنا أعظم، إذا كنت في زمان فيه غفلة؛ فاجتهد في العبادة.

ولذلك النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ»، «الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ» يعني: في وقت القتل، يعني: في زمن الفتن، أجر هذِه العبادة كأجر الهجرة إِلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لماذا؟ قَالَ العلماء: لأنَّ النَّاس في وقت الفتن تغفل، ممكن يصير حدث في بلد من البدان، يتجمع النَّاس ويبحثون وينظرون، يغفلون عن العبادة، فإذا اشتغل الإنسان بقراءة القرآن؛ عَظُم أجره.

هنا يقول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ» فأحسن قيام اَللَّيْل: ما كان وقت نوم النَّاس، وهو في آخر اَللَّيْل، في الثلث الأخير من اَللَّيْل؛ لأنه يجمع أمرين يعظم بهما القيام:

- **الأمر اَلْأَوَّل**: أنه وقت غفلة.
- **والأمر الْثَّانِي**: أنه وقت تنزُّل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى السماء الدنيا نزولًا يليق بجلاله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

«تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ» أي: تدخلوا الجَنَّة بغير سَبْق عذاب، فَهذِه الخصال يا إخوة من أسباب النَّجَاة من النَّار، ودخول الجَنَّة بغير عذاب.

✍ **وَالظَّاهِر**: أنَّ المراد اجتماعها، فيحرص المسلم عَلَى إفشاء السلام، وعَلَى صلة الأرحام، وعَلَى إطعام الطعام، وعَلَى صلاة اَللَّيْل في آخر اَللَّيْل، فإذا جمع هذِه؛ فإنه موعود بأن ينجو من النَّار، ويدخل الجَنَّة بغير عذابٍ سابق.

قَالَ العلماء: ويُفهم من هذَا: أنَّ من حرص عَلَى هذِه الخصال؛ وفَّقه الله إِلَى الاستقامة، من حرص عَلَى هذِه الخصال؛ كمَّله الله، فوفَّقه الله إِلَى الاستقامة، حَتَّى يكون من أهل هذَا الشرف العظيم، وهو دخول الجَنَّة بغير دخول للنَّارِ قبلها، نسأل الله أن نكون جميعًا من هؤلاء.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٥٣٢ - وَعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: قَالَ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«الدِّينُ النَّصِيحَةُ» ثَلَاثًا. قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.**

(الشَّرْحُ)

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ، الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» وَهذَا -كما تلحظون يا إخوة- أسلوب حصرٍ، فحصر النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدينَ في النَّصِيْحَة.

- ✓ وَالنَّصِيْحَة هي الأمر الخالص، فَالنَّصِيْحَة لله هي: الإيمان بالله، والإخلاص له.
- ✓ وَالنَّصِيْحَة لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي الإيمان به، وتجريد المتابعة له.
- ✓ وَالنَّصِيْحَة لأئمة المسلمين: الْدُّعَاء لهم، والسَّمع لهم في غير معصية، وَالثَّنَاء عليهم بما فيهم، وعدم مدحهم بما ليس فيهم، وإرادة الخير لهم، ودلالتهم عليه بالطرق المشروعة.

- كيف تكون نصيحتنا لولاة أمر المسلمين؟

✍ تكون بِالْدُّعَاءِ لهم، فمن دعا عَلَى ولاة الأمر؛ فقد غشَّ ولاة الأمر وغشَّ الرعية؛ لأنَّ صلاح ولاة الأمر يعود عَلَى النَّاس، فمن النُّصح لهم: الْدُّعَاء لهم، والسَّمع لهم في غير معصية، إذا أمروا بالمعصية؛ فلا سمع ولا طاعة في المعصية، وما عدا ذلك؛ فالواجب: أن يُسمع لهم ويُطاع، وَالثَّنَاء عليهم بما فيهم؛ لأنَّ الموفَّق النَّاصح يحبُّ أن يقع الحب بين الراعي والرعيَّة، الغشَّاش يكيد ليفرّق بين الراعي والرعية، أما المؤمن النَّاصح فإنه يفرح ويحرص عَلَى أنْ يكون الحب بين الراعي والرعية واقعًا؛ ولذلك يُثني عَلَى الراعي بما فيه، وعدم مدحهم بما ليس فيهم؛ هذَا منهج السَّلَف.

ليس من منهج السَّلَف أن يُمدح الحاكم بما ليس فيه، بل مدح الحاكم بما ليس فيه يغرّه هو ويبغض النَّاس في الحاكم والمادح؛ ولذلك يا إخوة منهج السَّلَف موزون، يُثنى عَلَى ولي الأمر بما فيه، ولا يُمدح بما ليس فيه.

✍ أقول: من النَّصِيْحَة لولي الأمر المسلم: أن تريد له الخير، وأن تدله عليه بالطرق المشروعة، لا عَلَى المنابر وقنوات التليفزيون، وَإِنَّمَا بالنصح الشرعي بما يحفظ له مقامه، ولا يُذهب هيبته أمام النَّاس.

- وَأَمَّا النُّصح لعامَّة المسلمين؛ فهو بإرادة الخير لهم، ودلالتهم عليه، وأن تحب لهم ما تحبُّ لنفسك، كيف أكون ناصحًا لعوام المسلمين؟

✍ أن أريد لهم الخير، وأن أدلهم عَلَى الخير، وأن أحب لهم ما أحبُّ لنفسي.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٥٣٣ - وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ: تَقْوىٰ اللهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ.**

(الشَّرْحُ)

هذَا الحديث أخرجه التِّرْمِذِيّ، وابن ماجه، والحاكم وصححه، وحسنه الألباني.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ: تَقْوىٰ اللهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ**».

«**تَقْوَىٰ اللهِ**» -كَمَا تَقَدَّمَ-: أن تعمل بطاعة الله، عَلَى نورٍ من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، عَلَى نورٍ من الله، تخاف عذاب الله، فمن اتقى الله وحَسُنت أخلاقه؛ كان من أهل الجَنَّة.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٥٣٤ - وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّكُمْ لَا تَسَعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ لِيَسَعْهُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ». أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَىٰ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ.**

(الشَّرْحُ)

هذَا الحديث العظيم أخرجه أبو يعلى والبزَّار، والحاكم، وصحَّحه الحاكم، وحسنه الألباني.

يقول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبيِّنًا حقيقة بيِّنَة: «إِنَّكُمْ لَا تَسَعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ» يعني: لن تستطيعوا أن تسعوا النَّاس بأموالكم؛ لأنَّ المال قليل، مهما كان في يد الإنسان فهو قليل، لن تستطيع أن تبذله لعموم النَّاس، ولأنَّ النَّاس لا يقنعهم من المال شيء، المتسول الَّذِي يتسوَّل لو أعطيته ريالًا نظر هكذا باشمئزاز، الإنسان من طبيعته أنَّه لا يقنع من المال بشيء، وكلما أُعطي شيئًا تمنَّى شيئًا آخر، فلن تستطيع أن تسع النَّاس بمالك مهما حرصت.

«وَلَكِنْ لِيَسَعْهُمْ» منكم «بَسْطُ الْوَجْهِ» وَهذَا الرصيد الَّذِي لا ينفذ، «بَسْطُ الْوَجْهِ» هو بشاشة الوجه، أن تكون بشوشًا مع النَّاس، مبتسمًا -كَمَا تَقَدَّمَ معنا-، هذَا لا يكلِّف شيئًا، وله أثرٌ عظيم في قلوب النَّاس.

«وَحُسْنُ الْخُلُقِ» يعني: الَّذِي يُرضي النَّاس في الحقيقة بشاشة الإنسان، وأن يعاملهم بحُسن خُلُق، وَهذَا فيه توجيهٌ عظيم لكيفية المعاملة مع النَّاس؛ ولذلك إذا أردت أن يلين لك أهل بيتك، وأن يطيعك أهل بيتك؛ فألِن وجهك، وابسط وجهك، وعاملهم بحسن الخُلُق، ووسِّع عليهم في المباح ليطيعوك إذا أمرتهم أو نهيتهم، وسِّع عليهم في المباح في غير معصية الله، وَهذَا من حُسْن الخُلُق؛ لأنَّك إذا وسّعت عليهم في المباح، إذا أمرتهم؛ فإنهم يطيعون، وإذا نهيتهم؛ فإنهم ينتهون، ومن تأمَّل معاملة النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهل بيته؛ وجد هذَا.

النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يحب إدخال السرور عَلَى أهله؛ ولذلك لمَّا سُئل: من أحبُّ النَّاس إليك؟ قَالَ: «عائشة»، قيل: فمن اَلرِّجَال؟ قَالَ: «أبوها»، ما قَالَ: أبو بكر، قَالَ: «أبوها»؛ ليدخل السرور عَلَى قلبها، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا رآها تشرب من الإناء، وهي حائض؛ يأخذ الإناء من يدها ويضع فمه عَلَى الموضع الَّذِي شربت منه، وكان يسابقها، يخرج مع الجيش لأن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما خرج في سفر إلَّا لعمرة أو حج أو غزو.

وَهذِه القصة وقعت في غزو، فيقول لأصحابه: «تقدموا، تقدموا» فيتقدمون جميعًا، ويبقى هو مع عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ويقول: «يا عائشة! تعالي أسابقك»، هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قريب من الستين، ويسابقها،

فكانت صغيرة خفيفة فسبقته، بعد سنين، بعد سنوات يخرج مع جيش ويقول لهم: «**تقدموا**»، ويقول: «**يا عائشة! تعالي أسابقك**»، ويسابقها فيسبقها، ويقول لها: «**يا عائشة! هذِه بتلك**».

صلى يومًا بأصحابه فسجد سجدةً أطال فيها، حَتَّى أنَّ أحد الصَّحَابَة رفع رأسه، خاف عَلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرأى الحسن أو الحسين قد ارتحل ظهر النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلمَّا سلَّم النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قد صنعت في سجدتك اليوم شيئًا لم تصنع قبل، حَتَّى خشينا أن يكون حدث شيء أو يوحى إليك، قَالَ: كل هذَا لم يكن، «**ولكن ابني هذَا قد ارتحلني، فخشيت أن أعجله قبل أن يقضي حاجته**»، يا إخواني يصلي بِالنَّاسِ، ما هو يصلي في البيت، يصلي بِالنَّاسِ وهو النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! لما ارتحله الحسن أو الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ما أراد أن يعجلهما، بقي ساجدًا حَتَّى نزل بنفسه.

اليوم الخلل الَّذِي في البيوت لأنَّا لا نعمل بهذه القاعدة، فيه بُعْد، الأب بعيد عن أبنائه، صعب، ما يعاملهم بحسن الخُلُق، إذا أردت أن يلين لك أهل بيتك؛ فعليك ببسط الوجه، وحُسن الخُلُق، والتوسعة في المباح.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٥٣٥ - وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

(الشَّرْحُ)

وحسنه الألباني والشيخ شعيب الأرناؤوط، فالحديث حسن.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ**»، يعني: أنَّ المؤمن للمؤمن كالمرآة، تبصره بعيوبه ولا تخبر النَّاس بعيوبه، الإنسان إذا نظر في المرآة، لو كان في وجهه شيء رآه في المرأة وغسله، فإذا خرج إِلَى النَّاس ما يرون عيبه، كذلك المؤمن.

انظروا يا إخوة إِلَى دقة التشبيه، المؤمن لأخيه المؤمن يبصره بعيبه، إذا رأى عليه عيبًا بصره، ولا يفضحه، ولا يخبر النَّاس عن عيوبه، فهو وقايةٌ له من العيوب، ومن اطلاع النَّاس عَلَى عيوبه، وَهذَا خُلُق المؤمن، ينصح ولا يفضح، فإذا رأى عَلَى أخيه عيبًا؛ نصحه، ولم يفضحه، فكان كالمرآة، والمؤمن مع أخيه المؤمن كحاله مع المرآة، إذا نظر في المرآة فنظر عيبًا؛ فإنه لا يتركه بل يزيله، كذلك إذا أخبره أخوه المؤمن بعيبٍ فيه؛ فإنه لا يكابر، وَإِنَّمَا يتخلَّص من عيبه.

ومن جميل التشبيه الَّذِي يُشبِه هذَا: قول شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: "**المؤمن للمؤمن كاليد لأختها، تغسل إحداهما الأخرىٰ، وقد يحتاج إزالة الوسخ إِلَىٰ شيءٍ من الفرك**"، "**المؤمن للمؤمن كاليد لأختها**" اليد لوحدها لا يمكن أن تغسل نفسها غسلًا نقيًّا، تحتاج إِلَى أختها، "**وقد يحتاج إزالة الوسخ أحيانًا إِلَىٰ شيءٍ من الفرك**" يعني أحيانًا الإنسان يزيل الوسخ عن أخيه أحيانًا يحتاج أن يعنِّف عليه قليلًا أو شيئًا، وكل شيءٍ يوضَع في موضعه.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٥٣٦ - وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«المُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ». أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، وَهُوَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ: إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُسَمِّ الصَّحَابِيَّ.**

(الشَّرْحُ)

قَالَ التِّرْمِذِيّ: "**عن شيخٍ من أصحاب النَّبِيّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، ثُمَّ قَالَ: "**وكان شعبة يرىٰ أنه ابن عمر**"، وابن عمر هو راوي الحديث، فَالتِّرْمِذِيّ لم يسمِّه في السند، لكن بعد أن روى الحديث قَالَ: "**وكان شعبة يرىٰ أنَّه**" أي: أنَّ هذَا الشيخ هو "**ابن عمر** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا"، والحديث صحَّحه الألباني.

اتفق العلماء عَلَى أنه يجوز للمسلم المؤمن أن يخالط النَّاس من غير فعلٍ لحرام، وأن يعتزل النَّاس من غير تركٍ لواجب، الخُلطة من غير فعل الحرام جائزة، والعُزلة وأنَّ الإنسان يقلِّل من احتكاكه

بِالنَّاسِ من غير تركٍ لواجب، كصلاة الجماعة؛ جائزة، واختلفوا في الأفضل، وَهذَا الحديث فصلٌ في المسألة:

«الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ» يعني: يخالطهم من غير حرام، «وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ» **هنا فائدة يا إخوة وهي**: أنَّك إذا خالطت النَّاس لَا بُدَّ من الأذى، لا تحسبن أنك تخالط النَّاس ولا يصيبك أذى، من طبيعة اجتماع النَّاس: أن يحصل بينهم شيء من الأذى، ولو باللسان؛ ولذلك قَالَ: «وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ»، وكما يُقال: "**من لا صَبْر له؛ لا صديق له**"؛ لأنَّك ما دمت تحتك بِالنَّاسِ؛ لَا بُدَّ م وقوع شيء، فإذا لم تكن صبورًا؛ فلن تبقي صديقًا.

«الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ» أي: يعتزل النَّاس «وَلَا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ»، بعض النَّاس يعتزل النَّاس، ومع ذلك إذا جاءه أذى لا يصبر، فالخُلطة من غير حرامٍ مع الصَّبْر أفضل من العُزلة، وكما قَالَ العلماء: للخلطة مفاسد، وللعزلة مفاسد، لكنَّ الخُلطة مع الصَّبْر عَلَى الأذى أقل مفسدة وأعظم مصلحة.

(المتن)

قَالَ المُؤَلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

١٥٣٧ - وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ حَسَّنْتَ خَلْقِي، فَحَسِّنْ خُلُقِي**». **رَوَاهُ أَحْمَدُ وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ.**

(الشَّرْحُ)

وصحَّحه الألباني، وقد تقدَّم معنا هذَا الحديث، وتقدَّم تقرير: أنَّ نَبِيَّنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يستعيذ بالله من سوء الخُلُق، ويسأل الله حُسْن الخُلُق.

فَالنَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «اللَّهُمَّ أَحْسَنْتَ خَلْقِي» فالله خلق الإنسان في أحسن تقويم، «فَحَسِّنْ خُلُقِي» وتقدّم أنَّ من دعاء النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ»، فكان النَّبِيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأل الله أن يجنبه سوء الخُلُق، وأن يرزقه حُسن الخُلُق، وتقدَّم معنا

في (**بَاب الرَّهَبِ مِنْ مَسَاوِئِ الْأَخْلَاقِ**): أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يسأل الله أن يجنبه مساوئ الأخلاق.

وهنا في (**بَابِ حُسْنِ الخُلُقِ**) ذَكَرَ الحافظ دعاء النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن يرزقه الله حُسْن الخُلُق، فمن السُّنَّة: أن نسأل الله أن يرزقنا حُسْن الخُلُق.

أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقني وَإِيَّاكُمْ حُسْن الخُلُق، وأن يجعلني وَإِيَّاكُمْ من عبده الصَّالِحِيْنَ المُصلِحين، ولعلنا نقف هنا، وغدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ نُتِم (**كِتاب الجَامِعِ**) وكتاب "**بلوغ المرام**" بشرح (**بَاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ**)، واللهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ

فهرس المجالس

المجلس (١) ٢
المجلس (٢) ٢٨
المجلس (٣) ٤٦
المجلس (٤) ٦٨
المجلس (٥) ٨٨
المجلس (٦) ١٠٧
المجلس (٧) ١٢٦
المجلس (٨) ١٤٦
المجلس (٩) ١٦٦
المجلس (١٠) ١٨٨
فهرس المجالس ٢٠٥

شَرْحُ

بُلُوغِ المَرَامِ

مِنْ

أَدِلَّةِ الأَحْكَامِ

تصنيف

الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني

٧٧٣-٨٥٢هـ

لفضيلة الشيخ الدُّكْتُورِ

سليمان بن سليم الله الرحيلي

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المجلس (١١)

الْسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْصَّلَاةُ وَالْسَّلَامُ الأتمانِ الأكملانِ علىٰ المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ أَجْمَعِين.

أَمَّا بَعْدُ:

فمعاشر الفضلاء؛ فنواصل شرحنا لكتاب [الجامع من بلوغ المرام] للحافظ ابن حجر -رحمه الله عزَّ وجلَّ-. فيتفضل الشيخ رفاعي -وفقه الله- يقرأ لنا.

(المتن)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، **وبعد: قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-:** بَابُ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ.

(الشرح)

(بَابُ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ):

أما الذكر فهو: الثناء على الله -عزَّ وجلَّ-، والصلاة والسلام على رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والعلماء يقولون: إن الذكر أربع درجات:

الدرجة الأولى: ذكر الله بالقلب واللسان؛ بحيث يجري العبد الذكر على لسانه مع مطابقة قلبه، وهذا هو المأمور به، وهو أرفع الدرجات.

والدرجة الثانية: ذكر الله بالقلب فقط؛ بحيث يمر العبد ذكر الله على قلبه، فهذا إن كان مع العجز عن النطق إما لمانع أصلي أو لمانع عارض.

إما لمانع أصلي: إنسان لا يستطيع أن يتكلم أصلًا.

أو لمانع عارض: الإنسان في مكان لا يستطيع أن يتكلم بالذكر أو في حال لا يستطيع أن يتكلم بالذكر.

فإنه في هذه الحالة يكون كالدرجة الأولى.

وإن كان مع القدرة على الكلام فهو ترك للأفضل.

والدرجة الثالثة: ذكر الله باللسان فقط، مع غفلة القلب، مثل ما يفعله كثير من الناس -مثلًا- في التسبيح بعد الصلاة، يقول: سبحان الله، سبحان الله، وهو غافل بقلبه، وإنما الذاكر هو اللسان فقط، وهذا فيه أجر، لكنه دون ما تقدم.

والدرجة الرابعة: عدم الأمرين، لا يذكر بلسانه ولا بقلبه، وهذا هو المحروم -والعياذ بالله-، نعوذ بالله من الحرمان.

يقول العلماء: ويكمل الذكر إذا تطابق القلب واللسان مع فهم المعنى.

أي: القلب شاعر بهذا الذكر، واللسان ذاكر، والذاكر يفهم معنى ما يقول، فهذا أكمل الدرجات والأحوال في ذكر الله -عزَّ وجلَّ-.

وأما الدعاء: فالدعاء هو الطلب والسؤال.

وهو نوعان:

دعاء المسألة، وهو: أن يسأل العبد ربه حاجته في الدنيا والآخرة، وهذا هو المراد هنا.

ودعاء العبادة، وهو: كل عبادة يفعلها الإنسان.

كل عبادة يفعلها الإنسان فهي دعاء عبادة؛ إذا صليت فهذا دعاء عبادة، إذا صمت يوم عاشوراء فهذا دعاء عبادة، إذا تصدقت فهذا دعاءعبادة.

قال العلماء: ودعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة؛ لأنك إذا صليت فأنت تريد من الله أن يقبل منك الصلاة، إذا صمت فأنت تسأل الله أن يقبل منك الصوم.

ودعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة؛ لأن دعاء المسألة عبادة، الله أمرك أن تدعوه، ووعدك بالإجابة، فهو عبادة -كما سيأتي عن شاءالله عزَّ وجلَّ-.

(المتن)

قال -رحمه الله-: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ». أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ تَعْلِيقًا.

(الشرح)

ورواه أحمد وابن حبان، وصححه الألباني.

الله -عزَّ وجلَّ- يكون مع عبادة، **ومعية الله لعباده نوعان:**

معيــة عامــة: لجميع العباد، وذلك بسمعه وبصره، وإحاطته، ومراقبته، فالله يرى كل عبد، ويسمع كلام كل عبد، ويراقب عباده، وعلمه محيط بعباده. وهذه معية عامة لكل العباد.

ومعية خاصة، وهي: معية الله -عزَّ وجلَّ- لعباده المقربين بحفظه، ونصره، وإعانته، وإجابته للدعاء، فهذه معية خاصة.

الله -عزَّ وجلَّ- عالٍ فوق سماواته، مستوٍ على عرشه، وهو مع عباده -سبحانه وتعالى-.

والمعية الخاصة إنما هي للخلَّص من عباد الله -عزَّ وجلَّ-، وهي -أيضًا- تتفاوت، فالله مع المتقين، ثم معيته مع المتقين تتفاوت، كلما عظمت التقوى، كلما كانت معية الله مع العبد أعظم.

ولذلك جاء في هذا المقام: («يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي»):

فالعبد الذي يذكر الله بالذكر المشروع، أما الذي يذكر الله بما لم يشرع فهذا لم يذكر الله حقيقة، هذا أطاع الشيطان، الذي يذكر الله بلفظ هو، هذا ما ذكر الله، هذا مطيع للشيطان، الذي يذكر الله وهو يرقص هذا ما ذكر الله، هذا مطيع للشيطان، فلا يدخل في هذا الفضل العظيم.

وإنما الذي يدخل في هذا الفضل العظيم: الذي يذكر الله الذكر المشروع على الهيئة المسروعة.

(**أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي**): فالله معه ينصره ويحفظه، ويعينه، ويهديه.

(**وَتَحَرَّكَتْ بِي**)، أي: تحركت باسمي، (**شَفَتَاهُ**»).

وهـذا فيـه: أن الذاكر لله فالله يحفظه، وينصره، ويعينه، وييسر عليه المشاق، ويرزقه الأمن والطمأنينة، ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[الرعد:٢٨].

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ عَمَلًا أَنْجَىٰ لَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ». أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَالطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

(الشرح)

وأخرجه الإمام أحمد، وأخرجه الطبراني في [الأوسط] عن جابر -رضي الله عنه-، وحسنه الألباني.

وهذا الحديث فيه فضيل الذكر، وأن ذكر الله ثقيل في الميزان، **وهـذا معـنى:** النجاة من عذاب الله.

(«مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ عَمَلًا أَنْجَىٰ لَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ»)، لأن ذكر الله ثقيل في الميزان، والأعمال توزن يوم القيامة، فمن رجحت كفة حسناته على كفة سيئاته نجى. وذاكر الله ذكرًا مشروعًا تكون كفة حسناته ثقيلة، كما سيأتينا في عدد من النصوص.

فهذا وجه كون ذكر الله -عزَّ وجلَّ- أنجى للعبد من عذاب الله يوم القيامة من غيره من الأعمال. وفي هذا: فضيلة ذكر الله، وكثرة ذكر الله.

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

(الشرح)

(**وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا**): في أي **مجلس**؟ في المسجد، في البيت.

(يَذْكُرُونَ اللهَ): الذكر المشروع وعلىٰ الهيئة المشروعة،لايبتدعون بدعة، وإنما يذكرون الله الذكر المشروع، وعلىٰ الهيئة المشروعة، فلا يدخل في ذلك الذين يجتمعون في المساجد أو في غيرها علىٰ الذكرالبدعي، كالذكرالجماعي ونحو ذلك، فإن احتجاج أهل البدع بهذا الحديث لقلة فهمهم، وقلة علمهم.

وإنما هذا الحديث في النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصحبه، ومن تشبه بهم، فكان سائرًا علىٰ طريقتهم في ذكر الله -عزَّ وجلَّ-.

(«مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ)، أي: إلا أحاطت بهم الملائكة من جميع الجهات، وركب بعضهم بعضًا حتىٰ بلوغ السماء الدنيا.

إذا جلس قوم يذكرون الله في مجلس ومن ذكر الله: العلم، وطلب العلم، فإن الملائكة تحيطهم من جميع الجهات، ويركب بعضهم بعضًا حتىٰ يبلغ السماء الدنيا.

وقد جاء في البخاري عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فإذا وجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنادَوْا: هَلُمُّوا إلىٰ حاجَتِكُمْ قالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بأَجْنِحَتِهِمْ إلىٰ السَّماءِ الدُّنْيا، قالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ -وهو أعْلَمُ منهمْ- ما يَقولُ عِبادِي؟ قالوا: يَقولونَ: يُسَبِّحُونَكَ ويُكَبِّرُونَكَ، ويَحْمَدُونَكَ ويُمَجِّدُونَكَ، قالَ: فيَقولُ: هلْ رَأَوْنِي؟ قالَ: فيَقولونَ: لا واللهِ ما رَأَوْكَ، قالَ: فيَقولُ: وكيفَ لو رَأَوْنِي؟ قالَ: يقولونَ: لو رَأَوْكَ كانُوا أشَدَّ لكَ عِبادَةً، وأَشَدَّ لكَ تَمْجِيدًا وتَحْمِيدًا، وأَكْثَرَ لكَ تَسْبِيحًا، قالَ: يقولُ: فَما يَسْأَلُونِي؟ قالَ: يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ، قالَ: يقولُ: وهلْ رَأَوْها؟ قالَ: يقولونَ: لا واللهِ يا رَبِّ ما رَأَوْها، قالَ: يقولُ: فَكيفَ لو أنَّهُمْ رَأَوْها؟ قالَ: يقولونَ: لو أنَّهُمْ رَأَوْها كانُوا أشَدَّ عليها حِرْصًا، وأَشَدَّ لها طَلَبًا، وأَعْظَمَ فيها رَغْبَةً، قالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قالَ: يقولونَ: مِنَ النَّارِ قالَ: يقولُ: وهلْ رَأَوْها؟ قالَ: يقولونَ: لا واللهِ يا رَبِّ ما رَأَوْها، قالَ: يقولُ: فَكيفَ لو رَأَوْها؟ قالَ: يقولونَ: لو رَأَوْها كانُوا أشَدَّ مِنْها فِرارًا، وأَشَدَّ لها مَخافَةً، قالَ: فيَقولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أنِّي قدْ غَفَرْتُ لهمْ، قالَ: يقولُ مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ: فيهم فُلانٌ ليسَ منهمْ، إنَّما جاءَ لِحاجَةٍ، قالَ: هُمُ الجُلَساءُ لا يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

فقد جاءفيه أنه يسبحون الله، ويكبرونه، ويحمدونه، ويمجدونه، ويسألونه الجنة، ويعوذون به من النار.

هذه ذكرهم: يسبحون الله، ويكبرونه، ويحمدونه، ويمجدونه، ويسألون الله الجنة، ويعوذون به من النار، فهؤلاء هم أهل الذكر، وتحفهم الملائكة.

(وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ)، أي: جللتهم الرحمة، فكأنهم انغمسوا فيها انغماسًا. **ومعنى ذلك**: أن الرحمة تشملهم جميعًا.

(وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))، الله -عزَّ وجلَّ- يذكر من ذكره، ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[البقرة:١٥٢]، وإذا ذكر العبد ربه في ملأ ذكره الله في ملأ خير منه، فهنا هؤلاء القوم في مجلس يذكرون الله في ملأ، فيذكرهم الله -عزَّ وجلَّ- في الملأ الأعلى، بمعنى: أن الله يثني عليهم في الملأ الأعلى.

ومن أنت يا عبد الله حتى يذكرك الله؟! وإنك لتعجب كيف أن المسلم يعلم أنه إذا ذكر الله ذكره الله، ويمل من ذكر الله.

كم عندنا من الوقت، الآن الإنسان يخرج بسيارته، وقد يقضي نصف ساعة أو ساعة حتى يصل إلى مقصده، ينظرفي الأشجار، وينظر في الأحجار، وينظر في المباني، وربما قلَّب في المذياع، كم يفوته من الخير لو أنه وهو سائرفي سيارته يقول:سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، وهو يذكر والله يذكره في الملأ الأعلى، والله يحفظه. فنسأل الله أن يرزقنا ذكره.

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَعَنْهُ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ.

(الشرح)

ورواه أحمد والحاكم، وصححه الحاكم والألباني.

وانظروا! فقه الحافظ ابن حجر حيث ذكر في الحديث السابق مجالس الذكر، وما فيها من الفضل، والأجر، والثواب العظيم، ثم أعقب ذلك بذكر مجالس الغفلة، وما فيها من الحسرة –عياذًا بالله من الغفلة–.

(وَعَنْهُ –رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا)، أي: مجلسًا.

(لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ)، أي: ما جلس قوم مجلسًا قط، فتفرقوا منه بدون أن يذكروا الله، أو يصلوا علىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»)، أي: إلا تأسفوا، وحزنوا على هذا المقعد، على تفريطهم في ذلك المجلس.

وذلك أن المانع من ذكر الله في المجلس أحد أمرين:

إما الغفلة، وذلك إذا كان المجلس مباحًا ليس فيه حرام، يتحدث الناس في أمور مباحة، فالذي جعلهم لا يذكرون الله هو الغفلة، فيندمون يوم القيامة ويتأسفون أسفًا شديدًا إذا رأوا ثواب الذاكرين، وكيف أنهم فرطوا في هذا الثواب في ذلك المجلس.

وإما أن يكون المانع أن المجلس مجلس حرام؛ إما مجلس غيبة ولا كذب، ولا شرب خمر –والعياذ بالله– أو نحو ذلك، مجلس حرام، **فيتأسفون يوم القيامة ويحزنون حزنًا شديدًا على مجلسهم ذلك من وجهين:**

الوجه الأول: إذا رأوا عقوبة الحرام، ورأوا جهنم وشدتها، فيتأسفون أنهم جلسوا في ذلك المجلس على الحرام.

والوجه الثاني: يتأسفون على فوات ذكر الله عليهم، وأنه فاتهم ثواب الذكر، **فتجتمع عليهم المصيبتان:**

- عقوبة الحرام.
- وفوات ثواب الذكر.

فهذا الحديث فيه: بيان أنه لا ينبغي لمسلم أن يجلس مجلسًا قط لا في بيته ولا في مسجده ولا في مدرسته إلا ويذكر الله –عزَّ وجلَّ–، ولا ينبغي أن يخلي مقعدًا له في أي مكان من ذكر الله والصلاة والسلام على رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(الشرح)

هذا الحديث بهذا اللفظ وهذا الثواب لم أره في البخاري مع تطلبي له، وإنما الذي في البخاري: «مَنْ قَالَ عَشْرًا فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَ رَقَبَةً»، ولكن هذا اللفظ في مسلم، وفيه نقص -أيضًا- هنا.

فالذي في صحيح مسلم: «مَن قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهو علَىٰ كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مِرَاتٍ كانَ كَمَن أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِن وَلَدِ إسْمَاعِيلَ».

(«مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»):

(لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ): لا معبود بحق إلا الله -سبحانه وتعالىٰ-.

(وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ): هذا تأكيد لمعنىٰ لا إله إلا الله، فهو إثبات الوحدانية، ونفي للشرك، له الملك المطلق، وله الحمد فهو المحمود علىٰ كل حال بجميع أنواع المحامد المطلقة.

«وَهو علَىٰ كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ»، فلا يعجزه شيء -سبحانه وتعالى-.

من قالها عشر مرات في يومه -وهذه مطلقة لم تقيد لا بصباح ولا بمساء-، من قال عشر مرات في يومه: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير كان ثوابه كثواب من أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل.

أي: كثواب من أعتق أربعة رقاب من أغلى الرقاب وأنفسها.

وعتق الرقبة الغالية النفسية محبوب عند الله -عزَّ وجلَّ-، ومن أعتق رقبة أُعتِق بها من النار.

من أعتق رقبة واحدة أعتق بها من النار، فكيف بعتق أربعة رقاب؟!

اليوم لا توجد رقاب مملوكة نستطيع أن نعتقها، لكن الله عوضنا، وجعل لنا عملًا فيه ثواب العتق، ألا وهو هذا الذكر العظيم.

كل يوم حرص الواحد منا أن يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. فيكون ثوابه كثواب من أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل.

ويعظُم هذا الذكر في الصباح والمساء، فقد جاء عند أحمد: أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَن قال حين يُصبِحُ: لا إلهَ إلَّا اللهُ، وَحْدَه لا شَريكَ له، له المُلكُ وله الحَمدُ، يُحيي ويُميتُ، وهو علىٰ كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ، عَشْرَ مرَّاتٍ؛ كَتَبَ اللهُ له بكُلِّ واحدةٍ قالها عَشْرَ حَسَناتٍ، وحَطَّ اللهُ عنه بها عَشْرَ سيِّئاتٍ، ورَفَعَه اللهُ بها عَشْرَ دَرَجاتٍ، وكُنَّ له كعَشْرِ رقابٍ، وكُنَّ له مَسلَحةً مِن أوَّلِ النَّهارِ إلىٰ آخِرِه، ولم يَعمَلْ يومَئذٍ عَمَلًا يَقهَرُهُنَّ، فإنْ قال حين يُمْسي، فمِثلُ ذلك».

أي: إذا قلت هذا بعد صلاة الصبح: لا إلهَ إلَّا اللهُ، وَحْدَه لا شَريكَ له، له المُلكُ وله الحَمدُ، يُحيي ويُميتُ، وهو على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ؛ كتب الله لك عشر حسنات، ومحى عنك عشر خطيئات من الذنوب، ورفعك الله بها عشر درجات في الجنة، وكنَّ لك في الثواب كإعتاق عشر رقاب، كأنك أعتقت عشر رقاب.

«وكُنَّ له مَسلَحةً»، أي: كنّ لك سلتحًا تُحفظ به حتى تُمسي.

ولم تأتِ بعمل خير منهن إلى أن تمسي، فإن أمسيت، فقلت كذلك: كان لك مثله.

وهذا فضل عظيم في عمل قليل، إذا صليت الفجر احرص على أن تقول هذا، وإذا صليت المغرب احرص على أن تقول هذا؛ لتنال هذا الثواب العظيم.

(المتن)

قال -رحمه الله-: وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(الشرح)

(وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ):

(سُبْحَانَ اللهِ): تنزيه الله عن كل نقيصة وما لا يليق.

(وَبِحَمْدِهِ): حمد الله -عزَّ وجلَّ- والثناء عليه بجميع المحامد.

و(سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ) من أفضل الكلام.

«وَ سُئِلَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عليه وَسَلَّمَ أَيُّ الكَلَامِ أَفْضَلُ؟ قالَ: ما اصْطَفَىٰ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ، أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ»، رواه مسلم.

«أَيُّ الكَـلَامِ أَفْضَـلُ؟»، قال العلماء: أي بعد القرآن، وإلا فأفضل الكلام كلام الله -سبحانه وتعالى-.

«أَيُّ الكَلَامِ أَفْضَلُ؟»، أي: بعد القرآن.

«قالَ: ما اصْطَفَىٰ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ، أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ».

وفي رواية: «أَحَبُّ الكَلَامِ إِلَىٰ اللهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ»، رواه مسلم في الصحيح.

فأحب الكلام الكلام أن يسمعه الله منك يا عبد الله: سبحان الله وبحمده، فكيف تفرط في هذا؟

أن تقول هاتين الكلمتين اللتين يحبهما الله -عزَّ وجلَّ-؛ بل هما أحب الكلام إلى الله -سبحانه وتعالى-.

(مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ): في يومه.

(حُطَّتْ خَطَايَاهُ)، أي: محيت ذنوبه، وغفرت ذنوبه.

وجمهور أهل العلم على أن الذنوب التي تمحى بالذكر إنما هي الصغائر.

أما الكبار فلابد لها من توبة، هذا الذي عليه جمهور أهل العلم؛ لابد من التوبة في الكبائر.

لكـن قـال العلمـاء كـالنووي وغـيره: إذا لم يكن على العبد صغائر، لم يكن عليه في يومه ذاك صغائر، **فقال: سبحان الله وبحمده مائة مرة ما جزاؤه؟**

قالوا: يخفف عنه من الكبائر.

أي: أن الكبيرة تخف، وإن كانت لا تغفر إلا بتوبة.

فإن لم تكن له كبيرة ولا صغيرة؟

قال العلماء: تنقلب إلى مثلهن حسنات.

أي: الثواب الذي هو المغفرة ينتقلب إلى مثل هذه الذنوب عددًا حسنات.

(حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»)، وهذه كناية عن كثرة الذنوب، **أي**: ولو كانت كثيرة.

وزبد البحر: ما يكون عند اشتداد البخر، فإنما يلقيه البحر من جوفه، وما عليه من رغوة ونحو ذلك كثير جدًا، فهذه كناية عن كثرة الذنوب.

إذًا -يا عبد الله- أنت إذا قلت: سبحان الله وبحمده مائة مرة، فكانت عليك صغائر ولو كانت كثيرة جدًا فإن الله يمحوها، فإن لم تكن عليك صغائر؛ فإن الله يخفف عنك من الكبائر، فإن لم يكن عليك صغائر ولا كبائر في ذلك اليوم؛ فإن الله يثيبك حسنات مثل زبد البحر أو أكثر.

ولا يعني هذا أن يجرؤ العبد على معاصي الله، فإن للمغفرة سببًا ولها مانعًا.

انتبهوا لهذا! إن للمغفرة سببًا جالبًا، ومانعًا دافعًا، فمن فعل السبب وسلِم من المانع حصلت له المغفرة، ومن فعل السبب متلبسًا بالمانع لم تحصل له المغفرة.

والمانع هو: الجرأة على المعصية.

فإذا كان الإنسان يجرؤ على المعصية من أجل وعد الله بالمغفرة فإن هذا قد يمنع مغفرة الله لهذا العبد.

فالذي يقول: خلاص الحمد لله، أنا أفعل من الصغاشئر ما شئت، وأقول: سبحان الله وبحمده مائة مرة؛ المسألة سهلة، عشر دقائق وانتهيت، هذا إذا قلتها بتأنٍ وترسل.

هذا يحرم نفسه، فإن الجرأة على محارم الله مانعة من مغفرة الله -سبحانه وتعالى- ودافعة لهذا، وكما قال ابن رجب: [**مثل هذا كمثل من يشرب السم رجاء أن يشرب الترياق بعد**].

أي: إنسان عنده ترياق أو دواء ضد السم، فيشرب السم أولًا، يقول: لأن عندي دواء، ما يدريه أن يبقى حتى يشرب الدواء؟ وما يدريه أن الدواء سيقابل هذا السم؟

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَعَنْ جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ -رضي الله عنها- قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

(الشرح)

النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان عند جويرية -رضي الله عنها-، فخرج من عندها بكرة حين صلى الصبح، وهي في مسجدها، أي: في موضع صلاتها من بيتها، فخرج صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم رجع ضحى، أي: من بعد صلاة الصبح إلى الضحى، فرجه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضحى، فوجدها جالسة، فقال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما زِلْتِ علَىٰ الحَالِ الَّتي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟»، أي: لا زلتِ جالسة تذكرين الله؟ لأنها كانت تذكر الله -عزَّ وجلَّ- من بعد الصبح إلى الضحى وهي تذكر الله -عزَّ وجلَّ-، «قالَتْ: نَعَمْ» فقالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: («لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ)، أي: عندما خرجت من عندكِ.

(«لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ)، أي: أربع جمل.

(لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ)، أي: لرجحت عليهن، هذا ذكر من بعد صلاة الصبح إلىٰ الضحىٰ، هذه الأربع كلمات لو وزنت بهذا الذكر لوزنت ذلك الذكر، ورجحت علىٰ ذلك الذكر، فهي كلمات عظيمة.

(سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»)، أي: أسبحه -سبحانه- وأحمده.

(عَدَدَ خَلْقِهِ)، أي: عدد ما خلق، وهذا كثير؛ الملائكة من خلق الله، والملائكة لا يحصي عددهم إلا الله، عددهم كثير جدًا، والناس خلق الله وعددهم كثير جدًا، والشجر خلق الله، وعددها كبير جدًا، فعندما تقول: سبحان الله وبحمده عدد خلقه أي: عدد ما خلق.

(وَرِضَا نَفْسِهِ)، وفي هذا إثبات النفس لله، وقد تواترت الأدلة بهذا، وإثبات الرضا لله، فالله -سبحانه وتعالى- يرضى.

والمقصود هنا: عدد ما رضيه الله، وعدد من رضي الله عنهم.

عدد ما رضيه الله من الأعمال، والأقوال.

وعد من رضي الله عنهم من خلقه، وهذا كثير.

(وَزِنَةَ عَرْشِهِ)، وفي هذه الجملة إثبات العرش، وأن العرش ثقيل.

(وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ): **المداد مادة الكتابة للقلم، الآن نسميها**: الحبر.

وهذه دلالة على الكثرة جدًا، فإن مداد كلمات الله لا يُحصى، ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[الكهف:١٠٩].

فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هنا جمع في ذكره بين كثرة الذكر وثقل الذكر:

كثرة الذكر: (عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ).

وثقل الذكر: (وَزِنَةَ عَرْشِهِ).

والله كريم، فما دمت ذكرته بهذا وهذا مشروع؛ فإن الله يثيبك على هذا الذكر كأنك ذكرته بهذا العدد، تثاب على هذا.

قال العلماء: وينبغي على العبد أن يعزم في قلبه أنه لو كان قادرًا لفعل.

ينبغي على العبد أن يعزم في قلبه أنه لوكان قادرًا، أي: لو كان قادرًا أن يسبح الله عدد خلقه مرارًا لفعل؛ ليصدق قلبه لسانه.

وفي هذا فضيلة هذا الذكر، فينبغي على العباد أن يحفظوه، وأن يحفظوه، فإنه ذكر عظيم حوى الخير كله.

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَالْحَمْدُ لِلهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ». أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ.

(الشرح)

رواه النسائي في عمل اليوم والليلة بغير هذا اللفظ، لكن بمعناه، وكذا رواه ابن حبان بغير هذا اللفظ.

وزيادة (وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ) ضعيفة.

وجميع أسانيد هذا الحديث فيما ذكره الحافظ هنا ضعيفة، لكن روى الطبري في تفسيره: أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إلَهَ إلَّا اللهُ واللهُ أَكْبرُ منَ الباقياتِ الصَّالحاتِ»، وحسَّنه الألباني في السلسة الصحيحة.

«سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إلَهَ إلَّا اللهُ واللهُ أَكْبرُ منَ»، أي: بعض «الباقياتِ الصَّالحاتِ».

و«الباقياتِ الصَّالحاتِ» **هي**: الأعمال الصالحات التي لا ينقطع ثوابها، ويرجى خيرها، ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[الكهف:٤٦]، ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾[مريم:٧٦].

وقد ذهب الشيخ ابن سعدي إلى أن الباقيات الصالحات: [**كل عمل وُجِد فيه الإخلاص والمتابعة**]، **وهذا مأثور عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه ذكر أن: الباقيات الصالحات**: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، واللّهم صل على محمد، والصلاة، والصيام، والصدقة.

فهذا مقصود الشيخ ابن سعدي: أنها كل عمل صالح وجد فيه الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهذا يدل على فضيلة هذا الذكر؛ سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنه خيرٌ ثوابًا عند الله، وخيرٌ أملًا، خير ما تؤمله وترجوه، وخير مردًا، فهو خير عاقبة عندما يكون المصير إلى الله والمرجع إلى الله يسر به صاحبه.

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَىٰ اللهِ أَرْبَعٌ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

(الشرح)

هذا الحديث (وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَىٰ اللهِ): وفي هذا إثبات المحبة لله، فالله يحب، وأن محبة الله تتفاوت، درجات، وهي من صفات ربنا علىٰ ما يليق بجلال ربنا -سبحانه وتعالىٰ-.

(«أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَىٰ اللهِ أَرْبَعٌ)، أي: أحب الكلام أن يذكر به الله أربع كلمات، أي: أربع جمل.

(لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ»)، أي: أنه لا يلزم الترتيب؛ بل إذا قلت: (سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ»)، وهذا خير.

وإذا قلت: «الله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله»، فهذا خير.

وإذا قلت: «لا إله إلاالله، وسبحان الله، والله أكبر، والحمد لله»، فهذا خير.

فلا يلزم فيها الترتيب.

(المتن)

قال -رحمه الله-: عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. زَادَ النَّسَائِيُّ: «وَلَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ».

(الشرح)

قال: (زَادَ النَّسَائِيُّ: «وَلَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ»)، هذه الزيادة -أيضًا- رواها الإمام أحمد.

وهذه الزيادة من رواية أبي هريرة، وليست من رواية أبي موسى الأشعري.

الزيادة هذه من رواية أبي هريرة؛ لأن الإمام أحمد روى وكذلك النسائي عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «يَا أَبَا هِرٍ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ وَلَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ».

لكن هذه الزيادة بيّن الشيخ الألباني -رحمه الله عزَّ وجلَّ وجزاه عن أمة الإسلام خيرًا- أنها منكرة، فلا تصح هذه الزيادة.

(عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ كَنْزٍ):

والكنز هو: المال العظيم الذي يخبأ ويحافظ عليه، يقال: كنز المال إذا حافظ عليه ولم يخرج منه شيء.

ومعنىٰ ذلك: ألا أدلك علىٰ عمل يحفظ لك، وهوعمل عظيم.

(**لَا حَوْلَ**)، أي: لا حركة ولا فعل إلا بعون الله -سبحانه-.

ولذلك إذا قال المؤذن: حيَّ علىٰ الصلاة، نقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، لا حركة لنا ولا قدرة علىٰ إجابة المؤذن إلا بعون الله -سبحانه وتعالىٰ-.

(**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ**)، أي: لا تصرف بقدرة إلا بعون الله -سبحانه وتعالىٰ-.

فهذا يدل علىٰ فضيلة هذا الذكر العظيم.

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ». رَوَاهُ الْأَرْبَعَةُ، وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ -رضي الله عنه- بِلَفْظِ: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ».

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَىٰ اللهِ مِنَ الدُّعَاءِ».

(الشرح)

هنا بدأ الحافظ -رحمه الله- في الدعاء، بعد أن ذكر أحاديث الذكر شرع في ذكر أحاديث الدعاء.

وقلت لكم: إن المقصود هنا دعاء المسألة، دعاء الطلب.

فبدأ بحديث النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: («**إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ**». **رَوَاهُ الْأَرْبَعَةُ، وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ**)، وصححه الألباني.

وفي هذا حصر للعبادة في الدعاء، وهذا يدل على فضيلة الدعاء؛ فالله كريم -سبحانه وتعالى- إذا دعوته أول أمر أنه يثيبك، يثيبك على الدعاء، تسأله حاجتك، ويثيبك على هذا السؤال، ووعدك بالإجابة، ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾[البقرة:١٨٦].

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي﴾: سبحان الله! العادة في القرآن في السؤال: يحيل الله الجواب إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "فقل"، إلا في هذه الآية أجاب الله -سبحانه وتعالى-.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾: فلا حاجة لأن تجعل بينك وبين الله واسطة؛ لأن الله قريب، والذي يحتاج إلى واسطة هو البعيد الذي لا تستطيع أن تسمَعهُ.

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾، والذي يحتاج إلى واسطة هو الذي لا يجيب، فيحتاج إلى من يرقق قلبه.

أما الله -عزَّ وجلَّ- فهو قريب منك يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، فليس لك إلا أن تخلص لله، وتدعوا الله -سبحانه وتعالى-.

﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾، فكان الدعاء عبادة؛ لأن الله أمر به.

﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾، فكان الدعاء إيمانًا.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾، فمن طريق الرشد الدعاء. فالدعاء هو العبادة. والعبد -كما قلنا- إذا دعا يثاب ويجاب.

وإجابة الدعاء قال العلماء:

إما بأن يعطي الله العبد سؤله.

اللّهم ارزقني مالًا؛ يرزقه الله مالًا.

وإما أن يصرف الله عنه شدة هي أحسن له من أن يجاب سؤله.

اللّهم ارزقني مالًا؛ قد لا يرزقك الله المال، لكن يصرف عنك شدة، وهذا الصرف أحسن لك من المال.

وإما أن يدخر الله ذلك ثوابًا له عنده، فيجمع له بين ثواب الدعاء، وبين جعل مقام الإجابة ثوابًا.

فبدل من أن يرزقه المال يجعل مكان ذلك ثوابًا، فيثاب مرتين، على الدعاء كل من دعا لله مخلصًا يثاب، لكن الذي يُجاب دعاؤه، ويعطى سؤله له ثواب الدعاء وقد أجيب.

أما الذي لا يعطى سؤله فله الثواب من جهتين:

من جهة أنه دعى.

ومن جهة أن الله أخّر له الإجابة ثوابًا يوم القيامة.

وإذا كان ذلك كذلك فكيف يسوغ للعبد أن يقول: دعوت فلم يستجب لي؟

هذه الجملة قولها شرٌ على الإنسان، **لماذا؟**

لأنها أولًا: تمنع إجابة الدعاء.

إذا قال الإنسان:دعوت فلم يستجب لي، أو قال: لا أرى أنه يستجاب لي فإنه لا يستجاب له.

والأمر الثاني: أنها تجعل العبد يمل من الدعاء.

وإذا علمت أنك كلما سألت مخلصًا لله؛ تحقق لك واحد من هذه الثلاثة فإنك لا تزن الإجابة بحصول ما سألت، وإنما تكون على يقين فيما عند الله -سبحانه وتعالى-، فلا تمل الدعاء. لا تمل الدعاء -يا عبد الله- فإنه عبادة.

قال: (وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ -رضي الله عنه- بِلَفْظِ: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»)، **وقال الترمذي**: غريب، وضعَّفه الألباني. وقال الشيخ ابن باز -رحمه الله-: [**فيه ضعف وإن كان صحيحًا من جهة مراعاة المعنى**].

(«الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»):

المخ هو: صافي الشيء، صافي الشيء يقال: هذا مخه.

فمعنى هذا الحديث: أن الدعاء هو صافي العبادة، ولا شك أن الدعاء صافي العبادة؛ بل الدعاء هو العبادة، فالمعنى صحيح، وإن كان السند ضعيفًا.

ويغني عنه ما صح وهو: («إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ»).

قال: (وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَىٰ اللهِ مِنَ الدُّعَاءِ»):

(لَهُ)، أي: للترمذي.

(مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَفَعَهُ)، أي: قال: قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَىٰ اللهِ مِنَ الدُّعَاءِ»)، ورواه ابن حبان وصححه،ورواه الحاكم وصححه، وصححه الشيخ أحمد شاكر، وحسَّنه الألباني. فالحديث ثابت.

(«لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ مِنَ الدُّعَاءِ»)، **والمقصود:** بيان فضيلة الدعاء، وأن الله يحب الدعاء، وذلك أن الله جواد كريم يحب من عبده أن يسأله، ويحب من عبده أن يتذلل له، وأن يثني عليه، وأن يرفع إليه مسألته.

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَعَنْ أَنَسٍ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لَا يُرَدُّ». أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَغَيْرُهُ.

(الشرح)

أخرجه النسائي، والترمذي، وأبو داوود، وابن حبان، وصححه ابن حبان، وصححه الألباني.

وفي هذا بيان أن من الأزمنة ما تعظُم فيه إجابة الدعاء، الله يجيب الدعاء في كل وقت، لكن هنالك أزمنة تعظُم فيها الإجابة، وتُرجى فيها الإجابة أكثر، **ومنها:** الدعاء بين الأذان والإقامة.

(«الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لَا يُرَدُّ»)، أي: أن الله يجيبه.

قال العلماء: لأنه دعاء في الصلاة.

كيف دعاء في الصلاة؟

قالوا: لأن المرء إذا جاء المسجد، وقعد ينتظر الصلاة فهو كالقانت، أي: كالقائم الذي يصلي.

«والقاعِدُ يرعىٰ الصَّلاةَ كالقانِتِ»، هكذا صح الحديث عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فأنت إذا جئت المسجد، وقعدت في المسجد تنتظر الصلاة؛ فأنت كالمصلي.

فهذا دعاء في الصلاة، فإذا كان هذا فيما كان كالصلاة حكمًا، فمن باب أولى ما يكون في الصلاة حقيقة.

أي: أنت إذا جئت وقعدت في المسجد فأنت في حكم المصلي، ولك أجر المصلي، ولا يرد الله دعاءك، فمن باب أولى إذا كنت تصلي حقيقة.

ولذلك من أسباب إجابة الدعاء: أن يدعوا الإنسان وهو في الصلاة وهو ساجد على وجه الخصوص. «أَمَّا السُّجودُ فأكْثِرُوا مِنَ الدُّعَاءِ؛ فقَمِنٌ أنْ يُستَجابَ لكُم»، أي: حقيق أن يستجاب لكم.

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَعَنْ سَلْمَانَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا». أَخْرَجَهُ الْأَرْبَعَةُ إِلَّا النَّسَائِيَّ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ.

(الشرح)

وصححه الألباني.

(**وَعَنْ سَلْمَانَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ**)، وفي هذا إثبات صفة الحياء لربنا -سبحانه وتعالىٰ- علىٰ ما يليق جلاله.

(**كَرِيمٌ، يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ**)، لا إله إلا الله! الله المنعم يستحي من عبده.

(**إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ**)، أي: في الدعاء.

(**أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا**)، أي: أن يردهما خاليتين، وهذه كناية عن عدم الإجابة.

وفي هذا الحديث: بيان أن من أسباب إجابة الدعاء رفع اليدين في الدعاء.

ورفع اليدين في الدعاء له ثلاثة أحوال:

الحالة الأولىٰ: أن يكون النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا ورفع يديه، فالرفع هنا سنة يثاب عليها الإنسان، وهو من إجابة الدعاء.

أي مثلًا: النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما رقىٰ الصفا استقبل القبلة، ورفع يديه ودعا، إذا كنت في العمرة فصعدت الصفا، واستقبلت القبلة، ورفعت يديك فقد فعلت سنة وتثاب عليها، ودعوت فتثاب علىٰ الدعاء، ورفعك ليديك من أسباب إجابة الدعاء.

النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما استسقىٰ في الجمعة وغيرها رفع يديه، فإذا استسقىٰ الخطيب في الجمعة شُرِع له وسُنَّ أن يرفع يديه، فيكون فعل سنة يثاب عليها، ودعا يثاب عليه، وهذا من أسباب إجابة الدعاء. ويُسن للمأمومين أن يرفعوا أيديهم كذلك.

الحالة الثانية: أن يكون النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا ولم يرفع، فالرفع بدعة.

مثل: النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طاف حول الكعبة، ودعا -كما ثبت عنه-، كقوله «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»، ولم يرفع يديه.

فالذي يطوف حول الكعبة ويرفع يديه هذا فعل بدعة؛ لأن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من عمِلَ عملًا ليس عليه أمرُنا فهو رَدٌّ»، وهذا ليس عليه عمل الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الحالة الثالثة: أن لا يُنقل حالٌ عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لم يُنقل لنا أنه دعا، فهنا رفع اليدين سبب لإجابة الدعاء، مثل: الدعاء بين الأذان والإقامة لم ينقل لنا عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حال، لم ينقل لنا أنه دعا، لم ينقل لنا أنه رفع، لم ينقل شيء عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهنا لك أن ترفع يديك بين الأذان والإقامة إذا دعوت، وهذا من أسباب إجابة الدعاء.

فكل موطن أردت أن تدعوا فيه ولم ينقل عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه دعا؛ فلك أن ترفع يديك.

متى يمنع من رفع اليدين؟ في كل موطن ثبت أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا فيه ولم يرفع يديه.

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَعَنْ عُمَرَ -رضي الله عنه- قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا مَدَّ يَدَيْهِ فِي الدُّعَاءِ، لَمْ يَرُدَّهُمَا، حَتَّىٰ يَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ. وَلَهُ شَوَاهِدُ مِنْهَا: حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ، وَمَجْمُوعُهَا يَقْتَضِي أَنَّهُ حَدِيثٌ حَسَنٌ.

(الشرح)

قال: (**وَعَنْ عُمَرَ -رضي الله عنه- قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا مَدَّ يَدَيْهِ فِي الدُّعَاءِ**)، أي: رفع يديه في الدعاء.

(**لَمْ يَرُدَّهُمَا، حَتَّىٰ يَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ**»).

قال: (**أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ**).

والحديث ضعيف بالاتفاق؛ باتفاق أهل الصنعة من جهة إسناده لمفرده.

قال: (وَلَهُ شَوَاهِدُ مِنْهَا: حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ)، عند أبي داوود في حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال:**«فإذا فرَغتُم فامسَحوا بها وُجوهَكُم»، أي: إذا فرغتم من الدعاء؛ فمسحوا بها وجوهكم، وهو ضعيف الإسناد.

وعند ابن ماجه: «إِذَا فَرَغْتَ فامسحْ بِهِمَا وجْهَكَ»، وهذا -أيضًا- ضعيف.

الحافظ ابن حجر ماذا قال؟

قال: إن هذا الحديث حسن بالشواهد.

لكن الإمام الألباني -رحمه الله- بيَّن أن هذا الحديث لا يقبل التحسين، وأن هذه الشواهد لا ترفعه إلى درجة الحسن.

قال -رحمه الله-: [ولا يصح القول بأن أحدهما يقوي الآخر بمجموع طرقهما؛ لشدة الضعف الذي في الطرق].

الأسانيد فيها ضعف شديد، بعضها فيها متهمون بالكذب والوضع، وبعضها واهية جدًا، فمثل هذا لا يصلح أن يقوى.

ولذلك الراجح من أقوال اهل العلم: أنه لا يشرع مسح الوجه باليدين عند الدعاء.

وقد سئل مالك -رحمه الله- عن الرجل يمسح بكفيه وجهه عند الدعاء؛ فأنكر ذلك، وقال: [ما علمت ذلك]. وكان سفيان يكره هذا.

وقال النووي: [لا يندب].

وقال العز بن عبدالسلام: [لا يفعله إلا جاهلًا]، لأنه عبادة، العبادة تحتاج إلى دليل، ولم يصح بهذه العبادة دليل.

ولذلك نقول: لا يشرع؛ بل من البدع أن يمسح الإنسان وجهه بيديه بعد الفراغ من الدعاء.

وإن كان من المشايخ ومن بعض أهل العلم من تابع ابن حجر على قوله إن الحديث حسن بشواهده، فقالوا: إن مسح فلا بأس؛ لأن هذه عبادة، والعبادة لابد لها من دليل. **فالراجح -والله أعلم-:** أن المسح بدعة.

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ.

(الشرح)

(أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ)،وضعَّفه الألباني في صحيح الترمذي وضعيف الترمذي، وقال: حسن لغيره في كتب أخرى، وهذا الظاهر -والله أعلم- أن هذا هو آخر رأي الشيخ.

آخر آراء الشيخ في الحديث: أنه حسن لغيره.

وبالمناسبة مر بنا حديث: «التَّأَنِّي من اللهِ، والعَجَلةُ من الشَّيطانِ»، وذكرنا أن الشيخ الألباني ضعَّفه، نعم ضعَّفه في ضعيف الترمذي، لكني راجعت ووجدت أن الشيخ حسَّنه في السلسلة الصحيحة، وفي صحيح الجامع، وفي صحيح الترغيب والترهيب.

أنا ذكرت لكم في الحديث: أن الشيخ الألباني ضعَّفه على ما وقفت عليه سابقًا، وقد ضعفه في ضعيف الترمذي، ونص على أنه ضعيف.

قلت لكم: ولكن النظر في إسناد الحديث يقتضي أنه حسن، وقد راجعت البارحة فوجدت أن الشيخ نص على حسنه في السلسلة الصحيحة وفي صحيح الجامع وفي صحيح الترغيب والترهيب.

هذا الحديث الذي معنا هنا: الشيخ الألباني -رحمه الله- في كلامه عن ضعيف الترمذي قال: إنه ضعيف.

لكنه حسنه لغيره في السلسلة الصحيحة، وفيما أحسب إذا لم أكن نسيت في صحيح الترغيب والترهيب.

(قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ):

قال العلماء: أولىٰ الناس به من وجهين:

الوجه الأول: من جهة القرب، فإنه يكون أقرب إلىٰ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجلسًا يوم القيامة.

والوجه الثاني قالوا: الشفاعة، فإنه يكون من أولىٰ الناس بشفاعة النبي -صلىٰ الله عليه وسلم.

(«إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً»): والإكثار من الصلاة على النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستحب في كل يوم، فمن صلى على النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واحدة صلى الله عليه بها عشر صلوات، ومحى عنه عشر خطيئات، ورفع له بها عشر درجات. هذه واحدة، وكلما زدت كلما تضاعف الثواب.

والصلاة على النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من العبد دعاء، ومن الله ثناء، عندما تقول أنت: اللّٰهم صل على محمد أي: تدعوا للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وصلاة الله على نبيه ثناؤه عليه في الملأ الأعلى، وإذا صليت أنت على النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرة أثنى الله عليك في الملأ الأعلى عشر مرات، وكنت أقرب إلى النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجلسًا يوم القيامة، وكنت من أولى الناس بشفاعة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ويتأكد الأمر الجمعة، «إِنَّ مِن أفضلِ أيَّامِكُم يومَ الجمعةِ، فيهِ خُلِقَ آدمُ، وفيهِ قُبِضَ، وفيهِ النَّفخةُ، وفيهِ الصَّعقةُ، فأكْثروا عليَّ منَ الصَّلاةِ فيهِ، فإنَّ صلاتَكُم مَعروضةٌ عليَّ، قالوا: وَكَيفَ تُعرَضُ صلاتُنا عليكَ وقد أرِمتَ؟»، أي: بليت؛ لأن المقبور يبلى هذا علمهم، «فقالَ: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ حرَّمَ علىٰ الأرضِ أن تأكُلَ أجسادَ الأنبياءِ».

فمن صلى على النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن صلاته تُعرض على النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولو كنت في أي مكان، «وصَلوا عليَّ؛ فإنَّ صَلاتَكُم تَبْلُغُني حيث كُنتُمْ».

فالصلاة على النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها فضل عظيم وأجر عظيم، ولا يبخل بها إلا بخيل، البخيل حقًا من ذُكر عنده النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يصل عليه.

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

(الشرح)

(وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ): العبد بحاجة إلىٰ أن يستغفر ربه أعظم من حاجته إلىٰ الهواء والطعام والشراب، والنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كان يحسب له في المجلس الواحد أن يستغفر سبعين مرة، فالعبد بحاجة إلىٰ أن يستغفر الله -عزَّ وجلَّ-.

(سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ): **السيد هو**: الرئيس الذي يُرجع إليه في الحاجات، سيد القوم هو رئيسهم الذي يرجعون إليه.

والمقصود هنا: أعظم الاستغفار الذي يتحقق به المقصود، كأنه رئيس.

العبد يستغفر، إذا قال: استغفر الله فهذا استغفار، إذا قال: اللهم اغفر لي فهذا استغفار، لكن أكمل الاستغفار، وأعظم الاستغفار الذي يُرجىٰ بره وتحققه أعظم من غيره (أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ) أي: يا الله.

(أَنْتَ رَبِّي)، الذي رباني بنعمه، فأنا يا رب أتقلب في نعمك ليل نهار.

(لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ)، لا معبود بحق إلا أنت.

(اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي)، هذا توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات؛ لأنه يثبت لله اسم الرب.

(لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ)، هذا توحيد الألوهية.

(خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُكَ)، فأنا مقرٌ لك بأنك الخالق، وأني عبد ضعيف.

(وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ)، أي: أنا علىٰ عهدي لك بالتوحيد، والطاعة ما استطعت، لقول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن:١٦].

(أَعُوذُ بِكَ)، أي: ألجأ إليك.

(مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ)، ألجأ إليك من شر ما صنعت، فامنعني منه قبل وقوعه، واغفر لي بعد وقوعه، امنعني منه قبل وقوعه واغفره لي بعد وقوعه.

(أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ)، أي: أعترف لك يا رب بنعمتك عليّ.

(وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي)، أي: أقر لك بذنبي وأني عبد مذنب، ولذلك جاء في الحديث: «اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كثِيرًا، فَاغْفِر لي»، ومغفرة الذنب معناها: محوه بالكلية، فلا يبقى الذنب ولا يبقى أثره.

مغفرة الذنب معناها: محو الذنب بالكلية، فلا يبقى الذنب أصلًا ولا يبقى أثره.

(فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»)، فهذا توسل إلى الله -عزَّ وجلَّ- بهذه الأمور العظيمة أن يغفر للعبد، ومن استغفر بهذا الدعاء رجي أن يغفر الله له أعظم من غيره.

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ -رضي الله عنه- قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي». أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ.

(الشرح)

هذا الحديث لعلنا نجعله بعد الصلاة. أسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يتقبل مني ومنكم، وأن يرزقنا ما نأمل وفوق ما نتأمل.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.

شَرْحُ

بُلُوغِ المَرَامِ

مِنْ

أَدِلَّةِ الأَحْكَامِ

تصنيف

الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني

٧٧٣-٨٥٢هـ

لفضيلة الشيخ الدُّكْتُورِ

سليمان بن سليم الله الرحيلي

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المجلس (١٢)

الْسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْصَّلَاةُ وَالْسَّلَامُ الأتمانِ الأكملانِ علىٰ المبعوثِ رحمةً للعالمين، وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ أَجْمَعِين.

أَمَّا بَعْدُ:

فنواصل شرح هذا الكتاب النافع الجامع من كتاب [بلوغ المرام] للحافظ بن حجر -رحمه الله عزَّ وجلَّ-، ولا زلنا نقرأ في باب الذكر والدعاء، فيتفضل الشيخ رفاعي يقرأ لنا من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما-.

(المتن)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، **وبعد:**

فقال الحافظ بن حجر -رحمه الله-: وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما- قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي». أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ.

(الشرح)

هذا الحديث العظيم -أيضًا- رواه أبو داود، وصححه الألباني.

(وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما- قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَعُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ): فهذه الكلمات من أذكار الصباح والمساء المتأكدة، فإن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يواظب على ذكر هذه الكلمات إذا أصبح وإذا أمسى.

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ): **والعافية هي**: السلامة من كل سوء، والصحة في البدن.

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي دِينِي): أسألك السلامة في ديني من كل ما ينقضه أو ينقصه.

من كل ما ينقضه، وهو: الشرك والكفر -والعياذ بالله-.

أو ينقصه، وهو: البدع والذنوب.

(وَدُنْيَايَ): أسألك السلامة في دنياي من كل سوء، وأسألك الصحة في الجسد؛ لأن الصحة في الجسد داخلة في الدنيا هنا.

وهذا الدعاء شمل كل خير؛ لأن الإنسان إذا سَلِم في دينه، كان دينه صالحًا، وإذا سَلِم في دنياه كانت دنياه طيبة، وإذا حصل ذلك كانت عاقبته في الآخرة حسنى، فما من خير إلا وهو داخل تحت هذه الدعوة.

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي): أسألك السلامة لأهلي ومن أهلي.

أسألك السلامة لأهلي: أن تسلمهم من كل سوء.

وأسألك السلامة من فتنة أهلي: فإن الأهل فتنة، الزوجة فتنة، والاولاد فتنة، ولا يسلم إلا من سلمه الله.

(وَأَهْلِي)، أي: العافية لأهلي، والعافية من أهلي من جهة الفتنة.

(وَمَالِي): أيضًا أسألك السلامة في مالي من كل حرام، وأسألك السلامة من فتنة مالي، فإن المال فتنة.

(اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي)، العورة: ما يستحى من إظهاره حسًا أو معنى.

ما يستحى من إظهاه حسًا مثل العورة المعروفة -عورة البدن-.

أو معنى مثل الذنوب، فإن الذنوب عورة، والعيوب عورة.

(اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي)، لا تفضحني لا حسًا ولا معنى.

(وَآمِنْ رَوْعَاتِي)، الروع هو: الفزع، والروعات هي ما يُفْزِعُ، أي: اللّهم أمني من كل ما يُفزع في الدنيا والآخرة، أمني من مصائب الدنيا، وفجائعها التي تأتي بغتة، ومن مخاوف الآخرة.

وقوله: (وَآمِنْ رَوْعَاتِي)، شمل الدنيا والآخرة.

(وَاحْفَظْنِي): من كل سوء.

(مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ)، أي: من أمامي.

(وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي)، ما قال ومن تحتي هكذا؛ لأن التحت محفوظ بما تحته بالأرض، ما أحد يتسلط عليك في الأصل أي: من جهة الأرض، أنت مكشوف من جميع الجوانب، من جميع الجهات إلا من تحت، هذا الأصل، وإن كان -أعوذ بالله- الشياطين اليوم وصلوا حتى تحت الأرض.

لكن ماذا قال لتحت؟ (وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ)، وفي هذا أنه تجوز الاستعاذة بالصفات، تجوز الاستعاذة بصفات الله -عزَّ وجلَّ-.

(وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ)، فالاستعاذة المشروعة هي الاستعاذة بالله والاستعاذة بصفات الله -سبحانه وتعالى-.

(وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي)، الأصل في الاغتيال هو: الأخذ خفية بما يهلك، يقال: اغتاله، أي: أهلكه بشيء خفية، تربص له -مثلًا- فأطلق عليه النار، أو وضع له سمًا، أهلكه بشيء خفية.

والمراد هنا عند كثير من العلماء: الخسف، أي: أعوذ بك أن يُخسف بي؛ لأن الشر المتوقع من تحت من جهة الأرض هو الخسف.

وقال بعض أهل العلم: بل المراد الاستعاذة من الإهلاك من حيث لا لا يدري الإنسان؛ لأن هذا هو الأصل في الاغتيال.

وقال بعض أهل العلم: بل أكثر السلف وأكثر أهل العلم على أنه أعوذ بعظمتك أن يخسف بي، فشمل الحفظ من كل الجهات.

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما- قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفَجْأَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ».

أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

(الشرح)

هذا الحديث العظيم جمع معاني عظيمة في الدعاء.

(وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما- قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ)، أي: ألجأ إليك.

(مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ)، أي: من ذهاب نعمتك.

وعبر عن النعمة بالنعمة الواحدة؛ لأنها كلها من الله، والعبد محتاج إليها جميعًا، فكأنها واحدة.

(أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ)، أي: من ذهابها.

(وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ)، أي: انقلاب العافية إلى المرض، أي: أعوذ بك من المرض، من أن تنقلب العافية إلى مرض.

(وَفَجْأَةِ نِقْمَتِكَ)، الفجأة هو الأمر غير المتوقع.

ويتضمن هذا السؤال سؤال الله أن لا تفعل سببًا يوجب نقمة الله، وعقوبة الله.

(وَجَمِيعِ سَخَطِكَ): وهذه شملت كل ما تقدم وزيادة، أي: أعوذ بك من جميع ما يغضبك، ولا تزول النعمة إلا إذا أغضب الإنسان ربه، فغُير عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[الرعد:١١]. لا يغير الله نعمته على العبد حتى يفعل ما يغضب الله، فإذا غير غُير عليه -والعياذ بالله-.

ولا تتحول العافية إلا بفساد يصدر من الإنسان، فإنه ما من أمر يقع من الفساد إلا وسببه فساد الإنسان ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾[الروم:٤١].

ولا تنزل عقوبة الله إلا على من أغضب الله، فعندما قال: (وَجَمِيعِ سَخَطِكَ)، استعاذ بالله من كل ما يغضب الله، واستعاذ بالله من أسباب ما تقدم الذي استعاذ بالله منه.

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما- قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الْعَدُوِّ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ». رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ.

(الشرح)

وصححه الألباني -أيضًا-.

(وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما- قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ): ويقول فعل مضارع، والمضارع يدل على الاستمرار، أي: أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يكرر هذا القول.

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ): اللّهم أني ألجأ إليك، وأسألك السلامة.

(مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ)، الدين الغالب هو المغرم، والمغرم هو: الدين الظاهر الذي لا وفاء له.

متى يكون الدين غالبًا؟

إذا لم يكن عند الإنسان وفاء له، أما إذا كان عند الإنسان وفاء لدينه، فهذا ليس مغرمًا، وليس دينًا غالبًا.

وكان النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرًا ما يتسعيذ بالله من المغرم، فقيل له: «يا رَسُولَ اللَّهِ ما أكثر ما تستعيذ مِنَ الْمَغْرَمِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ ووعد فأخلف"»، متفق عليه.

إن الرجل إذا كان عليه دين ولا وفاء عنده، فإن هذا يقوده إلى أنه يكذب في حديثه، فإذا جاءه صاحب الدين، قال: بعد أسبوع، وهو يعلم أنه ما عنده شيء، ويعد فيخلف، فيأتيه بعد أسبوع ما عنده شيء، فكان النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرًا ما يستعيذ بالله من المغرم.

وهنا يستعيذ بالله من غلبة الدين، وغلبة الدين هم بالليل وذل بالنهار، المدين إذا لم يكن عنده وفاء فرأى صاحب الدين يهرب منه يمينًا وشمالًا، ويشعر بالذل، ويكون في نهاره خائفًا، وكلما طُرق الباب ظنه صاحب الدين، فهو هم بالليل وذل بالنهار، فكان النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعيذ بالله منه.

قال العلماء: وهذا يتضمن سؤال عدم وقوعه، أي: يسأل الله أن لا يستدين أصلًا، أن لا يحتاج إلى الدين حتى لا يغلبه الدين.

(وَغَلَبَةِ الْعَدُوِّ)، قال العلماء: العدو هو الخصم المخاصم، سواءً كان مسلمًا أو غير مسلم، فغلبة العدو على الإنسان فيها قهر له وذلة له، فالنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يستعيذ بالله من غلبة العدو.

(وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ)، الشماتة هي: الفرح بالبلية، أي: لا تُفْرح أعدائي بي ببلية تصيبني، يستعيذ بالله من أن يفرح أعداؤه فيه بأن تصيبه بلية؛ فيفرحوا بهذا. فهذه استعاذة من شرور عظيمة تكسر نفس الإنسان، وتسبب له الهم والغم.

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَعَنْ بُرَيْدَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ». أَخْرَجَهُ الْأَرْبَعَةُ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ.

(الشرح)

وأيضًا صححه الألباني.

(وَعَنْ بُرَيْدَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ)، وهذا توحيد الألوهية، وهذا توسل بالأعمال الصالحة، والتوسل بالأعمال الصالحة مشروع، فهذا الرجل يتوسل إلى الله بأنه يشهد أن لا إله إلا الله.

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ)، أي: الواحد في ذاته، والواحد في ألوهيته، والواحد في صفات الكمال المطلق -سبحانه وتعالى-.

(الصَّمَدُ): الذي ترجع إليه الخلائق في حاجاتها.

(الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ): فهو الغني غنى مطلقًا لا أصل له ولا فرع له -سبحانه وتعالى-، فهو الغني القوي.

(وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)، أي: لم يكن له شبيه، ولا مثيل، ولا نظير.

المثيل هو: الذي يساوي من كل وجه.

والشبيه: هو الذي يساوي من أغلب الوجوه، أو بالشبه المطلق العام.

ولا نظير: هو الذي يساوي من بعض الوجوه.

فالله -عزَّ وجلَّ- لا مثيل له، ولا شبيه له ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١].

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ﴾، إذًا ليس مثله شيء، فليس له مثيل يماثله من كل وجه.

والكاف هنا لها فائدة عظيمة، وهي: نفي الشبيه، نفي قياس الشمول، التمثيل -مثلًا- لو كان لك أخ غائب فسألك ابنك قال: عمي فلان هذا الذي في السعودية ما صفته؟ فقلت له: عمك فلان مثلك تمامًا، فهذا تمثيل معناه أنه يشبهه تمامًا.

أما قياس الشبه أو قياس الشمول فهو القياس العام، تقول -مثلًا-: صديقك فلان يشبه من؟ ما في أحد تشبه به، فتقول: هو صديقي من أندونسيا مثلًا فهو مثل الأندونسيين، هنا ما مثلت بواحد، شبهته بالشبه العام.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ﴾، مثله ينفي المثيل، والكاف ينفي الشمول أو الشبيه، وليس له نظير -سبحانه- فلا يشبهه أحد بوجه من الوجوه.

(فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ)، فدل ذلك: على أنه هناك اسمًا من أسماء الله من سأل الله به أعطاه، ومن دعا الله به أجابه.

الله -عزَّ وجلَّ- يدعى بجميع أسمائه؛ لكن هناك اسم له مزية وزيادة في هذا الباب بنص حديث رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد اختلف العلماء في الاسم الأعظم اختلافًا كبيرًا جدًا، أوصله بعضهم إلى ثلاثين قولًا، وزاد بعضهم على الثلاثين.

لكن أقرب الأوقوال في هذا أربعة:

الأول: أن اسم الله الأعظم هو الله، فإنه الاسم الذي يضاف إليه غيره، ويتبعه غيره، وهو لا يتبع غيره، يقال: الله هو السميع البصير، الحميد، الخبير، ولا يقال: السميع هو الله إلا على سبيل التعريف، فهو اسم يُتبع ولا يَتبع، وهكذا في استقراء النصوص.

ومن هنا قال بعض أهل العلم هو الاسم الأعظم.

الثاني: وقال بعض أهل العلم: أنه الحي.

الثالث: وقال بعض أهل العلم أنه القيوم؛ لأنه ثبت ان اسم الله الأعظم في قول الله: ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[البقرة:٢٥٥].

والقول الرابع: إنه هذا الذي معنا (أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ).

وهذا هو الذي رجحه الحافظ بن حجر، قال: أصح ما ورد هو هذا الحديث، أصح ما ورد في تحديد الاسم الأعظم نصًا هو هذا الحديث، وهذا قريب.

وإذا نوع الإنسان في دعائه فقال: اللّٰهم إني أسألك يا الله أن تغفر لي، أن ترزقني، اللّٰهم إني أسألك يا حي يا قيوم أن تغفر لي أن ترزقني، سئلك.

اللّٰهم يا ربِ إني أسألك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت أنك أنت الله، لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد. فهذا حسن؛ لأنك تجمع أقوى الأقوال في الاسم الأعظم.

وفي هذا الحديث: دلالة على أنه يجوز للإنسان أن يدعو الله -عزَّ وجلَّ- بما شاء من لفظ صحيح وإن لم يكن واردًا في السنة، بشرط أن لا يلتزمه.

هنا هذا الرجل سأل الله بهذا الدعاء، ولم يكن ذلك واردًا عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَىٰ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ).

لكن انتبهوا! يجوز للإنسان أن يسأل الله بكل لفظ صحيح يصح الدعاء به، بشرط أن لا يلتزمه، أن لا يضيفه -مثلًا- إلى وقت، أو يجعله ملتزمًا.

أي: لو جاءني شخص بماء، فقلت: أسقاك الله من الكوثر، أسقاك الله من أنهار الجنة، هذا دعاء يناسب المقام؛ لكن ما ورد أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا أُعطي ماءً يقول: أسقاك الله من الجنة، هنا يجوز أن تدعو به من غير التزام، ما كل أعطاك أحد ماءً قلت له ذلك؛ لكن أن تدعو به أحيانًا فهذا ما فيه بأس؛ لأن لفظ الدعاء ليس مبنيًا على التوقيف إلا أن يضاف إلى شيء.

يضاف إلى شيء -مثلًا- يقال في الصباح، لا يجوز أن تضيف شيئًا إلى الصباح إلا بدليل، أو يقال هذا الذكر قله في المساء، نقول: أين الدليل؟ ياتي واحد يقول: إذا أردت الولد فقل أربعين مرة: ربِ لا تزرني فردًا، نقول: أين الدليل. ما دمت أضفت فلابد أن تدلل. أما إذا أطلقت على ظاهر النصوص من الدعاء والذكر من غير تقييد ولا إضافة فالباب واسع، ونحن نتكلم عن الدعاء، أما الذكر فهو عبادة مبنية على التوقيف.

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَصْبَحَ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ»، وَإِذَا أَمْسَى قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ؛ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «وَإِلَيْكَ المصِيرُ». أَخْرَجَهُ الْأَرْبَعَةُ.

(الشرح)

وصححه الألباني. **أقول:** عند أبي داود: «وَإِلَيْكَ النُّشُورُ في الصباحِ والمساءِ»، في سنن أبي داود «وَإِلَيْكَ النُّشُورُ في الصباحِ والمساءِ».

وعند الترمذي: «في الصَّباح: وإليك المصِيرُ، وفي المساء: وَإِلَيْكَ النُّشور»، أي: عكس الموجود معنا هنا.

انتبهوا! عند أبي داود "وإليك النشور" في الأمرين: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ النُّشُورُ»، هذا في الصباح.

وفي المساء: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ النُّشُورُ»، في الصباح والمساء.

عند الترمذي في الصباح: "وإليك المصير" إذا أصبح يقول: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ المصِيرُ»، الذي معنا هنا في الصباح (وَإِلَيْكَ النُّشُورُ)، وفي المساء: «وَإِلَيْكَ النُّشُورُ»، في المساء إذا أمسى يقول: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ النُّشُورُ».

وعند ابن ماجه في الصباح: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ»، إلى هنا في الصباح.

وفي المساء: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ المَصِيرُ»، هذا عند ابن ماجه. وكلها بأسانيد صحيحة؛ فيدل ذلك على مشروعية التنويع، تارة تقول كذا، وتارة تقول كذا.

(اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا)، بك، أي: بفضلك أصبحنا، وبك نستعين على صباحنا، اللّٰهم بك أصبحنا ولو شئت ما قلنا، فبك قمنا من منامنا، فأصبحنا، وبك نستعين على صباحنا.

انظروا! الباء هنا أفادت فائدتين:

الفائدة الأولى: (اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا)، بفضلك أصبحنا.

الفائدة الثانية: وأفادت الاستعانة بالله على هذا الصباح، على هذا اليوم.

(وَبِكَ أَمْسَيْنَا): فبفضلك بقينا إلى المساء، وبك نستعين على مساءنا.

(وَبِكَ نَحْيَا): فبفضلك نحيا لا قوة لنا ولا حول، وبك نستعين على حياتنا.

(وَبِكَ نَمُوتُ): فبأمرك نموت، وبك نستعين عند موتنا.

(وَإِلَيْكَ النُّشُورُ):

النشور: هو البعث، قالوا هو مناسب للصباح؛ لأنك في الصباح تستيقظ بعد النوم، فناسب أن تقول: (وَإِلَيْكَ النُّشُورُ)، لأن النشور هو البعث بعد الموت، والنوم هو الموتة الصغرى.

والمصير هو المرجع، قالوا: فناسب المساء؛ لأنك مقبل على النوم، فكأنك راجع إلى النوم، فناسب هذا.

والسنة فيما ظهر: هي التنويع على ما ورد على ما ذكرته لكم.

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَعَنْ أَنَسٍ -رضي الله عنه- قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(الشرح)

(وَعَنْ أَنَسٍ -رضي الله عنه- قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ)، ومعنى ذلك: أنه كان يكثر منه ويكرره.

(رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ): وهذا دعاء مدح الله أهله، وكان النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكرره حتى أنه في طوافه يكرره، فإذا جاء بين الركنين قال: (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)، كلما جاء بين الركنين قال ذلك.

(رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً): ولم تُقيد بشيء؛ فعمت جميع الخير في الدنيا.

(وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً): ولم تقيد بشيء؛ فعمت جميع الخير في الآخرة.

(وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ): ومن نُجي من النار وأُدخِل الجنة فهذا هو الفائز.

فأنت هنا إذا قلت: (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً)، أي: أحيني حياة طيبة، ومن طيب الحياة أن تكون من الصالحين.

(وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً)، أي: أعطني خيرات الآخرة، وأعظم خيرات الآخرة دخول الجنة ورؤية الله -عزَّ وجلَّ-. (وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ).

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ -رضي الله عنه- قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَالْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(الشرح)

(وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ -رضي الله عنه- قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو): وكما قلنا هذا فعل مضارع، والفعل المضارع يدل على الاستمرار والمداومة.

النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فما زاده ذلك إلا خوفًا وتواضعًا، الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فما زاده ذلك إلا خوفًا من الله، والخوف من الله من

أعظم من أعظم صفات المتقين، وتواعَّت؛ ولذلك كان يستغفر الله، يستغفر الله في المجلس الواحد سبعين مرة أو أكثر، وكان يقول: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي)، خطيئتي، أي: ذنبي سواءً كان صغيرة أو كبيرة، مع أن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معصوم من الكبائر ومن الصغائر التي تسقط العدالة، هذا مذهب أهل السنة والجماعة، أما الصغائر التي لا تسقط العدالة وليست من المحقرات فالأنبياء ليسوا معصومين منها؛ ولكن إن وقعت فإنهم يستغفرون منها ويتوبون، والنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، عصمه وغفر له -سبحانه وتعالى- وصلى الله على نبينا وسلم ومع ذلك كان يقول: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي)، أي: ذنبي سواءً كان من الصغائر أو الكبائر.

(وَجَهْلِي)، الصحيح أن المراد بالجهل هنا: هو المعصية بعمد، فتكون الخطيئة هنا المعصية خطئًا (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي)، أي: اللّٰهم اغفر ذنبي الذي وقعت فيه خطئًا.

(وَجَهْلِي)، اغفر لي ذنبي الذي تعمدته.

(وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي):

الإسراف هو: تجاوز الحد، ومعناه: الإكثار من الذنوب، وإكثاري من الذنوب.

(وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي)، الله أعلم بالعبد منه، وما يفعله العبد في كتاب عند الله ﴿لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى﴾[طه:٥٢]، والعبد ينسى، العبد قد يذنب الذنب وينساه؛ لكن الله يعلم الذنب، ويكتبه في كتاب ﴿لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾[الكهف:٤٩].

ولذلك (وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي)، أي: الذنب الذي أذنبته ونسيته كم تحملنا من ذنوب ونسيناها -نسأل الله أن يغفر لنا-.

فإذا قال العبد: (وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي)، شمل ذلك الذنوب التي فعلها ونسيها.

(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي)، ما فعلته جادًا.

(وَهَزْلِي) ما فعلته مزاحًا وهزلًا مما هو ذنب، فإن الإنسان قد يفعل الذنب جادًا مثل أن يسب إنسانًا سبًا، وقد يفعله هزلًا مثل أن يقول له: يا قصير، من باب المزاح والهزل والإضحاك.

(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي)، هذا اعتراف من العبد بذنبه.

(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي)، سبحان الله! **هل ترك هذا الاستغفار من ذنب؟**

لا، والله ما من ذنب إي وقد دخل فيه من جميع الوجوه من جهة الوقوع، ومن جهة القصود، ومن جهة المعرفة، ومن جهة الحال، كل الذنوب دخلت في هذا الاستغفار.

(أَنْتَ الْمقَدِّمُ): من شئت من عبادك قدمته، بقبول صالحه ومغفرة ذنبه، وهذا والله هو التقديم، هذه هي الرفعة ليست الرفعة المناصب ولا الأموال، وإنما الرفعة أن يقدمك الله فيقبل ما قدمته من صالح، ويغفر لك ما أسأت فيه.

(أَنْتَ الْمقَدِّمُ): من شئت من عبادك بقبول صالحه، ومغفرة سيئاته.

(وَالْمؤَخِّرُ): من شئت من عبادك أخرته، فإن شئت لم تقبل له عملًا، وإن شئت لم تغفر له ذنبًا، فكان المؤخر.

(وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ): فالله -عزَّ وجلَّ- على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء -سبحانه وتعالى-.

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْموْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ».

أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

(الشرح)

هذا الحديث جمع الخيرات، كما أن الحديث السابق جمع السلامة من الذنب.

(وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي)، فاجعلني في ديني على صلاح، الدين صالح؛ ولكن (أَصْلِحْ لِي دِينِي)، أي: اجعلني في ديني على صلاح.

والصلاح في الدين: الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي): الذي التجئ إليه، ففيه خيري، وفيه دفع الشر عني.

(وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي): أصلح لي دنياي التي أعيش فيها وأعبدك فيها.

(وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي)، أي: مرجعي.

(وَاجْعَلْ الْحيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ): إن أحييتني فأحيني على خير، والمؤمن لا يجوز له أن يتمنى الموت، لا يسأل الله الموت، فإن عمر المؤمن لا يزيده إلا خيرًا، إما أن يزيد في صالح، وأن يستعتب في طالح، وإن من مات انقطع عمله، أما المؤمن إذا بقي حيًا فإن ذلك يزيده خيرًا.

(وَاجْعَلْ الْحيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ)، فإذا كتبت علي الموت فاجعله راحة لي من كل فتنة؛ لأن الميت إذا مات إما أنه مستريح، وإما انه مستراح منه، إن كان صالحًا فهو مستريح؛ ولذلك إذا حُمِل على أكتاف الرجال إلى قدره نادى: قدموني، قدموني، يسمع صوته كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعه الإنسان لصعق؛ لأنه مستريح.

ومن الناس -أعوذ بالله- من مات استراح الناس منه، واستراحت الأرض منه، استراحت من شره.

هنا ليس دعاءً على النفس بالموت، وإنما دعاء بأن يجعل الله الموت راحة للإنسان من كل شر، أي: إن قضيت علي الموت فاجعل موتي راحة لي من كل شر.

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَعَنْ أَنَسٍ -رضي الله عنه- قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَارْزُقْنِي عِلْمًا يَنْفَعُنِي».

رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ.

(الشرح)

وحسنه الألباني.

(وَعَنْ أَنَسٍ -رضي الله عنه- قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَارْزُقْنِي عِلْمًا يَنْفَعُنِي»)، فقيّد كل الدعاء بالنفع، العلم لا خير فيه إلا إذا كان نافعًا، ليس العلم بالشهادات، وليس نفع العلم في الشهادات العلم بالنفع.

والعلم النافع ما جمع ثلاث خصال:

الأولى: ما كان خيرًا في أصله، فهو علم صحيح، مبني على الكتاب والسنة لا على الطنطة والدندنة ولا على جميل الكلام، وإنما مبني على الكتاب والسنة.

العِلْمُ قال اللهُ قال رَسُولُه قال الصَّحابَةُ هم أُولُو العِرْفانِ

هذا الأمر الأول.

الأمر الثاني: أن يكون طالبه مخلصًا لله.

الأمر الثالث: أن يعمل به، بأن يكون مثمرًا للعمل.

فإذا فقد واحدة من هذه الثلاث فليس علمًا نافعًا.

ثم انظر! كيف أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي)، فقدم النفع على العلم.

(اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي)، فإذا علمتني فانفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني.

(وَارْزُقْنِي عِلْمًا يَنْفَعُنِي)، وهذا يدل على أن الخير في العلم بالنفع، فليس العلم بكثرة الحفظ، ولا بكثرة الكتب، وإنما العلم الذي يرفعك عند الله، وذلك هو العلم النافع.

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَلِلتِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ نَحْوُهُ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ: «وَزِدْنِي عِلْمًا، وَالْحَمْدُ لِلهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَعُوذُ بِاللهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ». وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ.

(الشرح)

قال: وللترمذي وابن ماجه -أيضًا- (مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ نَحْوُهُ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ: «وَزِدْنِي عِلْمًا، وَالْحَمْدُ لِلهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، وَأَعُوذُ بِاللهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ»).

قال الألباني: صحيح دون الحمد، صحيح دون قوله: (وَالْحَمْدُ لِلهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، وَأَعُوذُ بِاللهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ)، أي: زيادة (وَزِدْنِي عِلْمًا)، صحيحة، أما زيادة: (وَالْحَمْدُ لِلهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، وَأَعُوذُ بِاللهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ)، فالشيخ ناصر يضعفها، والحافظ ابن حجر حسنها.

(وَزِدْنِي عِلْمًا)، أي: نافعًا، زدني علمًا نافعًا، والله -عزَّ وجلَّ- قال لنبيه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه:١١٤].

قال المفسرون: لو كان هناك أشرف من العلم لأمر الله نبيه أن يطلب الزيادة منه، فالله أمر نبيه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يطلب الزيادة من العلم، فالعلم خير لا يمل، ولن يوصل إلى آخره.

وبعدُ فالعلمُ بحورٌ زاخِرَهْ لنْ يَبْلغَ الكادِحُ فِيهِ آخِرَهْ

ولذلك يقول العلماء: كلما تقدم العالم في العلم كلما زاد تواضعه؛ لأنه يرى جهله. بعض الناس إذا عرف كلمتين أصبح علامة، ويرى نفسه فوق الناس، العالم إذا تعلم كلما تعلم كلما تواضع؛ ولذلك الشيخ صالح الفوازن قالوا له: أنت عالم؟ قال: لا، أنا طالب علم، العالم ابن باز، هذا إمام في العلم، وهكذا العلماء.

(وَالْحَمْدُ لِلهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ)، وهذا أحسن من قول العامة: الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه.

(وَالْحَمْدُ لِلهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ)، سواءً كان محمودًا أو مكروهًا.

ثم: (وَأَعُوذُ بِاللهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ)، أي: يا ربِ أنا أحمدك على كل حال، وأسألك أن لا تجعل حالي حال أهل النار.

ما هو حال أهل النار؟

أما في الدنيا فهي المعاصي والشرك -والعياذ بالله-.

وأما في الآخرة فهي النار.

وهذه الاستعاذة شملت الأمرين: أعوذ بك يا ربِ من حال أهل النار، أعوذ بك من أكون من أهل الشرك وأهل المعصية، وأعوذ بك من أن أكون من المعذبين يوم القيامة. **لما قال:** (وَالْحَمْدُ لِلهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ)، وهذا عام، استعاذ بالله من حال واحدة، وهي حال أهل النار.

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَعَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَّمَهَا هَذَا الدُّعَاءَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا».

أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ.

(الشرح)

وصححه الألباني.

عن أمنا الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحبيبة المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَّمَهَا هَذَا الدُّعَاءَ)، قال العلماء: يؤخذ من هذا أن من السنة للعبد أن يعلم أهله هذا الدعاء، يعلم زوجته ويعلم أبناؤه هذا الدعاء.

(اللَّهُمَّ): يا الله.

(إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخيْرِ كُلِّهِ)، من هنا قال العلماء: تبعيضية (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخيْرِ كُلِّهِ): لأن الخير كله في الدنيا ما يجمع لإنسان، الخير كله خير الملك، خير المال، خير الولد، خير، خير ... إلخ، ما يجمع لإنسان، فقالوا من هنا تبعيضية، أي: أسألك من الخير كله ما يليق بي ويصلحني. **لماذا قلنا تبعيضية؟**

لأن الفعل هنا يتعدى بنفسه، **ألا يصح أن تقول لغة وشرعًا وعرفًا: اللهم إني أسأل الخير؟**

يصح أن تقول، فلما أدخل النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من علمنا أن لها فائدة، والفائدة هنا: أنها تبعيضية.

والحكمة: أن الخير كله لا يجمع لإنسان في الدنيا، وإنما يعطى كل إنسان ما يليق به ويصلحه، من الناس من يحرمه الله الولد، وقد يكون الله علم فقضى وقدر أن يرحم هذا العبد فلا يُرزَق بولد؛ لأن الله علم أنه لو رُزق بولد لفُتِن، ويرزق الله من يشاء إناثًا دون الذكور، ويرزق من يشاء ذكورًا دون إناث، ويرزق من يشاء ذكورًا وإناثًا، وكل هذا لحكمة.

(**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخيْرِ كُلِّهِ**)، أي: ما يصلحني ويليق بحالي.

(**عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ**)، وفي هذا تفويض الأمر إلى الله.

(**وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ**): وهنا استعاذة من كل الشر؛ لأن الاستعاذة ما تتعدى بنفسها، ما يصح أن تقول: وأستعيذ بك الشر، أسعيذ بك من، فكانت بيانية استغراقية، أستعيذ بك من كل شر عاجله وآجله، ما علمت منه وما لم أعلم.

(**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ**): الأول عام (**أَسْأَلُكَ مِنَ الْخيْرِ**)، من جنس الخير، ثم خصّ (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ**).

هل النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو بهذا الدعاء؟

الجواب: النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم عائشة أن تدعو؛ ولذلك علمها أن تقول بعد التعميم الأول: (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ**)، وبهذا تكون كأن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشركك في دعائه بهذه الجملة كأن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أشركك في دعائه؛ لأنك سألت الله كل خير سأله النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واستعذت بالله من كل شر استعاذ منه النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا**)، إن كان نعمة فارزقني شكرها؛ حتى تكون خيرًا، وإن كانت بلاءً فارزقني الصبر عليها؛ حتى تكون خيرًا.

(المتن)

قال -رحمه الله-: وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ».

فَرَغَ مِنْهُ مُلَخِّصُهُ، أَحْمَدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَجَرٍ فِي حَادِي عَشْرِ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ، سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَثَمَانِمِائَةٍ، حَامِدًا اللهَ تَعَالَىٰ وَمُصَلِّيًا عَلَىٰ رَسُولِهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمُكَرِّمًا، وَمُبَجِّلاً، وَمُعَظِّمًا.

(الشرح)

الشيخ قال: (وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ)، أي: جملتان.

(حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ): تقدم معنا أنها أحب الكلام إلى الرحمن -سبحانه وتعالى-.

(خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ): فليس فيهما حرف ثقيل.

(ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ)، وتقدم معنا أن ذكر الله هو أثقل ما يكون في الميزان، والأعمال توزن (سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ).

هذه تقدمت، **لماذا ذكرها الحافظ هنا في آخر الباب؟**

نقول: اقتدى بالبخاري حيث ختم الصحيح بهذا الحديث؛ لأنه حديث جمع الخير كله.

(سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ)، تجلب للمسلم الخير كله، فإذا قال المسلم: سبحان الله العظيم غرست له نخلة في الجنة؛ ولذلك الجنة قيعان والمؤمنون غراسها، وغراسها ذكر الله سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإذا قلت سبحان الله غرست نخلة، وإذا قلت الحمد غرس لك شجرة نخلة في الجنة، لا إله إلا الله، فأنت فلاح؛ لكن في خير فلاحة، واعظم زرع وهو ما يكون في الجنة، وبمقدار ذكرك لله تكون جنتك في الجنة. فالشيخ ختم الكتاب بهذا الحديث العظيم؛ لأن ما فيه يغني عن كثير من الأعمال، وفيه خير للمؤمن في الدنيا والآخرة، واقتدى بإمام المحدثين الإمام البخاري -رحمه الله عزَّ وجلَّ- في هذا، حيث ختم كتابه الصحيح بهذا الحديث.

أسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يختم لي ولكم بخير، وأن يجعلني وإياكم ممن قبل أعمالهم، ورضي عنهم.

أسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يجعلني وإياكم ممن زادهم العلم تواضعًا، وزادهم العلم قربًا من الله، وزادهم العلم خيرًا.

أسأل الله أن يجعلني وإياكم ممن حمل العلم فرضي به، ورضي الله -عزَّ وجلَّ- عنه به.

أسأل الله أن يجعلني وإياكم ممن يتعلم العلم فيعمل، وأعوذ بالله لي ولكم من علم لا ينفع.

أسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يجعل هذه الأيام التي التقينا فيها خيرًا لنا جميعًا وبركة، وأن يطيل في أعمارنا في طاعة، اللّٰهم اجعلنا من خير عبادك الذين أطلت في أعمارهم، وأحسنت أعمالهم وقبلتها يا رب العلمين.

والله -تعالى- أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.